محمود عباس - أبو مازن -

طريق أوسلو

مُوقّع الإتفاق
يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات



طريق اوسلو

محمود عباس (أبو مازن)

طريق اوسلو

محمود عباس (أبو مازن)

شركة المطبوعات



للتوزيع والنشر

بناية الوهاد - شارع جان - دارك
ص.ب. ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

هاتف ٣٤٤٢٣٦٠ – ٣٤٥٤٦٠ / ٢ – ٣٥٠٧٢١
فاكس: ٥٢٢١٠٧ – ٩ – ٣٥٧ / ٦٠٢٠٢٩ – ٩٦١١
تلكس: ٢٢٦٦١

التوزيع في لبنان وسوريا ـ مكتبة بيسان ـ ص ب: ٥٢٦١ ـ ١٣
هاتف: ٨٠٢٣٨٩

تصميم الغلاف: جومانا ابو شقرا

الطبعة الاولى ١٩٩٤م

الفصل الاول

في الطائرة إلى واشنطن

ملاحظات وذكريات

على طائرة جلالة الملك الحسن الثاني الخاصة، والتي وضعها تحت تصرف القيادة الفلسطينية، غادر وفدنا تونس يوم الاحد ١٩٩٣/٩/١٢ إلى واشنطن. ولمدة عشر ساعات ونصف، كنت أخلو في معظمها إلى نفسي لأراجع ما قمنا به على مدى ثلاثين عاماً من النضال وحوالي نصف قرن من الضياع واللجوء خارج الوطن. هل هي رحلة العودة إلى الوطن؟ أم هي رحلة التوقيع على التنازل عن جزء كبير من الوطن؟ لماذا أذهب للتوقيع على إتفاق لست جزءاً منه؟ وقد لا يكون فيه بيت أو مقر إقامة؟ وهل ما سنقوم به سيفتح الباب أمام المستقبل أم يقفل الطريق إليه؟ وهل فرّطنا بحقوق الشعب أم حافظنا على هذه الحقوق؟

ان العبء ثقيل والمسؤولية جسيمة. وقد تكون الأخطار أكبر من المكاسب. ماذا ستكون ردود فعل شعبنا في الداخل والخارج؟ من يؤيد ومن يعارض؛ وماذا سيكتب عنا التاريخ؟

هل يمكن لرحلة العشر ساعات التي تفصل بين تونس وواشنطن أن تلخِّص رحلة التشريد التي استمرت لقرن؟ وهل يمكن أن يغيب عن ذاكرتنا أولئك الذين سطروا بدمائهم منارات وأوسمة بارزة على تربة الوطن؟ وهل يمكن ونحن على أبواب إنجاز تاريخي أن ننسى الاجيال المتعاقبة وقوافل الشهداء. التي أسهمت بتحقيق هذا الانجاز؟

قطار سار مائة عام وتوقف عند محطات هامة وعديدة، نزل منه ركاب وصعد إليه ركاب واستمر في طريقه منطلقاً تارة ومتعثراً تارات، تتقاذفه الرياح وتعرقله الرمال والصحاري، لكنه يتابع مسيرته، وتتواصل رحلته.

سفينة تتقاذفها الامواج في بحر لجيّ مظلم، تفقد بوصلتها حيناً وتضيع دفتها

عن الطريق أحياناً.. ولا أحد يدري متى تصل إلى شاطئ الامان. ولا متى يُكتب لركابها النزول إلى يابسة الاطمئنان.

أربع ثورات وخمس حروب، تفصلها عن بعض ثورات وحروب، لا انقطاع ولا توقف ولا راحة أو إستراحة للمتحاربين. فلا أجدادنا عرفوا طعم الراحة والإستقرار ولا أحفادهم نعموا بحياة إنسانية. كلهم قاتلوا ويقاتلون من أجل الامل الذي بدا سراباً ووهماً، ولكنهم لم ييأسوا ولم يقنطوا ولم تفتر عزائمهم. جيل ينقل الراية لجيل، وجيل يحمل الامانة عن جيل. فلم يفرطوا بالراية ولم يخونوا الامانة.

وإذا قدر لنا أن نذكر بالخير كل الخير، مفتي فلسطين وأحمد حلمي عبد الباقي وأحمد الشقيري ويحيى حمودة، كرموز لشعبنا. فلا ننسى ولن ننسى شهداء الثورات وقادتها بدءاً من عز الدين القسام والشيخ فرحان السعدي والشيخ حسن سلامة وعبد القادر الحسيني وعبد الرحيم محمود. ولشهداء ثورتنا المعاصرة حقوق علينا، لأن دماءهم هي التي مهدت الطريق وفتحت الابواب وأحيت الأمال. أحمد الموسى أول الشهداء، وعبد الفتاح الحمود وأبو صبري وأبو علي أياد وكمال عدوان ومحمد النجار وكمال ناصر وغسان كنفاني وسعد صايل وماجد أبو شرار، وعشرات ألوف الكوادر والضباط والمقاتلين والاطفال والشيوخ والنساء.

وتنال يد الغدر أمير الشهداء أبا جهاد، وتطال يد الخيانة فارس الساحة ومجمع الصفوف أبا أياد، ورمز التضحية أبا الهول، والقافلة طويلة ونهر الدماء يجري في كل بيت وحي وقرية ومخيم ومدينة.

لعل أرواحهم جميعاً ترتاح عندما ترى بعض الامل يتحول إلى واقع وبعض الاحلام تتجسّد حقيقة، والشعب يشعر بالإنتماء ويحمل الهوية، ويقول إياد لوالده كنت بلا هوية ومنحتني بدمك الهوية.

أسئلة كثيرة تزاحمت في ذهني ونحن في طريقنا إلى واشنطن، أتفرس الوجوه من حولي، وأستعرض الأخرين في المخيلة وأعود إلى نفسي، فأنا الذي سيقف أمام العالم ليوقع الإتفاق ويتصدر المسؤولية. بينما يستطيع الجميع أن يعلنوا عدم مسؤوليتهم سواء منهم الحاضرون أو الغائبون.

لقد خلصت في النهاية إلى إستنتاج من نقطتين، أولاهما إنني أقوم بعمل تاريخي وبانجاز عظيم لشعبنا، وثانيهما، خوفي من ان تدمر الممارسات الخاطئة والعقليات المتخلفة من كلا الطرفين كل هذا الإنجاز وهكذا إنتابني شعور متناقض، فبمقدار إهتمامي بالإنجاز، كان خوفي ورهبتي من التطبيق.

وصلنا إلى قاعدة أندروز في واشنطن، ذلك المطار الخاص الذي يستقبل ضيوف الدولة والشخصيات الرسمية التي تصل إلى أمريكا.

واستقبلنا هناك إدوارد جرجيان ومديرة البروتوكول في وزارة الخارجية وسفراء الدول العربية، و عدد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة. وانتقلنا فوراً إلى الفندق حيث غرقنا بتفاصيل برنامج مرتب مسبقاً لاستقبال اعداد هائلة من الشخصيات الامريكية والعربية والفلسطينية. هناك التقينا لأول مرة الرئيس كارتر والرئيس بوش وغيرهما من الشخصيات التي تقاطرت للترحيب بالوفد الفلسطيني. لقد بدا لي كارتر وكأنه راهب او قديس، وهو أقرب إلى هذا من أن يكون رئيساً لدولة عظمى، حيث ترتسم على وجهه إبتسامات غاية في البراءة والطهر تجعل من يلتقيه يحبه من اللحظة الاولى ويغدو قريباً إلى القلب.

أما جورج بوش الذي تولى اللحظات الهامة والرئيسية في تاريخ الولايات المتحدة بل وتاريخ العالم، فقد ظهر وكأنه الفارس الذي حقق كل هذه الإنجازات وسلمها لغيره أو اضطر لأن يسلمها لغيره، بعد أن قبل بنتائج اللعبة الديمقراطية ورضي بها.

بين عشَيةٍ وضحاها، تنتقل المنظمة وقيادتها من موقع الإرهاب ـ في نظر الإدارة الامريكية ـ لتكون موضع اهتمام البيت الابيض، وبشكل يتناسب مع الحدث الذي جاءت هذه القيادة من أجل إنجازه. إن هذا يذكرني بالمرحلة التي بدأت فيها أمريكا بالحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد قرار المجلس الوطني وخطاب جنيف سنة ١٩٨٨، اللذين بدأ معهما ما عُرف بهجوم السلام الفلسطيني، ذلك الحوار الذي لم يستمر طويلاً وتوقف بعدما أصبح يدور في حلقة مفرغة. لكن الحوار الاهم، هو

الذي كان يدور خارج إطار هذه اللقاءات الرسمية في الغرف المغلقة، عندما كنت والسفير الامريكي في تونس «بلليترو» ومساعده« هيل»، نبحث في عمق القضايا الجوهرية للصراع العربي الاسرائيلي. وكان محور نقاشنا هدفاً وضعناه نصب أعيننا، هو حوار فلسطيني ـ اسرائيلي يشكل مفتاح السلام.

وكان السفير الامريكي مقتنعاً بأن حزب العمل هو وحده القادر على البدء بهذا الحوار، بينما يبدي مخاوفه من تعنت الليكود وتسلمه السلطة في اسرائيل.

كنت أستعرض تلك الأيام وأنا أقف على منصة في البيت الأبيض على يسار وزير خارجية الولايات المتحدة وارن كريستوفر. ويقف على بعد خطوة واحدة بيل كلينتون رئيس الدولة الأمريكية. وقبل ذلك كنا نقف في إحدى قاعات البيت الأبيض بانتظار بدء الإحتفال، يجاملنا الرئيس مرة، وزوجته مرة أخرى، ونائبه غور مرة ثالثة. وزوجته مرة رابعة، والرئيس كارتر و الرئيس بوش، ثم بعض كبار موظفي الخارجية، كذلك وزير خارجية النرويج ضيف الشرف المحتفى به، و الرجل الذي أشرف ببراعة على مفاوضات أوسلو السرية.

ساعة ونصف وقفنا تحت الشمس المحرقة، حيث طغت حرارة الموقف على حرارتها، وشعرت وأنا أقف في ساحة البيت الأبيض والشمس الساطعة تلقي باشعتها، إن شعبنا قد أخذ مكانه تحت الشمس، وبشهادة أولئك الذين كانوا ينكرون حقه في الوجود. كانت آلاف العيون ومئات الكاميرات وملايين الناس تراقب بلهفة هذه المشاهد، وتلك المنصة التي لا تزيد عن بضعة أمتار طولاً ومثلها عرضاً، والتي يُكتب عليها تاريخ جديد للمنطقة وربما للعالم. وقد تبين لي ان المشاهدين المتابعين للإحتفال يحصون علينا كل حركة وسكنة، كأنهم يحاولون الدخول إلى أعماق قلوبنا وعقولنا ومسامات أجسامنا ليخمنوا أحاسيسنا وأفكارناوهواجسنا،ويدرسوا خلجاتنا، ويجسوا نبضنا. ويعدوا دقات قلوبنا.

وبدون ترتيب بروتوكولي مسبق، وبعد أن انتهيت من كلمتي، كان علي أن أصافح الرئيس كلينتون، ولكنني تابعت طريقي وصافحت رابين وكزيريف وبيريز. وقد لاقت هذه اللفتة ترحيباً من الحضور ومن المشاهدين. ورغم ان المصافحة كانت

مخالفة لما اتفق عليه بالبروتوكول، فقد شفع لي التصفيق الحاد من جمهور الحاضرين. وقد سألني الكثيرون عن عدد من الحركات واللفتات التي وقعت، مثل قولهم إن الرئيس كلينتون قدم لي الكرسي عندما جلست للتوقيع. ولكني لم ألحظ ذلك،ربما لأن الهواجس وحرارة الموقف صرفتنا عن ملاحظة أمور كثيرة.

قبل أيام قليلة لم يكن هناك مسؤول اسرائيلي يتجرأ على لقاء مع المنظمة، وقبل أشهر قليلة كان محرماً على أي مواطن اسرائيلي أن يذكر منظمة التحرير وبالتالي أن يلتقي مع مسؤول فيها، وكثيرون التقيناهم سراً ورجونا أن نحفظ هذا السر، حتى لا يتعرض أي منهم للمحاكمة والسجن، وقد حفظنا لهم الأسرار.

كان محور أحاديثنا نقطة واحدة فقط، كيف نحقق السلام. كنا نعرف إن أولئك الذين يتكلمون معنا ليسوا في موقع القرار، ولكن كان أملنا أن ينقلوا ما يسمعونه منا لمن يمكن أن يستمع إليهم عنا. و كنّا نعرف أيضاً إن الطريق طويل للوصول إلى قلب الرأي العام الإسرائيلي الذي لا يفهمنا ولا يريد أن يفهمنا ولا يريدون له أن يفهمنا. ومع ذلك فقد رأينا أن مثل هذه المحاولات مفيدة للغاية لأنها تقع في ظل حرب قائمة ومستمرة بيننا وبين الاسرائيليين، كما تحصل في ظل القانون الاسرائيلي الذي يحظر رسمياً مثل هذه اللقاءات، فهي من وجهة نظري حقيقية ولكن باتجاه محاربة دعاة الحرب.

كان هاجس الاسرائيليين دائماً، يتجسد في أسئلة محددة، ونعرف بإنها لم تكن أسئلة شخصية فحسب، بل هي أسئلة رسمية أيضاً، لأن الأجهزة والمسؤولين هناك يريدون معرفة وجهة نظرنا الحقيقية فيها. ولم تقتصر هذه الاسئلة على الاسرائيليين وحدهم وإنما كانت تحملها أو تحمل بعضها شخصيات أمريكية أيضاً مثل هارولد ساندورز وبيل كوانت[1] واوين ودان إبراهام وغيرهم. ومن هذه الاسئلة.

---

(١) اللقاء الذي جرى مع الامريكان في ١٥/٢/١٩٨٩ في تونس وضم بالإضافة إلى هؤلاء هيرمونت وتوماس فريدمان، كارين داوايشه، وهاينا كوبان باسم معهد بروكينز.

ـ هل نريد فعلاً دولة فلسطينية مستقلة؟

ـ هل يمكن أن ترتبط الدولة باتحاد كونفدرالي مع الاردن؟

ـ هل ستكون لها علاقات مع السوفييت وإلى أي مدى؟

ـ هل سيكون لها جيش وما نوعية هذا الجيش؟

ـ كيف نرى التعايش والتعاون مع اسرائيل في حالة السلام؟

ـ ماهو نوع الحدود التي ستربط بين فلسطين وإسرائيل؟

ـ ما هي رؤيتنا لحل مشكلة اللاجئين؟

ـ كيف نرى مستقبل القدس؟

كنت أجيب على هذه الأسئلة بأننا نريد دولة مستقلة كباقي شعوب الارض التي تبحث عن الإستقلال الوطني، ولكننا نرغب في إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن، وإذا رغبت اسرائيل أن تنضم إلى هذا الإتحاد فنحن مستعدون للتفكير في ذلك جدياً، أما بالنسبة للعلاقة مع السوفييت فنحن لسنا شيوعيين ولا أعتقد إننا سنبني دولة شيوعية وليس من مصلحتنا أن نكون قاعدة للشيوعيين في الشرق الاوسط.

وعندما كان محاورونا من الامريكان والاسرائيليين يبدون تخوفهم، من وجود جيش لدى الدولة الفلسطينية. كنا نقول لهم بأن الجيش ليس غاية وإنما هو للدفاع، فإذا توفر الدفاع فستنتفي الحاجة إليه، وبالتالي هل لدى الأمريكان إمكانية لإرسال جيش أمريكي ليفصل بيننا وبين الاسرائيليين؟ أو هل يقبلون بقوات أممية تقوم بنفس المهمة؟

جميع من جاء إلينا كانوا يطالبون منا الإعتراف بالقرارين ٢٤٢، ٣٣٨. وكانوا يؤكدون بأن الإعتراف بهذين القرارين سيفتح الطريق إلى السلام. وإن الحكومة الاسرائيلية ستوافق حتماً على الدخول في مفاوضات مع المنظمة.. والغريب أن أصعب نقطة كانت في كل مفاوضات واشنطن وأوسلو هي تطبيق القرارين ٢٤٢،

٣٣٨ . حيث إن الوفود الاسرائيلية ظلت حتى اللحظات الأخيرة، وبخاصة في أوسلو تقدم المقترحات والمقترحات البديلة لتفادي كلمة«تطبيق» القرارين.

أما ما كان يحرج الاسرائيليين والامريكان على حد سواء. فهو قولي باننا نريد تعايشاً كاملاً وحدوداً مفتوحة للطرفين، للعمل والإقامة والسكن وتبادل البضائع والسلع والاموال. وعندما يحاولون رفض هذه الفكرة، كنت أطرح الفكرة البديلة وهي إقفال كامل للحدود، فيرفضونها أيضاً.. فاطلب منهم أن يقترحوا علينا أية صيغة مناسبة للتعايش ونحن مستعدون لقبولها!!

كانت أعقد قضية يواجهها المعتدلون الاسرائيليون هي مشكلة اللاجئين ،حيث كانوا يرفضون فكرة الحديث عن اللاجئين أوعن المرجعية الدولية لحل هذه المشكلة. وقد تعطلت مفاوضات بيننا وبين حزب راتس حول نقطة اللاجئين لأن المفاوض باسمهم «ديدي تسوكر» رفض باصرار الإشارة إلى المرجعية الدولية الخاصة بهذه المشكلة. وذلك بعد عدة جولات من المفاوضات تمت بيننا وبينهم ،آخرها كان بتاريخ ٣١/ ١/ ١٩٨٩ في مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا (سابقاً).

وبالنسبة للقدس فقد كان الجميع يتجنبون الحديث عنها، ويعتبرونها مشكلة معقدة ويقترحون تأجيل ذلك إلى حين، إلا إن الكثيرين يعتبرونها مشكلة معقدة ويقترحون تأجيل ذلك إلى حين، إلا إن الكثيرين يعتبرونها خطأ أحمر لا يجوز الخوض فيه.

جميع هذه الصور كانت تتدافع في ذهني ونحن في طائرة ملك المغرب الخاصة متوجهين إلى واشنطن. وكأنني أريد أن الخص مرحلة طويلة من النضال والعذاب في ساعة أو ساعات، قبل أن نصل إلى واشنطن لنضع بداية لحقبة جديدة من مسيرة طويلة لا نعرف متى تنتهي. ولم أكن أتوهم ان التوقيع الذي سنقوم به سينهي كل شيء، بل كنت على يقين أنه بداية لأشياء، بخاصة وان الاتفاق لم يحسم قضايا كثيرة، ولم يوضح نقاطاً كثيرة تحتاج إلى عمل شاق ودؤوب.

عدت بذاكرتي بعيداً إلى الوراء، عندما كرست وقتي لمتابعة تطورات المجتمع

الاسرائيلي، وتحمست لإجراء لقاءات مع من يريد أو يرغب في اللقاء معي من الاسرائيليين، كنت يومها أتعرض إلى كثير من النقد من أقرب الناس إلى نفسي في حركة فتح، كما كنت أواجه السخرية في أحيان كثيرة.

وكانوا يتساءلون، هل يمكن أن تغير المجتمع الاسرائيلي بهؤلاء البسطاء الذين تقابلهم؟ وما هو أثر تلك الحفنة الصغيرة من أدنى شرائح مجتمع اسرائيل؟

في العام ١٩٦٨، أطلق بعض القياديين في فتح شعار الدولة الديمقراطية الفلسطينية، واستمر هذا الشعار ببريق خاص فترة طويلةمن الزمن ،حتى أجهضه الإعلام الاسرائيلي، وتعاملوا معه بخفة واضحة، إلا انني وجدت فيه مادة هامة لتصور إمكانية تطبيقه، وهذا يتطلب في النهاية تعايشاً مع المجتمع الاسرائيلي الذي نجهله، ومن هنا كانت نقطة البداية.. لا بد أن نصل إلى السلام، ولكن.. كيف نحققه؟؟ وتتدافع صور الذكريات.

بعد انتهاء الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، تلك الدورة التي كرر فيها المجلس موقف المنظمة من اللقاءات مع القوى الديمقراطية والتقدمية الاسرائيلية، قام الشهيد أبو أياد بزيارة إلى المجر في ١٩٨٣/٣/١١. وهناك تحدث مع المسؤولين في الدولة والحزب عن قرارات المجلس. وأسهب في شرح القرار الخاص باللقاء مع القوى اليهودية، الامر الذي أعجب المجريين. فما كان منهم إلا أن أبلغوا أبا أياد بأن وفداً من «حركة السلام الآن» يقوم بزيارة لهم وإنها فرصة جيدة أن يرتبوا لقاءاً بين الطرفين، إذا لم يكن لدى أبي أياد مانعاً أو لدى الاسرائيليين مثل هذا المانع.

لقد فوجيء أبو أياد لأنه لم يلتق في السابق مع الاسرائيليين، ولم يهيئ نفسه لمثل هذه اللقاءات التي ربما يرغب في التحدث عنها فقط ، أكثر مما يرغب في إجرائها، ولكنه في تلك المناسبة لم يتسنَ له الرفض، وتم اللقاء الذي حضره من الطرف الاسرائيلي الصحافية المشهورة «حنا زيمر» وعدد من أركان حزب العمل، واستمر اللقاء أربع ساعات كاملة.

كلما راجعت في ذاكرتي ما جرى بين الطرفين في هذا اللقاء ، أتذكر كل مراحل

الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، لأنه يلخص ويختصر سبعين سنة. فقد بدأ عدائياً وتبادل الطرفان خلاله الإتهامات وتراشقاً بالجمل النارية الفظة، وانتهى الامر بهما إلى قناعة كاملة بضرورة إقامة سلام يحقق مصالح الشعبين وحقهما بتقرير المصير. لقد اتفقنا على أن يبقى اللقاء سراً. إلا إن حنا زيمر نشرته كاملاً في صحيفتها هارتس..

إلى توليدو (طليطلة) المدينة النموذج للتعايش الاسلامي اليهودي في العهد الأندلسي. انطلق وفدان، فلسطيني واسرائيلي [٢]. والواقع إن الوفد الاسرائيلي لم يكن كله من الاسرائيليين بل كان كله من اليهود الشرقيين الحائزين على الجنسية الاسرائيلية أو أولئك الذين يعيشون في أماكن مختلفة من العالم مثل فرنسا وكندا والولايات المتحدة والمغرب.

خمس وأربعون شخصية توارثوا وتناقلوا ذكريات أسلافهم عن تعايش كان قبل خمسمائة سنة. من بين الاسرائيليين، كان فلسطينييون عرب يحملون الجنسية الاسرائيلية جاءوا ليستمعوا إلى مشاعر وعواطف أولئك اليهود وهم يتحدثون عن تجربة حياتهم الناجحة، في الوقت الذي فشلوا فيه أن يتعايشوا اليوم، بسبب اختلاف الظروف. ومن بين الفلسطينيين يهود يناضلون في صفوفهم من أجل استرجاع ذلك التعايش القديم ، لكن نظرة أبناء دينهم لهم لا تخلو من الغضب والمرارة بسبب هذا الوضع المعقد.

بدأ اللقاء بمفاوضات عسيرة حول بروتوكول اللقاء وترتيب جلوس الأعضاء، وترتيب الكلمات، ومن الذي سيبدأ بطرح السلام على الطرف الآخر، باعتبارنا نحن الطرفين قادمين من معسكرين متعاديين، لا صلح بينهما، ولا علاقات، بل حرب مشتعلة تُسفك فيها الدماء.

ساعتان من أصل إثنتين وسبعين ساعة سادهما التوتر، توتر البداية. وباقي الساعات لم يعد أحدٌ يستطيع التفريق بين أعضاء هذا الطرف أو ذاك.

---

٢) الإجتماع تم ما بين (٣ - ٥ / ٧ / ١٩٨٩).

تداخلت الوفود في أحاديث عن تجاربهم وذكرياتهم ومصاعبهم، ويحلو لليهود أن يعيدوا على مسامع الفلسطينيين ذكرياتهم أو ذكريات أهلهم في الوطن العربي ولم يتحرجوا من أن يجروا المقارنات والمفارقات، وانتهت السبعون ساعة ولم يكن أحد يريد أن تنتهي بل تمنى لو تمددت وطالت، ولكن لكل بداية نهاية.

لم يترك المجتمعون من اليهود هذه الفرصة تمر دون أن يعبروا بارادة منفردة وبشكل معلن عن دعمهم وتأييدهم لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة.

نعم .. لقد حصل تطور في المجتمع الاسرائيلي ، ولا يعني هذا ان الاتصالات هي السبب، بل هناك أسباب كثيرة، أبرزها استمرار نضال الشعب الفلسطيني وإنتفاضة أطفال الحجارة.. ولكن الاتصالات استثمرت هذا النضال وتلك الإنتفاضة لتبلغ الاسرائيليين رسالة، بإن لا فائدة من العناد، ولا بد من أن نجلس على الطاولة.. وها هو صوتنا يأتيهم ليحكموا صوت العقل والمصلحة، ولينظروا إلى مستقبل أطفالهم.

وبعد سنوات تحولت الحفنة البسيطة إلى مجموعات من صانعي القرار والمسؤوليين في المؤسسة التشريعية «الكنيست» ومن مختلف الإتجاهات والأحزاب وبخاصة حزب العمل، الذي يشارك في إدارة السلطة والدولة. ففي يوم ٢٢/ ٩/ ١٩٩١ تلقت وكالة الأنباء الفرنسية نداءاً موقعاً من أربعة وعشرين عضواً من أعضاء الكنيست ينتمون إلى حزب العمل، راتس، مابام، شينوي، موجهاً إلى المجلس الوطني الفلسطيني يطالب أعضاءه بتليين مواقفهم والموافقة على عقد مؤتمر السلام مذكرين الزعامة الفلسطينية بإنه فقط في إطار السلام مع اسرائيل سوف تحل المشاكل الفلسطينية الوطنية، وفي إطاره فقط ستحقق اسرائيل أمنها مع الشعوب العربية . ومن الذين وقعوا على هذا البيان عيزرا وايزمان (رئيس الدولة الآن)، والوزراء الحاليون حاييم رامون، يوسي سريد، أمنون روبنشتاين، شولاميت ألوني، وكذلك يوسي بيلين نائب وزير الخارجية (حالياً)، وهو أحد الذين حملوا مسؤولية بدء المفاوضات في أوسلو ومتابعتها حتى النهاية.

كثيراً ما جمعتني وكالات الأنباء والصحافة بعيزرا وايزمان الذي عبر في أكثر من مناسبة عن استعداده للقاء أحد المسؤولين في المنظمة. إلا انه لم يتمكن من فعل ذلك، لأنه كان يتعرض إلى ضغوط شديدة من قيادة حزب العمل. وعندما التقى نبيل رملاوي في جنيف، كاد أن يفقد حقيبته الوزارية بسبب حملة شامير عليه. ومع ذلك فقد كانت هناك إتصالات غير مباشرة معه، حيث أعرب في مناسبة ما عن رغبته بزيارة الإتحاد السوفييتي، وكان الإتحاد السوفييتي محرجاً من دعوته لأن العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين البلدين، بالاضافة إلى خشية السوفييت من انتقاد الدول العربية. وفي وزارة الخارجية السوفيتية سُئلت عن هذا الموضوع، فرحبت بدعوته ترحيباً أدهش السوفييت وحيرهم، ولكنني أوضحت لهم الأمر، بأن هذا الرجل يعتبر من حمائم الحزب ولا مانع من مساعدته واستقباله، لأن اللقاء معه مفيد.. وبالفعل فبعد أن تم اللقاء به. جرى بالمقابل إعتراف رسمي سوفييتي بدولة فلسطين، وبمكتب المنظمة على إنه سفارة لدولة فلسطين، والغريب إنه في اسرائيل كان هناك مَن يتهم وايزمان بأنه هو الذي طالب السوفييت برفع مستوى تمثيل المنظمة.

بعد ساعات من التوقيع على الإتفاق في واشنطن، عقدت لقاء مع شمعون بيريز في مقر إقامته. لم يحصل إن طلبت مثل هذا اللقاء، ولكن مدير مكتبه تلقى مكالمة من وفدنا لبحث مسألة تعديل إسم طرفي التوقيع على الإتفاق، فظن هذا إنني أريد لقاء بيريز، وعلى الرغم من إنها صدفة،إلا إنني لم يكن لدي ما يمنع أن ألتقي بيريز بعد أن وقعت معه الإتفاق. كما لم يكن لدي مانع أن نلتقي قبل ذلك، خصوصاً وإن وسائل الإعلام جمعتني معه أكثر من مرة. وكان في كل مرة لا يحاول نفي تلك الأخبار.

لكننا اليوم وبعد التوقيع نلتقي علناً وأمام وسائل الإعلام ولمدة أربعين دقيقة، حضر معنا وفده الذي أدار المفاوضات في أوسلو، ووفدنا الذي كان هناك أيضاً، بالإضافة إلى ياسر عبد ربه. لاحظنا (بيريز ـ وانا) إن وفدينا يتحدثان بلغة حميمة تدل على أن علاقة نشأت بين الطرفين وذكريات مشتركة كثيرة تجمعهم. فالتفت

بيريز إلي قائلاً: يبدو إننا (انت وانا) فقط الغرباء في هذه الجلسة. حاول بيريز أن يكون موضوعياً وواقعياً في حديثه حول المستقبل، حيث أبدى رغبة في تطوير وضع الأراضي المحتلة من الناحية الإقتصادية مشيراً إلى زيارته الأخيرة إلى أوروبا، وإنه طالب الأوروبيين بوضع برنامج إقتصادي للنهوض بهذه المناطق. حاولت أن أدرس هذه الشخصية التي عرفتها من خلال الصحافة ومن خلال الرسل ومن خلال مفاوضات أوسلو ومن خلال عشرات التقارير الخاصة التي اطلعت عليها، لأقارن بين الصورة التي رسمتها له في ذهني وصورته الحقيقية التي أراها أمامي.

لم تختلف الصورة الحقيقية عن الصورة المرسومة في الخيال. فقد لاحظت إنه رجل دبلوماسي وله رؤية سياسية واضحة للمستقبل ورغبة في التوصل إلى سلام يكرس وجهة نظره. وقد ظهر لي من ملاحظة عابرة إنه لا يلتقي مع رابين في قضايا كثيرة، فعندما أبدى أحد أعضاء وفدنا إمتعاضه من كلمة رابين التي ألقاها، أعطى إشارة بيده وكأنه يريد أن يقول لا تهتموا كثيراً ولكنه اتبع بالقول: تعرفون إنه قادم وأربعة من جنوده قد قتلوا اليوم ولذلك نرجو أن تقدروا الظرف ثم قال بيريز: نحن يمكن أن نجادل حول كلمة لمدة سنة.. ولكننا إذا وافقنا عليها فثقوا تماماً بإننا نلتزم بها بالكامل.

شارك في اللقاء يوسي بيلين نائب بيريز، حيث تبادلنا الحديث ولكن بصورة مختلفة وأسقطنا منذ اللحظة الأولى كل التحفظات وانطلقنا بالحديث دون بروتوكول، لم يلفت نظري غير ذلك، إلا إنه يبدو كشاب في العشرينات مع إنه في حدود الأربيعنات، ولكنه ذو وجود وحضور في إطار حزب العمل. وكان من القلّة التي حافظت على حسن العلاقة مع بيريز ولم تنحز لرابين كما فعل الكثيرون . وقد حاولت أن أدرس بسرعة شخصية زنغر الذي كان في أوسلو صقراً كبيراً وقد تبين لي إنه يشكو من صقرية أبي علاء، حيث سألني ضاحكاً: أرجو أن تعيرونا أبا علاء إذا دخلنا في مفاوضات صعبة مع أي طرف.

في واشنطن، امتدت عصاً سحرية إلى كل مناحي الحياة فبدلتها وغيرتها في

لحظات من الأقصى إلى الأقصى. الإستقبال الرسمي وغير الرسمي من مختلف الشخصيات الأمريكية التي تقاطرت للقاء، وسائل الإعلام التي تشيد بمنظمة التحرير ومواقفها البناءة وجهودها العظيمة في الوصول إلى السلام، ولم تتوقف آثار العصا السحرية عند هؤلاء بل تجاوزتهم جميعاً إلى الجالية اليهودية والعربية اللتين كانتا إلى ذلك اليوم ١٩٩٣/٩/١٣ متعاديتين، وإذا بهما تحضران الإستقبلات المشتركة وتتبادلان التهاني والتمنيات وتمسحان عقوداً طويلة من الخصام.

وبين فترة التوقيع والمغادرة، كنا نقابل من كل الناس، كباراً وصغاراً، بالترحاب والإبتسام والمطالبة بالتوقيع على الأوتوغرافات. حتى ظننا أنفسنا من نجوم السينما، لأن الأمريكان يعتبرون إن توقيع الإتفاق حدث تاريخي، وبالتالي يبحثون عن الذين وقفوا على المنصة ليحصلوا على توقيعاتهم. غادرنا واشنطن وقد بدأت تتلاشى فرحة الإتفاق، لتحل محلها هموم المستقبل ومسؤولياته.

الفصل الثاني

البدايات

بعد مخاض عسير، وبعد انتظار طويل عاشته الساحة الفلسطينية في مختلف بقاع الشتات وأرض الوطن، ، انبثقت منظمة التحرير الفلسطينية في العام ١٩٦٤، تلبية لنداءات ورغبات جامحة ومكبوته لمستها أنظمة العرب وأحست بها كمن يحس بالجمر المتأجج تحت الرماد.

كانت منظمة التحرير وليدة الأنظمة العربية، و لم تكن تلك الحاجة التي تلبي رغبات الجماهير، لقناعة هذه الجماهير، إن ما تمخضت عنه الأنظمة لا بد أن يكون على شاكلتها يحمل في بطنه جينات عجزها، ويرث عنها كل مواصفتها وكل أسباب وهنها. ومع ذلك فقد رأى فيها الفلسطينيون عنوانهم الذي افتقدوه منذ النكبة، ويافطة يصطفون تحتها بعد أن تعددت اليافطات واختلفت وتناقضت، ووطناً معنوياً بعد أن عزّ وطن الواقع.

وفي العام نفسه كانت حركة فتح قد استكملت إستعدادها لتطلق ثورة عسكرية داخل الأرض المحتلة، ومن دون تخطيط أو اتفاق مسبق، فقد شكل هذان الجسمان تكاملاً للعملية النضالية الفلسطينية، ففي الوقت الذي تقوم فيه منظمة التحرير بدور رسمي علني في محاولة لتثبيت الشعب الفلسطيني على الخارطة السياسية الدولية، تقوم حركة فتح بالتعبير الشعبي عن رغبات هذا الشعب في تحرير الوطن والعودة إليه، بنفس الأسلوب الذي احتل فيه الوطن وغادره أبناؤه.

وبعد مضي أربع سنوات على إقامة المنظمة وإنطلاقة الثورة، ثبت إن الثورة أقدر على التعبير عن رغبات الشعب، والتحدث باسمه، لأن المنظمة بقيت أسيرة مواقف الأنظمة، محكومة بسقف لا تملك تجاوزه أما الثورة فقد خاضت أشكالاً مختلفة من النضال العسكري وغير العسكري لقدرتها على الإنفلات من عقال رسميات الأنظمة وإلتزاماتها. وإذا كانت الثورة تتمتع بقدر من الحرية في العمل العسكري، فهي قادرة أيضاً على إطلاق المبادرات السياسية التي تراها ضرورية

لإستمرارنضالها، أو تجدها مفيدة لمتابعة نشاطها مستخلصة تلك المبادرات من تجاربها، ومن الواقع الذي لامسته وعانته.

وهذا ما كان يدعونا بين الفترة والأخرى إلى وقفة، تقييم لما مضى، واستنتاج لما سيأتي، لأن مثل هذه الوقفة تعطي للنضال مضموناً حيوياً يجعله قابلاً للإستمرار. وهي مسألة ضرورية حتى يحصّن المناضل من حين إلى أخر بنفحة أمل تجعله قادراً على العمل ما دام يشعر إن الهدف بات قريباً، بخاصة وإن المسألة الفلسطينية معقدة إلى درجة تجعل تحقيق الأمل النهائي الذي قامت الثورة والمنظمة من أجله يكاد يكون بعيداً، بل بعيداً جداً، الأمر الذي يلف المناضلين بغمامة سوداء من اليأس والقنوط.

لقد راجت في صفوف بعض القادة [1] الفلسطينيين فكرة تدعو إلى إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية التي يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.. ومن هنا كانت البداية، بداية المبادرات السياسية التي تطلقها الثورة الفلسطينية والتي تدعو إلى حلول سياسية للقضية الفلسطينية إنطلاقاً من الواقع القائم، وتأسيساً على الظروف الدولية الراهنة، وإنسجاماً مع مجمل الأوضاع العربية.

وبمقدار ما عبرت هذه الفكرة في حينة عن تنازل هائل من قبل الشعب الفلسطيني حيث يقر بحق شرعي لليهود ويقنن وجودهم في فلسطين، بمقدار ما كانت نابعة أساساً من الإحساس بالعجز العربي، وعدم مقدرة الفلسطينيين على العمل منفردين لتحرير وطنهم، إلا إنها رؤية إستراتيجية صادقة وجريئة ، إذا أخذنا بالإعتبار موازين القوى العالمية وقدرات المنطقة العربية، وإمكانات اسرائيل الهائلة.

لقد احتلت اسرائيل جزءاً من أرضنا، وشردت جزءاً من شعبنا في عام ١٩٤٨، ثم عادت وإحتلت الجزء الباقي من هذه الأرض وشردت جزءاً خر، وأبقت تحت

---

(١) أول من أطلق هذه الفكرة الدكتور نبيل شعث. (وترأس فيما بعد الوفد الفلسطيني المفاوض في واشنطن وطاباه) والذي أصبح في الثمانينات عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح.

احتلالها الجزء الأخير، وأصبح كل الشعب بين مشرد ومحتل، وإضافة إلى ذلك احتلت جزءاً من جولان سورية وسيناء من أرض مصر. وكان بإمكانها أن تواصل إحتلالاتها إلى حيث تتوقف جنازير دباباتها ويصل جنودها، وتبني السور والبرج، لتقطع دابر كل من يحاول أن يعكر صفو مستوطنيها الجدد القادمين لملئ الشاغر، واحتلال الأرض والبيت الذي خلا من سكانه.

وكل ما عرفناه عن اسرائيل هو مظاهر قوتها، وآثار جبروتها، رأينا طيرانها المرعب يملك أجواءها وأجواءنا، ورأينا دباباتها تسرح وتمرح فوق أرضنا دون وازع أو رادع.. ولم نعرف، ولم يقدر لنا أن نعرف، ولم يسمح لنا أن نعرف أكثر من هذا.. كان الشعار المقدس الذي يكتب على الجدران ويملأ الصفحات والكتب والمجلات« أعرف عدوك» شعاراً يمكن أن يقرأ فقط ولا يمكن أن يطبق أو أن يسمح بتطبيقه. وهكذا عاشت الجماهير العربية مرحلة جهل وتجهيل بهذا العدو الذي نخافه ونخشاه حينا إلى درجة الرعب، ونستهين ونستخف به إلى درجة اللامبالاة، أحيانا أخرى.

كان أمراً مستهجناً أن يضبط إنسان فلسطيني أو عربي يتابع أخبار المجتمع الاسرائيلي، أو يقرأ كتاباً عن اسرائيل، ليتعرف على أسرار هذا المجتمع وخباياه، ويتعرف إلى تركيبته، ليكتشف مكامن ضعفه وأسباب قوته، ويفهم حقيقته وأسلوب حياته.

إن أول مبادئ العسكرية الناجحة، تفرض على قائد قبل أن يبدأ هجومه على أعدائه، أن يقوم بعملية إستطلاع لتقدير قوته وتحديد أنواع أسلحته وعدد جنوده وأماكن تمركزه، وشؤونه الإدارية، وطرق إمداداته وغير ذلك من التفصيلات الصغيرة، التي تجعله قادراً على تقدير الموقف، واستنباط النتائج المتوقعة ومدى قدرته على تحقيق الإنتصار.

وبالمفهوم السياسي فإن الدول التي ترسل مبعوثيها وجواسيسها ورجال مخابراتها إلى الدول الغربية لتطلع عن كثب على طبيعة الناس وتركيبة المجتمع،

ومظاهر قوته ونقاط ضعفه، وتناقضته وعيوبه، ثم تثقف جماهيرها بكل ما يساعدها على رفع معنوياته، بتقديم المعلومات اللازمة عن هذا العدو، بما يضمن لها في النهاية أن تضعه تحت المجهر لتتصرف على ضوء ذلك.

أما بالنسبة لنا في العالم العربي فقد كانت مجرد المعرفة مجالاً للإتهام والتشكك في وطنية من يحاول ذلك، أو يسعى إلى هذه المعرفة. وقد كنا نظن إن المعرفة والمعلومات مقتصرة على الحكام والمسؤولين ورجال الأمن والمخابرات، وموظفي وزارات الخارجية وأعضاء السلك الدبلوماسي، ولدهشتنا ودهشة غيرنا نكتشف فيما بعد إنهم على غير علم بأمور الدولة التي يقفون قبالتها وأيديهم على الزناد، ودخلوا معها حروباً أربعة.

في بداية عام ١٩٧٠ وقد توليت مهمة التعبئة والتنظيم في حركة فتح، لم أجد ما أعبئ به كوادر الحركة إلا بضعة من التجارب الثورية التي سبقتنا مثل تجربة فيتنام والصين والجزائر وكتب غيفارا. أما التجربة الصهيونية منذ هيرتزل إلى إقامة الدولة، ومنذ إقامة الدولة إلى يومنا ذاك، فلم نكن نعرف أكثر من عناوين بسيطة وبدون أية معلومات.

وفي أحد الأيام قرأت خبراً في صحيفة محلية، يفيد بإن يهود البلاد العربية أصبحوا يشكلون أكثر من نصف سكان اسرائيل. وأثار هذا الخبر فضولي وتساؤلاتي.. كيف زودت الدول العربية اسرائيل بنصف سكانها؟؟ وكيف يعيشون فيها؟ وما هي علاقاتهم مع اليهود الغربيين؟ وعدد من الأسئلة التي لم أجد جواباً عليها، وكان لا بد من بدء مرحلة جديدة من القراءة والإطلاع للبحث عن مكنونات اسرائيل وخباياها.

ومنذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٧ نشرت كتابين عن الهجرة اليهودية من البلاد العربية والدول الغربية، وعلاقات اسرائيل بامريكا، وأنصار السلام داخل هذا المجتمع وغير ذلك من المعلومات الأولية، التي تفيد في تكوين فكرة أولية عنا اسرائيل.

وفي هذه الفترة رفعت شعارين، الأول مطالبة الدول العربية بالسعي لإعادة اليهود الذين هاجروا أو هجروا منها. وقد لبت كل من مصر والعراق وليبيا وتونس والمغرب واليمن هذه الدعوة وأصدرت كل منها بياناً أو قراراً يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم.والثاني، العمل على الإتصال بالقوى الاسرائيلية لإجراء حوار معها للوصول إلى السلام. وقد صادف الشعار الأول معارضة من بعض السياسيين والمثقفين الفلسطينيين، بينما ووجه الثاني بهجوم عنيف من مختلف الأوساط الفلسطينية والعربية الرسمية منها والشعبية.

ومن الذين اقنعوا بهذه الفكرة ودفعوا حياتهم ثمناً لها الشهيد سعيد حمامي مندوب فلسطين في إنكلترا، والشهيد عزالدين القلق مندوب فلسطين في فرنسا، والشهيد نعيم خضر مندوب فلسطين في بلجيكا، والشهيد عصام سرطاوي الذي كان مكلفاً من قبلي بالإتصال بالقوى الاسرائيلية الداعية إلى السلام.

عقدت دورة المجلس الوطني الثالثة عشرة في الفترة ما بين ١٢ـ٢٢/٣/١٩٧٧. وقد سبق هذه الدورة لقاءات، أجراها الشهيد عصام سرطاوي مع عدد من الاسرائيليين. وقد شنت جميع الفصائل دون استثناء على السرطاوي هجوماً لا يحتمل. وقد تولى المساهمة في هذا الهجوم عدد من قيادات وكوادر حركة فتح التي ينتمي السرطاوي لها.

وقبل أن ينهي رئيس المجلس الحوار ويقفل باب النقاش في هذا الموضوع، طلبت الكلمة لأرد على كل المتحدثين في هذا الموضوع. وقد اكتشفت انهم على غير علم بالموضوع الذين يتحدثون عنه، ولا يعرفون من اسرائيل إلا اسمها، ولا يفهمون عنها إلا إنها العدو، الذي لا بد أن نستمر في حربه. ولذلك عملت على أن أستغل نقطة الضعف هذه، وأن أتسلل من هذه الثغرة لأعرض أسلوب التعامل مع الأعداء، وطرق الوصول إلى الهدف، غير مقلل لأهمية البندقية، التي هي إحدى وسائلنا للوصول إلى غايتنا. وساعدتني قراءة سبع سنوات وتأليف كتابين، على الخوض في مواضيع لم يسمعوا عنها من قبل، وأن أقف بينهم بكل ثقة متحدثاً مرتجلاً حديثاً دام خمساً وأربعين دقيقة، طارحاً كل الأفكار التي رغبت في نقلها إليهم باسلوب منظم

ومسلسل، وقرأت في عيونهم وصمتهم المطبق ما يفيد بإنهم يستمعون لأول مرة إلى نوع من الكلام لم يسمعوه من قبل.

وعندما أدافع عن السرطاوي فإنما أدافع عن أفكاري التي رحت أبثها في كل مكان، وإذا كان هناك من توجه له الإتهامات، فيجب أن توجه لي أولاً، لأن السرطاوي لم يقم بما قام به من تلقاء نفسه، وإنما بتعليمات مباشرة مني، والرجولة تتطلب من القائد أن يتحمل مسؤوليته، لا أن يعطي التعليمات ويتخلى عمن نفذها، إذا لم تجد هذه التعليمات صدى طيباً لدى الناس، وأشيرهنا إلى إن القرار بهذه الإتصالات لم يكن قراراً فردياً مني، وإنما باطلاع وموافقة عدد من أعضاء قيادة فتح، الذين بدأت تروق لهم مثل هذه الأفكار، إلا إنهم كانوا غير مستعدين للدفاع عنها. لأن هذا الدفاع يتطلب ذخيرة من القراءة والمعلومات والاطلاع التي لم تتوفر لهم، وإن توفرت فلم يجدوا الرغبة في متابعتها، لأن الموضوع برمته لم يكن في ذلك الحين قد وصل من وجهة نظرهم إلى الجدية التي يستحق معها أن يتابع..

وبعد ثمان وأربعين ساعة، اتخذ المجلس قراراً إيجابياً يشير إلى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية، والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه، ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة. وتأكد نفس القرار في الدورة الخامسة عشرة(٩-١١/ ٤/ ١٩٨١) والسادسة عشرة (١٤-٢٢/ ١٩٨٢) والدورة الثامنة عشرة (٢٠ - ٢٥/ ٤/ ١٩٨١) والدورة التاسعة عشرة (١٢ - ١٥/ ١١/ ١٩٨٨) ومؤتمر حركة فتح الخامس ٣/ ٨/ ١٩٨٩.

وهكذا أصبحت الإتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني، ومع ذلك فقد بقي معظم من في الساحة الفلسطينية لا يؤمنون أو لا يقبلون الممارسة من الناحية النفسية، وذلك نتيجة للتربية الطويلة التي تربى على أساسها أجيال من الشعب الفلسطيني، تربية ترفض مجرد ذكر اليهود أو الاسرائيليين. وفي كثير من الأحيان كان البعض يطبق هذا الحظر على العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية. ففي أحد مهرجانات الشبيبة العالمية، في

إحدى الدول الشرقية (الشيوعية سابقاً) حضر من اسرائيل الشاعر الكبير محمود درويش الذي كنا نتغنى بشعره ونردده في كل مكان شعبي أو رسمي. وفي نفس المهرجان حضر شخص فلسطيني ينتمي إلى حزب البعث السوري وهو فيصل الحوراني، والغريب إنه عندما علمت قيادة حزب البعث إن الحوراني ألقى السلام على درويش فصل من الحزب لأنه وضع يده بيد «اسرائيل»

أقول... بقيت هذه العقلية تسيطر على الكثيرين على الرغم من صدور القرار، وكانوا يصدرون بيانات الإستنكار والتنديد كلما وقع لقاء فلسطيني مع هذه القوى التي صنفها المجلس الوطني. وكما أشرت فقد دفع العديد أرواحهم ثمناً لمثل هذا الجهد الذي كان ولا زال يبذل عل صعيد التفهم والتفاهم بين القوى المحبة للسلام في اسرائيل وبين منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان محور تحركنا ذا إتجاهين، الأول مع كل القوى اليهودية التي تناصر السلام والتي أطلقت على نفسها«حركة السلام الآن»، وهذه القوى متعددة الأفكار، متفاوتة الفهم لعملية السلام، لديها تناقضات كثيرة واختلافات أكثر، ولكن تجمعها كلمة السلام بمفهومها العريض الواسع دون أن تجد تحديداً أو تعريفاً موحداً لمعنى هذه الكلمة؟

والإتجاه الثاني كان نحو اليهود الشرقيين المتحدرين من أصل أندلسي والذين عاشوا أساساً في البلاد العربية وتركيا وبلغاريا.

وهؤلاء يختلفون عن الأشكناز من حيث العادات والتقاليد والمعتقد وهم يشكلون ثلثي سكان اسرائيل. وقد جاءوا إليها، في ظروف يحيطها الغموض والمؤامرات والدسائس وعمليات القتل والإغتيال. وعاشوا ولا زال بعضهم وهو كثير، يعيش في أسفل السلم الإجتماعي، بسبب الظروف العامة التي ألقت بهم في هذا الموقع، وربما بسبب التخطيط الخاطئ لمستقبلهم الذي رسمه لهم من سبقهم من المستوطنين الاسرائيليين، الذين كانوا في غالبيتهم العظمى من الأشكناز. وقد أدى هذا وغيره من الاسباب لأن تبرز ظاهرة مستهجنة ، وهي أن اليهود الشرقيين أكثر

قسوة تجاه العرب وأعنف، بالإضافة إلى ميلهم نحو التطرف والمتطرفين، مدفوعين بالفكر الإشكنازي السائد الذي كان يدعوهم لإثبات إنهم اسرائيليين أكثر من غيرهم، فأخذوا جانب حركة حيروت التي كانت عام ١٩٧٧ تقود المعارضة الاسرائيلية ضد العمل وحلفائه. ولما تبوأ الليكود المشكّل من حيروت وحلفائها أو أنصارها السلطة في اسرائيل، ظن اليهود الشرقيون أنهم قد وصلوا إلى تحقيق أحلامهم وأهدافهم التي منعها عنهم حزب العمل ثلاثين عاماً.

بعد عام ١٩٧٧، عقدنا عشرات اللقاءات وحضرنا عشرات المؤتمرات التي تضم اسرائيليين من مختلف الإتجاهات، سواء من حركة السلام الآن أو من اليهود الشرقيين الذين كنا نحاول أن نجعل منهم جسر سلام بين الفلسطينيين واسرائيل، ولم نخدع بالمعلومات التي تحاول وضعهم موضع العداء للعرب والفلسطينيين وإن كنا نعرف إنهم أنصار اليمين المتطرف. وقد لمسنا من اللقاءات والإجتمعاعات التي عقدت معهم إنهم مستعدون في حدود طاقاتهم ونفوذهم ـ وهي محدودة جداً ـ أن يقوموا بدور الجسر بين الفلسطينيين والاسرائيليين وبين العرب واليهود، لكن الإعلام المضلل والدعايات التي يبثها اليمين الاسرائيلي، كثيراً ما كانت تحول دون البناء على اللقاءات والإجتمعات التي تحصل،خاصةبعد صدور قرار ٦ أغسطس/آب ١٩٨٦ عن الكنيست، والذي يحرم اللقاءات مع منظمة التحرير تحت طائلة عقوبة السجن.

من المستحيل على الاسرائيليين أن يعيشوا في منطقة الشرق الأوسط دون أن يتعرفوا على جيرانهم سكان هذه المنطقة، ومن المستحيل أن تبقى اسرائيل دولة غربية في قلب الوطن العربي، ولا أعتقد أن من مصلحة الاسرائيليين أن يكرروا مقولةأرينز وزير الدفاع الليكودي السابق، الذي نشأ في أمريكا وجاء إلى اسرائيل ليلتحق بالليكود وهويفتخر بالقول: إنني أعرف عن الأعشاب في ألاسكا أكثر مما أعرف عن العرب.

كان الاسرائيليون يشكون للعالم بأن الفلسطينيين بشكل خاص والعرب بشكل عام لا يقبلون أيديهم الممدودة للسلام، لأنهم يريدون أن يدمروهم وأن يلقوا اليهود

بالبحر.. في الوقت الذي لا يفتأ الاسرائيليون يعلنون قبولهم بالشرعية الدولية كأساس للحل السياسي، قناعة منهم بأن العرب غير مستعدين لذلك، ولهذا فقد كانت مبادراتنا والتي بدأت بشكل رسمي وشرعي وواقعي منذ عام ١٩٧٧ محرجة للاسرائيليين ،الأمر الذي جعلهم يخترعون سبباً لعدم الرد علينا، وهو إنهم لا يمكن أن يتحدثوا مع إرهابيين ومخربين وقتلة.

لم يمنع قرار الكنيست أفراداً من المجتمع الاسرائيلي من العمل على محاولة تجاوز هذا القرار، وهم يعرفون سلفاً إنهم معرضون إلى عقوبة السجن في سبيل رسالة سامية هي رسالة السلام. ولا بد أن نذكر هنا «أبي ناتان» صاحب إذاعة السلام التي بدأت بثها في أوقات مبكرة منذ الستينات واستمر دون كلل يحمل لواء السلام ويدعوا له. وأبي ناتان هذا يهودي من أصل إيراني، كان ضابطاً طياراً في عام ١٩٤٨، وقد كلف بقصف بعض قرى الجليل، وعندما انهى مهمته، عاد رؤساؤه وطلبوا منه أن يكرر العملية في اليوم التالي، وفي ذلك اليوم شاهد من طائرته منظراً لم يستطع أن ينساه، منظر النساء والأطفال والشيوخ الذين هاموا على وجوههم في الجبال والوديان، مسلوبي الإرادة والوجدان والوطن وفي حالة لا يمكن أن يقبلها العقل البشري، ولما رأى ناتان ما رأى إتجه بطائرته إلى خليج عكا وألقى بحمولتها في البحر وقفل عائداً إلى قاعدته وقدم استقالته من الطيران.

ومنذ ذلك الوقت كرس حياته للسلام، فأنشأ إذاعة في عرض البحر المتوسط وبدأ منها يدعو إلى السلام. وفي يوم من الأيام ذهب بباخرة إذاعته إلى مدينة بورسعيد ليتحدث مع المصريين في عهد المرحوم عبد الناصر عن السلام، إلا أن السلطات المصرية إعتقلته وأعادته من حيث أتى، ولكن هذا الحادث لم يثنه عن عزمه في مواصلة دعوته.

وبعد صدور قرار الكنيست لم يتوقف «أبي ناتان» عن الإتصال معنا، متحدياً هذا القرار، ساعياً إلى العقوبة بأقدامه، إلا إنه كان يتصور إنه في حال محاكمته وسجنه فإنه سيحرك الشارع الاسرائيلي وسيستفزالعناصر الكامنة لدى الجماهير. وقد سجن مرتين - كل مرة سنة سجن كعقوبة - إلا إن السجن لم يغير

قناعاته بل زاده إصراراً على المضي نحو هدفه. والغريب إن هذا الرجل وهومن الأثرياء جداً لا يغير لباسه الأسود الذي تعود عليه منذ سنوات طويلة وحجته في ذلك قوله: لن أخلع السواد حتى أرى نهاية الإحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة.

ولا بد أن نذكر شخصية أخرى هامة لعبت دوراً كبيراً في الدعوة للسلام، وهوالجنرال متيتياهو بيليد. الرجل ذو الملامح الروسية والذي لعب دوراً هاماً في حرب حزيران /يونيو ١٩٦٧. وبعدها استقال من الجيش ليدرس اللغة العربية،ويصبح أستاذاً لها في جامعة تل أبيب.

التقى بيليد كلا من يوري أفنيري، وأرييه الياف وآخرين، حيث فتح هؤلاء قناة مع المنظمة عن طريق الشهيد عصام سرطاوي، واستمرت اتصالاتهم ولقاءاتهم معنا إلى فترة طويلة. وقد تمكن بيليد من دخول الكنيست باسم القائمة التقدمية التي تضمه مع محمد ميعاري. وبعد أن فشل في الانتخابات الثانية عشرة في العودةإلى الكنيست، راح يلقي المحاضرات في الولايات المتحدة عن السلام وضرورته في منطقة الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من حجم الإحباطات التي أصابت هذا الرجل من حلفائه العرب في اسرائيل، لم يفُتَّ هذا من عضده أو يضعف عزيمته في استمرار دعوته للسلام. إننا لا نملك إلا أن نذكر هذا الرجل وغيره بكل الإحترام والتقدير. وعندما يستقر السلام في المنطقة لا بد لأحباء السلام في اسرائيل وفي دولة فلسطين أن يذكروا هؤلاء ويخلدوهم.

وكما أشرت سابقاً إلى ان لقاءات حدثت مع حركة السلام الآن، وأخرى مع اليهود الشرقيين كفئة يمكن أن تكون جسراً بين العرب والاسرائيليين. وقد عقدنا مع هؤلاء ثلاثة إجتمعاعات كبيرة، الأول في رومانيا ١٩٨٦/١١/٦، والثاني في هنغاريا ١٩٨٧/٦/١٢، والثالث وهو الأهم في توليدو باسبانيا ١٩٨٩/٧/٥. لقد قام بترتيب هذا اللقاء السيدة سيمون بيتون وهي يهودية مغربية عاشت في اسرائيل فترة طفولتها وصباها ثم تحولت لتعيش بشكل دائم في فرنسا، إلا إنها لم

تقطع صلاتها وجذورها باسرائيل، ولم تنسى مهمتها الأساسية وهي الدعوة إلى السلام في أرض السلام، وقد عملت معنا سنوات طويلة في ترتيب اللقاءات والاتصالات والاعلام وغيره، وكانت مهمتها الكبرى في ترتيب هذا اللقاء الذي يستحق أن نلقي الأضواء على الأشخاص الذين شاركوا به.

لقد حضره شلومو الباز الأستاذ الجامعي وأحد كبار موظفي الوكالة اليهودية، وسيرج بوردوغو[٢] رئيس الطائفة اليهودية المغربية، ونعيم جلعادي رئيس طائفة اليهود الشرقيين في أمريكا، وأندريه أزولاي[٣] رئيس جمعية حوار وهوية التي تتخذ من فرنسا مقراً لها. إضافة إلى أربعين شخصية يهودية شرقية من اسرائيل ومن خارجها ممن يتمتعون بالتأثير والسمعة الطيبة لدى أقرانهم.

وقبل أن تنتهي جلسات الحوار التي استمرت ثلاثة أيام كاملة، غادرت توليدو، ولم أطلب إصدار بيان أو تصريح صحفي من قبل اليهود حتى لا أحرجهم و اكتفيت بنتائج الحوار الذي وقع، إلا انهم اجتمعوا وأصروا على إصدار بيان من جانبهم حيوا فيه منظمة التحرير على اعترافها بالقرارات الأممية ونبذ الإرهاب وطالبوا باقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة اسرائيل.

وهكذا فإن إتفاقية السلام التي وقعناها في ١٩٩٣/٩/١٣ في البيت الأبيض في واشنطن، لم تأت صدفة ولم تكن نتيجة المفاوضات التي جرت في أمريكا أوفي أوسلو فحسب، بل جاءت نتيجة تراكمات كثيرة ساهمت فيها أعمال الثورة الفلسطينية العسكرية والسياسية والاعلامية، وساهمت فيها ست سنوات من الإنتفاضة المباركة التي راح ضحيتها ألوف الأطفال والنساء والرجال من ضحايا ومعوقين. كذلك كان لانتهاء الحرب الباردة وسقوط المنظومة الاشتراكية وحرب الخليج المدمرة، نتائج صبت في طاحونة العملية السياسية، ولعبت شبكة الإتصالات

---

(٢) أصبح وزيراً للسياحة في الحكومة المغربية

(٣) يعمل الآن مستشاراً لدى جلالة الملك الحسن

الهائلة التي ربطتها المنظمة مع القوى الاسرائيلية المحلية واليهودية العالمية المحبة للسلام أو التي تحولت نحو السلام دوراً هاماً في تحويل الرأي العام الاسرائيلي وفي تقريب وجهات النظر، وفي التأكيد على أن التعايش أمر ممكن وإن تحقيق السلام لم يعد مستحيلاً.

ولا بد من إعطاء منظمة التحرير الحق، حيث انها فتحت الطريق أمام إمكانية تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط، عندما تبنت في عام ١٩٨٨ وفي دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة، استناداً إلى قوة الإنتفاضة الفلسطينية وزخمها قراري مجلس الأمن ٣٣٨,٢٤٢ اللذين يعتبرهما العالم أساساً لتسوية النزاع في تلك المنطقة.

فلا بد للرموز الفلسطينية التي ضحت في هذا السبيل والرموز الاسرائيلية التي عانت على هذا الدرب أن تأخذ حقها من الإحترام والتقدير، وأن ينالها نصيب من ذاكرة شعوب المنطقة لتبقى ذكراها لامعة ساطعة في الأجواء تقدم للأجيال الصاعدة أمثولة حية ونموذجاً رائعاً لبطولات مجهولة.. وإذا كانت الشعوب تكرم أبطال حروبها، فحري بها أن تكرم أبطال السلام، لأن صنع السلام أصعب بكثير من تفجير الحرب.

الفصول القادمة سوف توضح دور بعض الدول التي كان لها تأثيرها في دفع عملية السلام، وتلك الطرق والصعاب التي واجهتها المنظمة وغيرها من الدول والرجال، لكي تبدأ مسيرة السلام في منطقة الشرق الأوسط، والتي كانت ضرباً من ضروب المستحيل، حتى تجمعت العوامل والتقت الجهود وساعدت الظروف للبدء بإنهاء صراع شد العالم بأسره، لأكثر من نصف قرن.

الفصل الثالث

دور السويد

بعد حرب ١٩٦٧صدر القرارالاممي ٢٤٢ بتاريخ ٢٢، /١١/ ١٩٦٧، والذي يطالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها، ويشير الى ضرورة حل عادل لمشكلة اللاجئين ويضمن حق جميع دول المنطقة في العيش بسلام بحدود آمنة .وقد ورد في ديباجة هذا القرار عدم جواز احتلال ارض الغير بالقوة

انتهت حرب اكتوبر / تشرين اول بالقرار ٣٣٨ الصادر بتاريخ / ١٠/ ١٩٧٠ ٢٢ والذي يدعو الاطراف المعنية الى التفاوض تحت رعاية مناسبة . وعلى اثره دعت الدولتان العظميان الى مؤتمر جنيف،حيث لبت مصر والاردن هذه الدعوة، ولم تلبي سوريا هذه الدعوة . وكنا في ذلك الوقت غير مدعوين الى هذا المؤتمر، إلا ان مصر حاولت ان تضمن لنا نوعاً من التمثيل ولم تنجح مساعيها حينذاك، لان المؤتمر نفسه لم يستمر، وتحولت المساعي الدولية الى مساع قام بها الوزير الامريكي هنري كسنجر من خلال جولات مكوكية الى منطقة شرق الاوسط.

وفي عام ١٩٧٧ اقترح سايروس فانس على المصريين والسعوديين ان تتعامل منظمة التحرير مع القرار٢٤٢ تعاملاً ايجابياً على ان تضع التحفظات التي تريد،وأعرب عن استعداده في هذه الحالة.ان يجعل الولايات المتحدة تفتح حواراً معها.

لقد جاء في قرارت المجلس الوطني للدورة الثانية عشرة ما يلي: نحن نرفض القرار ٢٤٢ لانه يتعامل مع قضية فلسطين على انها قضية لاجئين، وكان المطلوب ان تقول :«لو لم يكن القرار ٢٤٢ قد تعامل مع قضية فلسطين على انها قضية لاجئين ، وتعامل معها على انها قضية شعب له حقوقه المشروعة لقبلناه».

هذه الصيغة اقترحها اسماعيل فهمي وزير خارجية مصرالاسبق، وسعود الفيصل وزير خارجية السعودية، وهي صيغة لا تغير في المضمون شيئاً لانها

تتعامل مع الصيغة بنظرية،« المفهوم المخالف»، وهي صيغة مقبولة ويمكن ان نقولها ولا نخسر شيئاً بل نكسب اعترافاً بنا من الولايات المتحدة الامريكية .

وتمضي الايام.. وفي كل زيارة يقوم بها وفد رسمي فلسطيني الى موسكو، يتحدث اندرية غروميكو الى هذا الوفد قائلاً: لا حل امامكم ما لم تعترفوا بالقرارين ٣٣٨,٢٤٢،ان هذه الأوراق شك ثمين بايديكم عليكم ان تستعملوه في الوقت المناسب، ويجب ان لا تتاخروا، لأنه سياتي وقت ويفقد فيه قيمته. ارجوكم أن تعطونا هذا الشيك لنتحدث به مع الامريكان والاوروبيين والاسرائيليين لعلنا نجد لكم حلاً.كان الجواب دائماً ..لا يمكن القبول بالقرار.

كانت بعض الفصائل الفلسطينية تتوشح بالعلاقة مع السوفييت باعتبارهم رمز التقدم والاشتراكية، وباعتبارهم انصار الشعوب المظلومة وسند حركات التحرر العالمية، وكثير من هذه الفصائل، ان لم يكن معظمها، تبنت الماركسية لتدعي التماثل مع السوفييت. وكانت تخترع لنفسها نمطاً من العلاقة التحالفية معهم تجاًر بها بمناسبة وبدون مناسبة.والسوفييت اخر من يعلم عن مثل هذه العلاقة ،لان الرابط الوحيد الذي يربطهم بنا هو قضية الشرق الاوسط،التي لا مدخل لهم اليها الا القرار ٢٤٢ الذي نرفضه نحن .. ولذلك فكثيراً ما كانوا يتساءلون عن نوع واساس التحالف الاستراتيجي بيننا وبينهم ما دمنا مختلفين من حيث المبدأ على الرابط الوحيد الذي يربطنا معهم في تلك القضية.

في عام ١٩٨٢، واثناء حصار بيروت الذي دام ثلاثة اشهر تقريباً أرسلت بعض الوجوه السياسية الفلسطينية من عمان الى القيادة في بيروت رسالة، وقعها المحامي ابراهيم بكر والمحامي ياسر عمرو (عضو اللجنة التنفيذية حالياً)، يقترحان عليها المبادرة الفورية الى إعلان عن قبول بالقرارين ٢٤٢ ـ ٣٣٨ لان مثل هذا الاعلان قد يساعد على فك الحصار والحفاظ على منظمة التحريرالفلسطينية وتغير المناخ الدولي المعادي لها .

وعندما انتهى حصار بيروت وعقدت قمة فاس الثانية سنة ١٩٨٢، تقرر اعتماد المبادئ التالية، لحل مشاكل الشرق الاوسط ، استناداً الى مبادئ الشرعية

الدوليةومشروع الرئيس بورقيبة والملك فهد والملاحظات التي ابداها الملوك والرؤساء:

اولا: انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة التي احتلتها عام ١٩٦٧ بما فيها مدينة القدس العربية

ثانياً: ازالة المستوطنات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي المحتلةبعد عام ١٩٦٧.

ثالثاً: ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة.

رابعاً: تأكيد الحق الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقة الوطنية الثابتة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد ،وتعويض من لا يرغب في العودة.

خامساً:إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت اشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة اشهر.

سادساً : قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

سابعاً: يضع مجلس الامن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطين المستقلة .

ثامناً:يقوم مجلس الامن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

انفجرت الانتفاضة بتاريخ٧/١٢/١٩٨٧ لتحقيق التخلص من الاحتلال.وكان لا بد من وضع قواعد سياسية لها حتى لاتصبح فورة او فقاعة لاتلبث ان تنتهي وتتلاشى.

ان الحديث عن قواعد سياسية للانتفاضة تحتاج الى عقل لا يخضع للخطوط الحمراء. ولا ينصاع للشعارات واليافطات الجامدة. ولا ينظر الى المسألة نظرة تخلو

من الاحساس بالمسؤولية تجاه الشعب ومصالحه واحتياجاته ومتطلباته. ولا يحدث بفخر عن منجزات الانتفاضة والضحايا، ولا يجوز الحديث عن اطفال الحجارة الذين يقضون نهارهم وليلهم في مقارعة جيش الاحتلال دون ان نفكر بمستقبلهم ومدارسهم ومعاشهم وصحتهم وحياتهم التي يحيوها بظروف لا يعلم بها الا الله. ولا ان نتحدث عن صمود شعبنا وبسالته دون ان نؤمن له الاكل والعيش الكريم والعلاج واالتعليم وباقي مرافق الحياة . وابسط متطلباتها.

بعد ان مضى على الانتفاضة بضعة اشهر جلست مع شخص اخترته لرجاحة عقله واتزان تفكيره وهو نعيم الاشهب عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الفلسطيني، وطرحت عليه سؤالاً محدداً:هل انت مستعد لان نفكر سوياًدون خطوط حمراء،ودون الخوف مما تعارفنا عليه على انه محرمات؟ قال نعم! قلت : هل تتفق معي بان الانتفاضة قامت من اجل انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة والضفة الغربية؟ قال نعم، قلت: هل تعتقد اننا لو طلبنا من اهلنا في الضفة والقطاع ان يستمروا في إلقاء الحجارة حتى يخرج الاسرائليون من حيفا وعكا سيقبلون ذلك؟. قال: لا.. قلت: ماذا سيكون ردهم علينا ؟قال سيرموننا نحن بالحجارة. قلت:اذن.. تعال ندرس ماذا يمكن ان نقدم لهم .

وهنا برزت ضرورة طرح فكرة القبول بالقرارين ٢٤٢-٣٣٨كأساس لعملية سياسية، او لمبادرة سياسية سميت فيما بعد المبادرة السياسية الفلسطينية.

وقد حرصنا على ان نُبقي تفاصيل الفكرة سرية، وعلى ان نتحدث عنها بشكل عام للقيادات الفلسطينية ولبعض القيادت العربية، وكذلك للاتحاد السوفييتي. وقد قمنا بزيارة لمصروعرضنا الموضوع على الوزير االدكتور عصمت عبد المجيدفرحب به بشدة مشيراً الى أن مثل هذا العمل، يمكن ان يعتبر خرقاً تاريخياً في مسيرة الشعب الفلسطيني، وانه سيترك اثراً على على العالم الغربي وعلى اسرائيل بالذات التي لا تستطيع ان ترفض مثل هذه الافكار .

وقمنا بزيارة موسكو حيث التقينا في وزارة االخارجية النائب الاول للوزير

في ذلك الحين السكندر بسمرتنيخ الذي اصبح فيما بعد وزيراً للخارجية ، وكذلك حضر اللقاء مسؤولين من الجنة المركزية للحزب، واكدوا لنا ان مثل هذه الافكار ستفتح الطريق امام حل ملائم للقضية الفلسطينية وان امريكا واسرائيل لن تتمكنا من المعارضة بل سترضخان للامر الواقع. وهم واثقون ان امريكا قد تفتح حواراً معنا ، اذا تم تبني هذه القرارات في المجلس الوطني الفلسطيني .

لم يكن بالامكان صدور مثل هذه القرارات عن المجلس الوطني دون ان تطعم ببعض القرارات المعنوية التي لا بد منها، ولذلك جرى الحديث عن ضرورة اعلان الاستقلال الفلسطيني، وكان الخوف من ان يتعرض اعلان الاستقلال مع المبادرة السياسية الفلسطينية، بالتالي فان القرارات جميعها ستكون بلا فائدة ولا جدوى.

لقد حاول بعض رجال القانون الفلسطينيين ان يعدوا صيغة اعلان الاستقلال، فجاءت بشكل لا يمكن ان يلبي الغرض منها. بالاضافة الى انها تتناقض بشكل صارخ مع المبادرة السياسية ،الامر الذي جعلنا نطالب اعادة صياغتها، وقد كلف بهذه المهمة محمود درويش الذي سخر كل طاقاته الفكرية واللغوية ليقدم صيغة راقية فيها من صنعة اللغة والادب العالي ما يجعلها في مضمونها تنسجم مع المبادرة الفلسطينية ، وجاءت مليئة بالعبارات التي ترضي الرافضين.

في ١٥/ ١١/١٩٨٨ تبنى المجلس الوطني المبادرة السياسية بأغلبية ساحقة واعلان الاستقلال بالاجماع، عَبّر المجلس كاعلى سلطة التشريعية فيها عن تعريفه للحق الفلسطيني والتزامه بتحقيقه كهدف يمثل الحد الادنى المقبول لحلّ ممكن، وترك بهذا التعريف مكاناً للاخر، فتشكلت بذلك قاعدة السلام الواقعية. وكانت الانتفاضة وما احدثته من ضغط متنوع على الاحداث في اسرائيل، الأساس القوي الذي استند عليه المجلس في صياغة الهدف السياسي للموقف الفلسطيني، وانهالت اعترافات الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة، سواء كانت من العالم العربي او غيره، حتى تجاوز عدد هذه الدول المائة. وقد ظن البعض ان الاعتراف جاء بناء على اعلان الاستقلال، ولكنهم لم يعرفوا ان الموقف السياسي العقلاني ،الذي تضمنته مبادرة

السلام الفلسطينية، هو كان وراء هذا الاعتراف وذلك تشجيعاً لمنظمة التحرير على الاستمرار في هذا النهج.

في هذا المجلس كانت قيادة حركة فتح والحزب الشيوعي وعدد من المستقلين هم وحدهم الذين تبنوا المبادرة السياسية، وقد تردد حواتمة حتى آخر لحظة، الى ان اضطر للموافقة بعدان هدده عدد من اعضاء مكتبه السياسي بالانشقاق عنه اذا لم يعلن موافقته رسمياً.

وللتاريخ فقد لعب الشهيد ابو اياد دوراً اساسياً في هذه الدورة لاقناع المجلس بتبني المبادرة من خلال مداخلة مطولة ومقنعة ، تناول فيها شرح المبادرة وفوائدها وضرورة موافقة المجلس عليها.

ان اهم ما في هذه المبادرة انها طابقت بين موقف منظمة التحرير الفلسطينية والشرعية الدولية، التى ينادي بها المجتمع الدولي كأساس لحل ممكن لقضية الشرق الاوسط بما في ذلك القضية الفلسطينية.

انتهى المجلس الوطني، وشعرنا ان الولايات المتحدة راضية الى حد ما عن قرارات هذا المجلس ، ولكن رضاها هذا لم يصل الى حد فتح حوار مع المنظمة لان هناك قضية لا بد من الاشارة اليها بوضوح وهي نبذ الارهاب .

وظهرت اثار قرارات المجلس الوطني الفلسطيني على الجالية اليهودية الامريكية، التي راحت تتحرك باتجاه المنظمة لبدء الحوار معها، مستعينة بحكومة السويد التي أبدت حماساً شديداً لاستضافة مثل هذا الحوار.لانها وهي تستشف آفاق المستقبل. وجدت ان الدور الذي يمكن أن تقوم به دولياً هو في قضية الشرق الاوسط ،ومن خلال البدء في حوارات فلسطينية امريكية – يهودية على اراضيها.

كان هدفنا الاساسي من تلك القرارات أن نتوجه الى أوروبا وامريكا واسرائيل، لسد كل الذرائع التي تتذرع هذه الدول بها، وتتستر وراءها لتبرير موقفها من منظمة التحرير ومن القضية الفلسطينية. وقد لاحظنا الارتباك والعزلة اللذين اصابا امريكا واسرائيل نتيجة لصدى قرارات المجلس الوطني، بينما تجاوبت معها كل دول

اوروبا الغربية دون استثناء. وبصرف النظر عما اذا اعترفت هذه الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة ام لم تعترف، الا انها اعتبرت ما صدر عن المجلس خطوات ايجابية ،يجب ان تقابل بمثلها من امريكا واسرائيل. وقد ظهر هذا جلياً سواء بالمواقف الفردية لهذه الدولة ام بمواقفها الجماعية التي اتخذتها في قمة رودوس.

كنا نعرف أن امريكا وفي الفترة الانتقالية بين رئاستين تعيش حالة انعدام الوزن، وأن الرئيس المستعد للرحيل ليس معنياً باتخاذ مثل هذه القرارات المصيرية، بينما الرئيس المستعد للقدوم غير مخول باتخاذ مثل هذه القرارات . ومع ذلك فقد كنا نعرف ايضاً ان موقف امريكا من الشعب الفلسطيني ومن مسألة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ليس تفصيلياً، وليس هامشيا، بصرف النظر عن عواطفنا القومية تجاه امريكا ومواقفها العدائية التاريخية ضد مصالحنا وتطلعاتنا، وبصرف النضر عن ارتباط اسرائيل بها ارتباط عضوياً مصلحيا.

كنا نعتقد ان الادارة الامريكية ستتفهم الرسالة التي اطلقناها من خلال المجلس الوطني التي حددنا فيها سياستنا للمستقبل، تلك السياسة التي قومها معظم دول العالم ايجابياً. الا ان اعتقادنا لم يكن في محله، بحيث ان هذه الادارة لم تقبل ما قلناه واصرت على مزيد من الوضوح باستعمال عبارات معينة، والا فانها لن تسعى الى تغيير موقفها من المنظمة. وكانت تشعر في قرارة نفسها انها في موقف ضعيف لا تستطيع الدفاع عنه ،ولهذا لم تعد تستطيع تجاهل المتغيرات التي تمت على ارض الواقع، والتغاضي عن المواقف المتراكمة التي تبنتها المنظمة من خلال اثبات وجودها خلال ربع قرن من النضال، فلجأت الى اسلوب الحل الوسط بمعنى ان يستمر موقفها الرسمي والمعلن من المنظمة برفض اللقاء معها، وبنفس الوقت تفتح قنوات غير رسمية عليها من خلال لقاءات تمّت بين مديري مكاتبنا في كل من انقرة وتونس والجزائر، وبين سفراء او كبار موظفي سفارات امريكا في هذه البلدان . وبقيت هذه اللقاءات سرية وطي الكتمان بناء على طلب امريكا.

وضعت الخطوات التي اتخذتها منظمة التحرير الفلسطينية في المجلس الوطني، الادارة الامريكية في موقف حرج جداً ولكنها اصرت على الاستمرار في نهجها، في

الوقت التي راحت تبحث فيه عن مخرج. لقد وجدت الحكومة الامريكية أن الاتصالات والقنوات التي فتحتها بشكل سري وغير رسمي مع منظمة التحرير لم تؤد الى نتيجة. فكان أن اوعزت الى زعماء الجالية اليهودية في امريكا لاجراء اتصالات مع منظمة التحرير في محاولة جس نبض تقرر من خلال نتائجها ما يمكن ان تقوم به في المستقبل. وقد مهدت لهذه الاتصالات بحملة موجهة الى اسرائيل من هذه الجالية تبلورت في عديد من الوفود اليها محتجّة على سياسة حكومته، مبدية قلقها من تشكيل حكومة يكون الاصوليون طرفاً اساسياً فيها، ويفرضون شروطهم الدينية التي تسيء بشكل مباشر الى انتماء يهود امريكا الى الدين اليهودي ، كما تسيء الى الوجه الحضاري الغربي الذي تحاول اسرائيل ان تظهر به امام العالم كدولة ديمقراطية، وكنموذج للدولة الغربية في منطقة الشرق الاوسط.

في ٢١/ ١١/ ١٩٨٨، علمنا من ممثلنا في ستوكهولم ان عدداً من الشخصيات اليهودية الامريكية المرموقين من الذين يمثلون الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي يرغبون باللقاء مع شخصيات من منظمة التحرير الفلسطينية للاطلاع منهم على فهمهم لقرارات المجلس الوطني، والوصول الى اتفاق أو بيان مشترك يتضمن جملة من القضايا.

في البداية لم نعطي الامر اهمية كبيرة، لاننا التقينا أكثر من مرة مع شخصيات يهودية امريكية، فلم يكن لهذة الشخصيات تأثير ما، سواء على الادارة الامريكية أو على اسرائيل. ومع ذلك فقد قررنا أن نرسل وفداً يلتقي هؤلاء برئاسة خالد الحسن وعضوية كل من هشام مصطفى وعفيف صافية وممثلنا في ستوكهولم يوجين مخلوف. وقد لاحظنا فيما بعد ان الحوار تم برعاية وزير الخارجية السويدية، وان الحكومة السويدية ابدت اهتماماً ملحوظاً بالوفد الفلسطيني واليهودي، وفي النهاية صدر بيان عن الوفدين لم يعلن ، ولكنه وقع من قبل رئيسي الوفدين. وهذا هو نص البيان ... الذي ظل الى الآن طي الكتمان:

ان وزير الخارجية السويدي ستين اندرسون دعا الى ستوكهولم الممثلين

التالية اسماؤهم لمنظمة التحرير الفلسطينية وشخصيات يهودية امريكية يوم ٢١/ ١١/١٩٨٨ وهم خالد الحسن هشام مصطفى ،عفيف صافية ويوجين مخلوف، ريتا هاوزر، ستانلي شاينباوم ودرورا كاس.

افتتحت الجلسة الاولى بحضور وزير خارجية السويد وباقي الجلسات تمت بحضور مسؤولين سويديين، وتم الاتفاق على التالي:

انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر بين ١٢ و١٥ نوفمبر/تشرين الثاني واصدر اعلان الاستقلال الذي أعلن قيام دولة فلسطين وبيانا سياسيا، وفيما يلي توضيحات قدمها ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية لبعض النقاط الواردةفي اعلان الاستقلال الفلسطيني في الجزائر.

تأكيداً للمبادئ التي تضمنتها قرارات الامم المتحدة الداعية الى حل عادل، باقامة دولتي اسرائيل وفلسطين فان المجلس الوطني الفلسطيني.

أولا: يوافق على الدخول في مفاوضات سلام في اطار مؤتمر دولي يعقد باشراف الامم المتحدة وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن، وبمشاركة منظمة التحرير بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني على قدم المساواة مع اطراف الصراع الاخرى، وعلى هذا المؤتمر أن يعقد على اساس قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وفقاً لما ينص علية ميثاق الامم المتحدة، بما في ذلك الحق في اعلان دولة مستقلة، وعلى هذا المؤتمر أن يجد حلا للمسألة الفلسطينية في كافة أوجهها.

ثانيا: يعلن اقامة دولة فلسطين المستقلة، ويوافق على وجود أسرائيل كدولة في المنطقة.

ثالثا:يعلن رفضة وادانته للارهاب في كافة اشكاله بما في ذلك إرهاب الدولة.

رابعاً : يدعو الى ايجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين،وفقا للقانون الدولي والأعراف الدولية وقرارات الامم المتحدة المتعلقة بهذه المشكلة (بما في ذلك الحق في العودة أو الحصول على تعويضات).

. ان الشخصيات الامريكية تؤيد بقوة وتحيي اعلان الدولة الفلسطينيةالمستقلة والبيان السياسي الصادرين في الجزائر، وترى أن ليس ما يمنع بعد الآن من إجراء حوار مباشر بين حكومة الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وفي تلك الفترة صدر أكثر من تصريح لزعماء ومفكرين وصحافيين اسرائيليين يقولون «لا بد لامريكا أن تنقذنا من انفسنا، فنحن لا نستطيع ضمن تفكير زعمائنا أن نتحرك نحو السلام. اننا نسير نحو الانتحار.المنطقة بحاجة الى حل مفروض».

كان العاقلون من الاسرائيليين يتطلعون الى امريكا لتملي عليهم حلا ما . ولكن امريكا نفسها لم تكن مقتنعة بالبحث عن حل، ولم تكن ترى أن الظروف ناضجة لهذا الحل ، وربما لا تؤمن ان المنطقة بحاجة لأي حل. لانها وطيلة اربعين سنة كانت مرتاحة الى الوضع القائم الذي ترى فيه الوضع الامثل، المتمثل في حالة اللاحرب لتستمر من خلاله في استنزاف خيرات المنطقة، ومن ثم السيطرة عليها وابقائها في اطار النفوذ الاميريكي.

مما لا شك فيه أن تطورات كثيرة وخطيرة وهامة وقعت في المنطقة وفي العالم دفعت امريكا الى اعادة النظر بسياستها تجاه القضية الفلسطينية، ولو انها كانت ما زالت متمسكة بموقفها الثابت من منظمة التحرير الفلسطينية، في وقت راحت فيه تحاول أن تفتح الابواب للتخلص من هذا الموقف. ولذلك فاننا يمكننا أن نستعرض الاسباب التي دعت امريكا للتحول الى الموقف الجديد على الشكل التالي:

١ـ الوفاق الدولي: منذ ان تم الاتفاق بين الدولتين الاعظم على الاسلحة النووية المتوسطة المدى، وبعد أن وضعت معضم بؤر التوتر في العالم على طاولة المفاوضات، أصبحت هناك حاجة ملحة لبحث قضية الشرق الاوسط كنقطة من نقاط التوتر الاكثر تفجرا في العالم.

٢ـ الانتفاضة، التي قدمت قضية فلسطين بصورة جلية واثبتت للعالم ولامريكا بالذات ان الفلسطينين لم يذوبوا بالصحراء العربية كما تنبأ بذلك جون فوستر دالاس، وزير خارجية امريكا الأسبق خلال فترة الخمسينات.

٣ـ الوضع الناشيءعن الانتخابات الاسرائيلية، والذي كرس نوعاً من الراديكالية والاصولية بما يسيء بشكل او بآخر الى سمعة اسرائيل ومستقبلها. وفي نفس الوقت يضع شرخاً قوياً بين اليهود في العالم وبين اسرائيل.

٤ـ الرغبة الاميركية في فرض تأمين تدفق النفط من منطقة الخليج الى السوق العالمية وخاصة الامريكية بسعر مقبول، وفي استعادة الاسواق العربية، وبعد ان تحولت الى اوروبا لشراء الاسلحة.

٥ـ تنامي الدور الاوروبي في تعاطيه مع الشرق الاوسط، وخشية امريكا أن تصبح اوروبا في المستقبل شريكاً في هذه المنطقة وهذا ما لا تقبله امريكا.

٦ـ تخلي الملك حسين عن الضفة الغربية من خلال قراره بفك الارتباط والابتعاد عن الصورة وانهاء مقولة الخيار الاردني.

٧ ـ ظهور بوادر نقد متنامي تجاه يهود امريكا من حيث تصرفاتهم في الصحافة الامريكية، ومثل هذا النقد يقلق الادارة الامريكية، لانه ربما تحول الى نوع من الكراهية بين المواطنين الامريكان ويهود امريكا، وهذا ما لا ترضاه الادارة الامريكية، التي تريد ان تبقى صورة اللوبي الصهيوني كما تريد لها أن تبقى وبخاصة في العالم العربي، ولكنها في الوقت نفسه لا تريد ان تكون هذه الصورة راسخة في عقل المواطن الامريكي. وبمعنى آخر فان الامعان في تكبير صور ة اللوبي الصهيوني وتأثيرها، امر يؤدي الى نتائج عكسية ، فقد أصبح المواطن الامريكي العادي يتململ فعلا من هذه الصورة، ويتحدث بقناعة عن سطوة اليهود وسيطرتهم على مقاليد الحكم في امريكا.

٨ ـ وهذه الصورة بالذات ادت الى وجود وهم لدى المنظمات الصهيونية في امريكا، بانها قادرة ومسيطرة على القرار الامريكي، فراحت تنشط في تصرفاتها، الامر الذي دعا الحكومة الامريكية لان تضع الامور في نصابها الصحيح وان تعيد هذه المنظمات وبالذات الايباك الى حدود المرسوم لها أصلا في السياسة الامريكية.

كان من الممكن أن تقف أمور الاتصالات عند لقاء ستوكهولم مع بعض

الشخصيات اليهودية، لو لم تبادر الحكومة السويدية الى دعوة ابي عمار لزيارة سريعة، والحت على تحقيق الزيارة في أقرب واسرع وقت ممكن، الامر الذي دعاأبا عمار لتلبية هذه الزيارة، والتي تمت يوم ٦/ ١٢/ ١٩٨٩ ورافقه كل من ياسرعبد ربه ومحمود درويش، وفي بداية الحوار مع وزير الخارجية السويدي اندرسون، عرض هذا رسالة وردته من جورج شولتز، كان مرفقاً بها مقترح، هو عبارة عن بيان تصدره منظمة التحرير الفلسطينية وبيان آخر يصدر عن الادارة الامريكية. وكان شولتز يرفض أية تعديلات لفظية على البيانين كما بدا في الرسالة. وان كان لا يرى مانعاً من اضافات على البند الخاص بمنظمة التحرير الفلسطينية، الا ان وفدنا راح يجري التعديلات في هذا البند أو ذاك، وكلما أجرى تعديلاً وأبلغه للوزير السويدي، يعود الوزير بعد هذا ليقول بان الامريكان موافقون على التعديل. وقد شمل التعديل البيان الذي ستتبناه المنظمة، وكذلك ما سيتبناه الامريكان. وفي هذا الوقت طلب ابو عمار منحه فرصة كافية لعرض الامر على اللجنة التنفيذية، مع التأكيد للسويديين بانه شخصياً موافق على العرض، وعقد مؤتمر صحفياً تحدث فيه عن الاتفاق الذي عقده خالد الحسن مع بعض اليهود الامريكان. قائلاً: أن الاتفاق قراءة جيدة لقرارات المجلس الوطني.

لقد بقي الحديث مع الامريكان عبرالسويديين سرياً بينما اعلن فقط الحوار الذي جرى بين غير الرسميين. ويبدو ان السويدين جاءوا باليهود الى ستوكهولم لتغطية الحوار مع الامريكان السريين. وقد كانت تعليقات أعضاء الوفد اليهودي وحكومة اسرائيل وامريكا على ما قاله أبو عمار متفاوتة.

فقد قال شولتز بتاريخ ٧/ ١٢/ ١٩٨٨ أن تصريحات عرفات في ستوكهولم لا تصلح لتشكيل قاعدة للمباحثات الثنائية بين منظمة التحرير والولايات المتحدة.

أما ميرفي فقد قال في التاريخ نفسه، أن بلاده تأمل في أن يعلن ياسر عرفات عن اعترافه بأسرائيل في الخطاب الذي سيلقيه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في جنيف.

وقال شمعون بيرز في اليوم نفسه: انها عبارة عن توضيحات اضافية للموقف

المتملص الذي أعلن عنه في الجزائر وعاد بيريز ليقول: ان اعلانا واضحاً من قبل منظمة التحرير الفلسطينية تعلن فيه عن وقف الارهاب والاضطربات وقبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بدون غموض ، واعتراف واضح بحق اسرائيل في أن تعيش بسلام، فقط مثل هذا. من الممكن أن يجعلنا ننظر لهذه المنظمة بجدية.

وعندما سئل اسحق شامير بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٧ عن تصريحات عرفات قال: أنا لاأرى ولا اتوقع اى تغير جوهري لانهم اقاموا منظمتهم من اجل تدمير دولة اسرائيل، وفي الوقت الذي يتوصلون فيه الى استنتاج أن هذا الهدف لن يتحقق فانهم سيحلون انفسهم.

وصرحت ريتا هاورز رئيسة الوفد اليهودي الامريكي في اليوم نفسه، ان ما قاله عرفات بالسويد ازال الضباب عن قرارات الجزائر وأوضح بصراحة اعترافه بدولة اسرائيل، وأن هذه التوضيحات تمهد الطريق للمنظمة لاجراء محادثات مباشرة مع الولايات المتحة الامريكية.

أما الناطق الرسمي بلسان الخارجية الامريكيةفقد علق على الانباء الواردة من ستوكهولم، أنه اذا تأكدت المعلومات التي تناقلتها وكالات النباء من العاصمة السويدية، فان وثيقة ستوكهولم ليست سوى تفسير آخر لازداوجية المواقف التي اتخذتها المنظمة الفلسطينية، ، وأن المنظمة حاولت بواسطة السويد إعطاء مصداقية لقرارات الجزائر،ولكنها لا تزال مجرد محاولة فقط لا غير.

نعود الى رسالة شولتز الى وفدنا في ستوكهولم عبر وزير خارجية السويد، لنقول بأن وفدنا، لم يوافق على الصيغة التي بعث بها شولتز سواء فيما يتعلق بالجانب الخاص بنا أو بالجانب الخاص بامريكا. وانما اقترح مجموعة تعديلات على الصيغ حتى أصبحت على النحو التالي :

بيان مقترح من منظمة التحرير الفلسطينية.

مساهمة منها في البحث عن سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط، فإن اللجنة

التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تتولى دور الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين، ترغب في إعلان البيان الرسمي التالي:

١ـ أنها على استعداد للتفاوض مع اسرائيل من أجل الوصول الى تسوية سلمية شاملة للصراع العربيال الاسرائيلي، وذلك في اطار مؤتمر دولي، على قاعدة قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ .

٢ـ انها تتعهد بالعيش بسلام مع اسرائيل والجيران الاخرين وان تحترم حقهم في الوجود بسلام، وضمن حدود آمنة ومعترف بها دوليا، وكذلك ستفعل الدولة الفلسطينية الديمقراطية، التي تزمع اقامتها في الاراضي الفسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ .

٣ـ انها تدين الارهاب الفردي والجماعي وارهاب الدولة بكل اشكاله ولن تلجأ اليه .

٤ـ (البند المشطوب)انها مستعدة للوصول الى حظر يشمل جميع أنواع العنف وعلى أسس متبادلة عندما تبدأ المفاوضات .

النص الامريكي:

ان منظمة التحرير قد أصدرت بيانا قبلت فيه قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ واعترفت بحق اسرائيل بالوجود ونبذت استخدام العنف، ونتيجة لذلك فان الولايات المتحدة الامريكية على استعداد لبدء حوار جوهري مع ممثلي منظمة التحرير. إن الولايات المتحدة تؤمن أن المفوضات من أجل الوصول الى تسوية سلمية للصراع العربي الاسرائيلي يجب ان تستند الى قراري٢٤٢ و٣٣٨ وتدعو جميع الاطراف لتجديد مساعيها في البحث عن السلام بدون تأخير. ان الولايات المتحدة تعترف أن ممثلي الشعب الفلسطيني لهم الحق أن يطرحوا في المفاوضات جميع المواقف التي يرغبونها.

وقد اتبع ذلك بأسئلة مرتبة سيوجهها الصحافيون لجورج شولتز للاجابة عليها:

السؤال الاول: هل تصريحكم يعني ان الفلسطينيين يستطيعون أن يطرحوا على طاولة المفاوضات موقفهم بشأن الدولة الفلسطينية؟

الجواب: نعم الفلسطينيون من وجهة نظرنا لهم الحق في متابعة الرغبة في إقامة دولة مستقلة من خلال المفاوضات. انه من خلال عملية المفاوضات والتبادل المباشر بين الاطراف المعنية، فان نتيجة دائمة يمكن الوصول اليها.

السؤال الثاني: هل توافقون على أن المفاوضات يجب أن تتم في إطار المؤتمر الدولي؟

الجواب: ان الولايات المتحدة منذ زمن أوضحت أنها تؤيد المفاوضات المباشرة، ولكننل نبقى مستعدين للنظر في أي اقتراح يقود الى مفاوضات مباشرة تؤدي الى السلام الشامل. ان المبادرة التي أطلقتها في بداية العام، تدعو الى مؤتمر دولي لبدء مفاوضات مباشرة، وأي مؤتمر من هذا النوع يجب أن ينظم بشكل صحيح بحيث لا يكون بديلا عن المفاوضات المباشرة.

هاتان الصيغتان حملهما وفدنا وعاد بهما الى تونس، ليعرضهما على اللجنة التنفيذية التي عقدت اجتماعاً خاصا لهذا الغرض استمر ثلاثة أيام. وقد دار جدل طويل حول كل نقطة من النقاط، وحاول البعض أن يصور هاتين الصيغتين على أنهما أكثر مما يلزم لقرارات المجلس الوطني، ولكن الاغلبية كانت لا ترى ذلك، فتحول النقاش الى الضمانات التي يمكن ان نحصل عليها، والنتائج التي يمكن أن نتوصل اليها. وفي النتيجة انتهى الحوار الى موافقة اللجنة التنفيذية على هاتين الصيغتين.

في هذه الاثناء كانت هناك مشاورات مكثفة تتم مع الاتحاد السوفييتي، حيث استدعينا القائم بالاعمال السوفييتي في تونس وابلغناه بكل التفاصيل التي حصلنا عليها من ستوكهولم. وكان الوفد قبل أن يعود الى تونس التقى السفير السوفييتي في السويد، وأعطاه كل المعلومات حول الحوار وطلب جوابا سريعا من وزارة الخارجية السوفييتية، ولما كان أركان الحكومة السوفيتية برفقة الرئيس غورباتشيف في نيويورك، والذي كان يشارك في أعمال الامم المتحدة، وينوي لقاء

الرئيسين الامريكيين، ثم يقوم بزيارت كل من كوبا وبريطانيا، فقد تأخر وصول جوابهم الينا، والذي طلبناه سريعاً. ولقد كان من المحاذير التي نبهنا اليها هو ان الاميركان يؤيدون التوصل بأي ثمن الى لقاء معنا للتأثير على السوفييت وعلى خطاب غورباتشيف في نيويورك. وكذلك ليوحوا لهم بانهم أصبحوا خارج اللعبة، واننا نحن الفلسطينيين ساهمنا مساهمة كبيرة في طردهم منها. وكذلك كنا حريصين على الحصول على الموقف السوفييتي مسبقاً، قبل ان نبلغ السويدين بموقفنا النهائي. ولذلك طلب مني ان أسافر إلى موسكو للتأكد من موقفها، ويذهب محمود درويش الى ستوكهولم لابلاغ وزير خارجية السويد بالموقف.

في موسكو تم عرض الموقف الجديد الناجم في اجتماع مع وزير الخارجية السوفييتي، وكان رأي السوفييت: سواء كان رد الفعل الامريكي ملتزما بالاتفاق ام لا، فان الخطوة ستؤثر بشكل كبير في العالم، ويجب مستقبلا تكثيف تبادل الاراء، ومن المحتمل ان تحاول الادارة الامريكية الحالية شق الطريق امام الادارة الجديدة وتعاود الخطأ الذي ارتكب في موضوع منح تأشيرة لأبي عمار لدخول نيويورك كي يلقي كلمته امام الجمعية العامة للأمم المتحدة. ومن المحتمل أيضاً أن الادارة الراهنة تنوي التأثير بصورة ما على موقف الحكومة الاسرائيلية وأن رد الفعل الامريكي يعني تنشيط النهج الواقعي الفلسطيني وكذلك السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط. لذلك تظل مجموعة هذه التساؤلات وتبادل الاراء بالتفصيل حول كل ما يجري في الشرق الاوسط ضرورية، لكي تؤدي الى نتائج فعالة.

وقد عرضنا الموقف الاسرائيلي المتوقع، من أعمال حمقاء كالاغتيال وتوسيع الاعتداءات وأعربنا عن اعتقادنا بأن أسرائيل ستكون في عزلة متصاعدة، وسيكون لسياستنا المشتركة اسهام كبير في ذلك. كما عرضنا الوضع المعقد داخل اسرائيل الناجم عن عملية تشكيل الحكومة وكان أمامنا الكثير لنعرف جيدا ماذا سيجري، فالاسرائيليون يشعرون بثقة تجاه بيكر رغم علاقاته الواسعه مع العرب، والحمق الاسرائيلي كان دائما يستند الى الدعم الامريكي، ومهما كان سياق الامور في اسرائيل فالفلسطينيون سيرحبون.

بعد رفض امريكا منح أبي عمار تأشيرة لدخول نيويورك، ليلقي كلمة المنظمة أمام الامم المتحدة التجأنا الى الجمعية العامة، التي أقرت باغلبية ١٥٤ صوتا ضد صوتين (امريكا واسرائيل) نقل اجتماع الجمعية العامة الى جنيف حيث المقر الثاني للامم المتحدة. وهكذا بدأت الاستعدادات لتنفيذ هذا القرار. وبتاريخ ١٤/١٢/١٩٨٩ القى ابو عمار خطابه، الذي استقبل بترحيب عالمي جديد، ولكن امريكا لم تقبل به واعتبرته غير كاف لبدء الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، لانه لم يلبي شروطها التي طلبتها.

ولكن وزير خارجية السويد الذي كان يعرف الحقيقة كاملة والذي شعر أن ابا عمار لم يقدم النص المطلوب منه حرفياً، والذي كان الوسيط الرسمي في هذه المسألة برمتها، أبى الا أن يعتلي منصة الامم المتحدة ويلقي خطابا يؤيد فيه ما ورد على لسان عرفات ويقول :انني أستطيع أن اقطع أن السيد عرفات قد اوفى في خطابه امام الجمعية العامة بكل المطلب التي حددتها واشنطن من أجل بدء حوار امريكي - فلسطيني، ومن وجهة نظرنا فان هذا الوفاء جاء في صورة واضحة لا تحمل شكوك أي من المرتابين في الموقف الفلسطيني. لقد اكد عرفات في خطابه بوضوح كامل أنه مستعد للمفاوضات مع اسرائيل في اطار المؤتمر الدولي على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ كما اكد احترامه لحق اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة معترف بها، وادان الارهاب في كل صوره بما في ذلك ارهاب الدولة، ولقد كانت هذة هي مطالب واشنطن من عرفات.

في اروقة الامم المتحدة، جرى حوار حاد ومكثف حول الموقف الامريكي، وقد حاول وزراء خارجية الدول العربية الذين حضروا الى هناك أن يهدئوا من ثورة أبي عمار، وطًلب اليه عدم الانجرار نحو الاستفزاز او ردود الفعل، مؤكدين له ان موافقة امريكا ستاتي. كذلك اتصل به حول هذا الموضوع. عدد من زعماء العرب مثل الملك حسين والرئيس مبارك. وفي نفس الوقت كانت هناك اتصالات مكثفة مع امريكا لحثها على الموافقة، ولكن الامريكان لم يستجيبوا لأي من النداءين واكتفوا بالقول ان عرفات لم يلب كل شروطنا، وهنا انقسم الوفد والاصدقاء الى قسمين، رأي يقول

بأن على أبي عمار أن يوضح ما قاله بنفس الكلمات المطلوبة، حتى يسحب كل حجج وذرائع امريكا، ورأي يقول بأن المنظمة قد اعطت ما يكفي .

كنت في موسكو اتابع الامور، وكان رأيي انه اذا وجدت ضرورة لمزيد من التوضيح فليكن، مادمنا في اطار القرارات لان تمسك الامريكان بالصيغ والكلمات ما هو الا نوع من المماحكة والذرائع لرفض الحوار مع المنظمة، وكنت أفهم كما يفهم غيري ان الحوار بيننا وبين امريكا ليس مسالة تفصيلية، بل هو نقلة نوعية هامة وخطيرة، واذا كنا قد اتبعنا اسلوب الواقعية في قراراتنا في المجلس الوطني، فقد كان ذلك من أجل أن نكسب تأييد الخصوم وتغيير موقف الاعداء او إحراجهم .

وأبو عمار يعرف ذلك، ولهذا فقد كان يبحث عن مخرج يضع الامريكان في مأزق او يجبرهم على الحوار، لقد حضر الى جنيف كل من حسيب صباغ وباسل عقل، وتابعا باهتمام بالغ مجريات الامور، وعندما وجدا الامور قد وصلت فعلا الى طريق مسدود قام حسيب بالاتصال هاتفياً بريتشارد ميرفي في الدارة الامريكية وأجرى معه حوارات مكثفة للتوصل الى صيغة مقبولة للطرفين لإنقاذ العملية كلها، حيث أن الامر أصبح متوقفا على كلمة وحدة وهي نبذ الارهاب واخيرا تم إقناع أبي عمار بضرورة ذكرها في المؤتمر الصحفي الذي سيعقد خلال ساعة من الزمن... فقرر أن يقول ذلك في المؤتمر الصحفي.. وهذا ما قاله :

دعوني أوضح وجهة نظري امامكم، رغبتنا في السلام استراتيجية وليست تكتيكاً مؤقتاً . نحن نعمل من اجل السلام مهما حدث.

ان دولتنا توفر الخلاص للفلسطنيين، والسلام للفلسطينيين والاسرائيليين كليهما.

وحق تقرير المصير يعني البقاء للفلسطينيين، وبقاؤنا لا يدمر بقاء الاسرائيليين مثلما يزعم حكامهم، أمس في خطابي أشرت الى قرار الامم المتحدة ١٨١ كاساس للاستقلال الفلسطيني. وقد أشرت أيضاً الى قبولنا القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس لمفاوضات مع اسرائيل في اطار المؤتمر الدولي، وهذه القرارات الثلاثة قبلها مجلسنا الوطني الفلسطيني في دورة الجزائر .

وفي خطابي أمس كان واضحاً أننا نعني حقوق شعبنا في الحرية والاستقلال الوطني بموجب القرار ١٨١ وحق كل الاطراف المعنية في صراع الشرق الاوسط في الوجود في سلام وأمن، وكما ذكرت، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل والجيران الآخرين بموجب القرارين ٢٤٢ و٣٨٨ .

اما فيما يتعلق بالارهاب فقد أعلنت أمس بما لا يدع مجالا للشك، ذلك أنني أكرر لتسجيل المواقف أننا نرفض بالكامل وبشكل قاطع جميع أشكال الارهاب بما في ذلك الافراد والجماعات وارهاب الدولة.

لقد اوضحنا ما بين جنيف الجزائر موقفنا، وأن أي حديث على غرار «يجب أن يقدم الفلسطينيون أكثر».. أتذكرون هذا الشعار؟ أو أنه« ليس كافيا» أو« ان الفلسطينيين يقومون بلعبات دعائية أو مناورات علاقات عامة». إن كل ذلك سيكون ضاراً وغير مثمر.. كفى ..يجب مناقشة كل المسائل المتبقية على المائدة وفي المؤتمر الدولي.

وليكن واضحاً انه لا عرفات ولا أي أحد يستطيع وقف الانتفاضة.

فالانتفاضة لن تنتهي الا عندما تتخذ خطوات عملية وملموسة نحو تحقيق أهدافنا الوطنية واقامة دولتنا الفلسطينية.

وفي هذا الاطار أتوقع أن تلعب دول السوق الاوروبية دوراً أكثر فعالية في تعزيز السلام في منطقتنا، وان عليها مسؤولية سياسية وعليها مسؤولية أدبية ويمكنها معالجة ذلك.

وأخيراً أعلن أمامكم، وأطلب منكم أن تنقلوا عني أننا نريد السلام أننا نريد السلام واننا ملتزمون بالسلام ونريد العيش في دولتنا الفلسطينية ونترك غيرنا يعيش.. وشكراً لكم..

وبعد ان انتهى المؤتمر الصحفي بساعات قليلة. غادر أبو عمار جنيف الى برلين .وعندما كان في الجو جاءت الاخبار، أو تسربت من امريكا ،وتفيد أن الادارة

الامريكية ستصدر خلال ساعة أو أقل بيانا تعلن فيه بدء الحوار. وبالفعل بعدأقل من ساعة صدر بيانان أحدهما من جورج شولتز وزير الخارجية، والآخر من الرئيس الامريكي رونالد ريجان. ببدء الحوار مع المنظمة وتكليف السفير الامريكي في تونس بدء هذه المهمة وحصرها به.

لقد حققنا مكسبا هاما، واجتزنا عقبة وضعها في طريقنا منذ أربعة عشر عاما هنري كسنجر، عندما قدم تعهداً رسمياً لاسرائيل بعدم التحدث مع منظمة التحرير، ما لم تقبل القرارين ٢٤٢و ٣٣٨ وبحق اسرئيل بالوجود، ثم أضاف شرطا ثالثا وهو نبذ الارهاب، ولم يكتف بهذا بل استصدر بشأنه قراراً من الكونغرس الامريكي.

ماذا يعني حوار أمريكا معنا؟ أن ذلك يعني أننا كمنظمة تحرير فلسطينية أصبحنا وبشكل حتمي طرفا رسمياً واساسيا في أي حوار حول نزاع الشرق الاوسط. واذا كانت امريكا جادة في الوصول الى تسوية سلمية شاملة، فان اسرائيل ستقبل باسلوب أو بآخر بوجودنا وتعترف بهذا الوجود. وجدية امريكا يمكن أن نستكشفها في المسبقبل القريب. وفي هذه الحالة فان اسرائيل لا تستطيع أن تقف وحدها امام العالم لانها تعرف ماذا يعني لها تأييد أو عدم تأييد أمريكا لموقفها.

لقد نُظر الى هذه الخطوة نظرات مختلفة، بحسب آراء اصحابها، فقد رحب جورج حبش بقرار الادارة الامريكية، واعتبره انتصارا جديدا يضاف الى قائمة الانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية، وقد أعطت الجماهير الفلسطينية بحسها الفطري انطباعاً ايجابياً لانها وصلت الى النتيجة القائلة بان الحوار مع امريكا ليس امراً تفصيليا أو قانونيا، وانما له اهمية قصوى لانه يضع اسرائيل وحيدة في مواجهة العالم، وكذلك في مواجهة الولايات المتحدة نفسها، وهي ستكون غير قادرة على مواجهتها. أما في العالم العربي فقد كان مجمل الرد ايجابي ونقلت وسائل الاعلام العربية تصريحات زعماء العرب التي أيدت بدء الحوار.

واختلفت ردود الفعل في اسرائيل بين الشجب والترحيب، الا أن الخوف كان

السمة الرسمية لتلك الردود بسبب خطوات امريكا، واعتبرتها في بعض المواقف انها القشة التي قصمت ظهر البعير . حيث كانت اسرائيل تختفي وراء التعنت الامريكي، وأصبحت الآن مكشوفة معزولة. وقد أعرب بيان صادر عن رئاسة الوزراء الاسرائيلية بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨٨ عن اسفه لقرار الادارة الاميركية، واعتبر ان الموقف الامريكي لن يؤدي الى احلال السلام ،وأكد ان أسرئيل لن تغير موقفها من المنظمة ولن تتفاوض معها. واعتبر بيان وزارة الخاريجية الاسرائيلية أن هذا القرار يثير قلق اسرائيل، ويزيد انتباهها الى ان المنظمة بعد هذا القرار ستطالب الولايات المتحدة، باعتراف بالدولة الفلسطينية المعلنة ، بسبب هذا الطلب بالذات ، فان اسرائيل ترى تهديداً على امنها. ولا يمكن أن تتجاهله. واشارت تصريحات رابين وبيريز الى ضرورة النظر الى التغييرات الجوهرية التي طرأت في المنطقة، وإلى القيام بمبادرة اسرائيلية سياسية تتمشى مع التطور الجديد، الذي نشأ في اعقاب القرار الامريكي، حيث بدت امكانية التفاوض مع فلسطينيين يقبلون بقراري مجلس الامن ويشجبون ويمتنعون عن ممارسة الارهاب، وقد ذهبت بعض التصريحات الصادرة عن اليسار الاسرائيلي الى ضرورة الحوار مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي الولايات المتحدة سُجِّلت ردود فعل عديدة،باركت الخطوة الامريكية واعتبرتها خدمة للسلام، والتزاماً بامن اسرائيل وسلامتها واختباراً لعرفات، في مدى تقيده بالشروط التي وضعت، وقدرته على أن يقرن القول بالفعل .

وقد أصرّت بعض هذه التصريحات على أن استمرار الحوار الامريكي الفلسطيني سيظل مرهوناً بالتزام المنظمة وعرفات بأقوالها وافعالها. وفي نفس الوقت فان تصريحات وردت على لسان ريتشارد ميرفي في برنامج تلفزيوني بتاريخ ١٨/١٢/١٩٨٨ أظهرت تفهم امريكا لوضع عرفات ومدى سيطرته على الفصائل الفلسطينية المعارضة واستعداد الولايات المتحدة للنظر في كل حادثة إرهاب على حدة واعتماد الوسائل الجدية لمعرفة المتورطين من كل الجهات، وحرص الولايات المتحدة على ان لا يكون لمنظمة التحرير الفلسطينية صلة بأي حادث، حال قيامها بفصل من يكون له أي ضلع في أية عملية إرهابية.

وتعالت أصوات أخرى مسؤولة في الولايات المتحدة تطالب اسرائيل بطرح مبادرة سياسية اذا ما رغبت في الأمن. وعليها قبول حقيقة ان للفلسطينيين حقوقا سياسية مشروعة.

ولعل أبرز المواقف التي صدرت ،ذلك الموقف الذي أعلنه رولان دوما وزير خاريجية فرنسا من خلال اذاعة مونتي كارلو بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٩٨٨، والذي أعلن فيه ارتياح فرنسا للقرار الامريكي الذي اعتبره تقدما على طريق السلام ، واعرب عن أمله في عقد اجتماع سريع للدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، للبحث في أساليب دفع عملية السلام.

وعلى الرغم من تواصل جلسات الحوار الفسطيني ـ الامريكي عبر سفارة الولايات المتحدة في تونس، فان الحوار ظل في اطار مناقشات عامة، ولم ترتق الى مستويات تصل الى حد إرساء خطوات نحو تحقيق ما يؤدي الى دفع عملية السلام في الشرق الاوسط وابرازها الى الوجود.

وقد انقطع الحوار بعد أن استغلت امريكا قيام مجموعة عسكرية تابعة لابي العباس بعملية على شاطئ تل ابيب في شهر مايو/ايار ١٩٨٩ ، مما حمل الولايات المتحدة على قطع عملية الحوار، لانها اعتبرت العملية خرقاً لشروط الحوار الفلسطيني ـ الامريكي.

الفصل الرابع

قنوات خلفية مع الليكود

في لقاء جمعني مع منير ڤيلنر أمين عام الحزب الشيوعي الاسرائيلي في موسكو بعد اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ تحدث ڤيلنر عن واقعة حصلت له مع أرييل شارون في الكنيست حيث كان خارجاً من بابه وشارون داخلاً، فالتقت العيون ولم تلتق الألسن، فأمسك شارون بكتف ڤيلنر وقال له: لماذا لا تسلّم علي؟ ولماذا تشيح بوجهك عني؟ فرد ڤيلنر: انا لا أسلم على سفّاك دماء، فسأله شارون: أتقصد الفلسطينيين؟ قال ڤيلنر: نعم أقصد دماء الفلسطينيين، أقصد حصار بيروت، شهوتك للقتل، ألا تعتقد أنهم بشر مثلنا ولهم حقوق مثلنا ايضا؟ فرد شارون وهو يغادر: ستعرف يوما انني انا الذي سيقيم الدولة الفسطينية.

سألت ڤيلنر: هل تعتقد انه صادق فيما يقول. او أنه يقصد بالدولة الفلسطينية الأردن كما يصرح دائماً؟ رد قائلاً، لا أدري بالضبط ولكني لمست في صوته لهجة جادة لم أعهدها من قبل، قد يكون قصده ما قلت ، وقد يكون غير ذلك . ولكني أروي لك هذه الواقعة لتمحصها، فليس في السياسة ثوابت ولا جوامد، كل شيء عند السياسين قابل للمناقشة.استغربت جداً أن اسمع مثل هذا الكلام على لسان زعيم ليكودي متطرف، تقوم سياسة حزبه على نظرية الترحيل للفلسطينيين، بل ان شعار حيروت لا زال قائماً، والذي يعتبر الأردن بضفتيه وطناً قومياً يهودياً ويكتبون تحت خارطة الضفتين هذه لنا.. وهذه ايضاً لنا .. وبهذا فقط (رسم بندقية). ونعرف أن جابوتنسكي زعيم التحريضيين ومنشئ حركة حيروت، انفصل عن الوكالة اليهودية لانها تهادنت في أهداف الحركة الصهيونية، وقبلت أن يتقلص الوطن القومي ليشمل فلسطين فقط .

ظل حوار ڤلنر ـ شارون عالقاً في ذهني لا يفارقني، وكنت أتساءل في نفسي لماذا لا يكون صحيحاً ؟ لماذا لا نجرب الاتصال مع هذا الرجل أو مع غيره من أعضاء حزبه؟ ان الحوار لن يكون بين أصدقاء، وانما بين اعداء. لقد أتخذ مجلسنا الوطني

قراراً سمح لنا بالاتصال فقط مع القوة التي تعترف بحقوقنا. وكنت ارغب ان يوسع مجلسنا الوطني السماح بهذه الاتصالات لكي يشمل القوة الرافضة وحتى القوة المعادية. لأن مثل هذه الاتصالات هي التي تؤدي بالنتيجة الى اتفاق يشمل القوة المعادية وغير المعادية في اسرائيل.

اعتبارا من عام١٩٧٧ ووصول الليكود الى السلطة تهمش، دور حزب العمل وأصيب بنوع من الضعف والهزال، خصوصاً وان خروج إيغال يادين منه واستقطابه لعدد من القادة التاريخيين جعل حزب العمل يصل الى أدنى درجة ضعف في تاريخه. ولم يستطيع في الجولات الانتخابية المتتالية ان يستعيد وعيه ومكانته، وبقيت الكلمة الأولى في اسرائيل لليكود وللمتحالفين معه من صقور العمل والاحزاب الدينية. حتى عندما يحصل تساو في الأصوات، فان فرص الليكود لتشكيل الحكومة كانت أوفر من فرص العمل، وذلك لأن الليكود حزب متماسك، ولديه شهوة للسلطة انتظرها ثلاثين عاما في صفوف المعارضين، بينما أصبح العمل، بسبب التنافس الشخصي وربما السياسي بين رابين وبيريز، أكثر تفككاً وضعفا. وهكذا لن يكن أمامنا الا أن نبحث في صفوف الليكود عمن يرغب في لقائنا والحديث معنا .. الى أن جاء لقاء عميراف ـ نسيبة.

لقاء عميراف / نسيبة:

تصاحب لقاء عميراف ـ نسبيه مع نشاطات أخرى ولقاءات أخرى جرت في وقت متزامن وفي أماكن مختلفة، أثارت نوعاً من الجدال السياسي في اوساط الاسرائيليين والفلسطينيين على السواء. وعلى الرغم من ان هذه اللقاءات لم تؤت أكلها في وقتها، ولم تؤد الى نتائج مباشرة، الاانها أوجدت أرضية صالحة للحديث والحوار، وخلقت تراكمات تفيد مع استمرارها وبمرور الزمن، ليبنى عليها ما وصلنا اليه هذه الايام وما حققناه اخيرا يوم ١٣/٩/١٩٩٣

إن ما كان يهمنا من نضالنا المسلح هو أن لا نكتفي بصوت السلاح الذي يطرق أسماع الاسرائيليين. وانما يهمنا أيضا ان تصل مع الرصاصة كلمة، كلمة تقول

للاسرائيليين تعالوا الى كلمة سواء، تعالوا لنجلس سويا على طاولة واحدة نتحدث فيها عن همومنا المشتركة، وآمالنا واحلامنا، تعالوا نبني للاجيال القادمة مستقبلاً أفضل من حاضرنا، فاذا وصلنا نحن الى القناعة بانكم موجودون فما عليكم الان تقابلونا بنفس هذه القناعة، ونأمل ان تكونوا قد توصلتم الى الاستنتاج الذي يقول بأن شمس الصحراء العربية لم تُذب الشعب الفلسطيني، وان حواراتكم مع الجيران لا تغني أبداً عن الحوار مع أهل الارض واصحابها المشتاقين اليها، التواقين الى هوية وعنوان. ان سنوات الهجرة الطويلة المريرة وايام الضياع والظلم التاريخي، لم تنسي هؤلاء حاجتهم الى الهوية والعنوان، وان حياة الرغد والسعة التي عاشها بعض هؤلاء زادتهم إحساسا ورغبة واندفاعاً نحو ما ينقصهم وما هم بحاجة ابدية إليه. الصراع العربي الاسرائيلي أو بمعنى ادق الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، هو صراع قائم على نفي احدهما للآخر، صراع شعبين على ارضْ واحدة وكل يدعي أنه صاحب الحق فيها، ويقدم براهينه وحججه، الا ان ما يحكم النتيجة ليس الحق وليست البراهين والحجج، أنه الامر الواقع والقوة. وفي هذا العصر وفي غيره من عصور التاريخ تبقى القوة الامر الواقع والحكم الفاصل في كل القضايا.

أن مشكلتنا هي مع اؤلئك الذين يرون العالم من منظار قناعاتهم وفهمهم لمساره من خلال ايديولوجياتهم التي تناقلوها عبر السنين، فاذا أضفنا الى ذلك تمتع هؤلاء بالتفوق التكنولوجي والعلمي والقوة العسكرية والتاييد العالمي، فلا أعتقد انهم سيجدون أي مبرر لتراجعهم او العدول عن مواقفهم.

أن هذا المفهوم ينطبق على كثيرين من رجال الليكود والاحزاب الدينية واليمينية المتطرفة التي لا زالت تضع على عينها غشاوة سوداء حتى لا ترى التطورات العالمية والمتغيرات الدولية التي طرأت، والتي تفترض على كل انسان ان يعيد حساباته ويراجعها، والتي اوصلت اسرائيل الى مأزق استراتيجي في منطقة الشرق الاوسط لا يمكنها الخروج منه الا برضوخها وتعاملها مع حقائقها، واولها الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في ارضه، واعادة النظر في كل سياساتها وتعاملها مع دول المنطقة وشعوبها.

أن قصة عميران ـ نسيبة تدل على أن بعضا من أطراف اليمين بدأ يراجع نفسه ويتلمس الحقائق، وان كان على استحياء. وسنرى كيف تمت والى أين انتهت.

بدأت الحكاية يوم ٤يوليو/تموز١٩٨٧ في بيت موشيه عميراف عضو المؤسسات المركزية في حيروت ورجل الليكود القريب جداً من اسحاق شامير، وبحضور سري نسيبة وصلاح زحيقة، ودار الحديث حول الحل المفضل للقضية الفلسطينية، حيث أن عميراف معروف بآرائه الليبرالية من القضية العربية، ومعروف عنه ايضا انه يرى أن لا مفاوضات بدون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان الواسطة في هذا اللقاء دافيد إيش شالوم، يهودي من اصل شرقي كتب مؤخراً كتاباً عنوانه«الرعب والامل». وقد اقترح فيه اقامة كيان فلسطيني غير مسلح في يهودا والسامرة وقطاع غزة بقيادة المنظمة. وقد دار مع كتابه على وزراء واعضاء الكنيست بدءا باعضاء حزب العمل، ولكنه وجد في حزب حيروت وعند الفلسطينيين آذاناً صاغية كما وجد أنه يوجد تحت السطح تيارات في حزب حيروت، تتخوف من استمرار الوضع الراهن، وترى في حل القضية الفلسطينية مراهنة للحفاظ على الوجه الخلقي للدولة.

موشي عميراف ومثلة كثيرون في حزب حيروت يرون أن مبادرة من الليكود نحو الفلسطينيين سوف تضع المعراخ في موقف حرج جداً، لانه لن يستطيع معارضتها، الأمر الذي سيؤدي الى انتصار الليكود في انتخابات ١٩٨٨، لذلك فهو يرى ان هناك مصلحة مشتركة لليكود والفلسطينيين في اقامة حكم ذاتي كتسوية مرحلية مقبولة من الطرفين. ومثل هذه التسوية لا تتم الا مع المنظمة، حيث انه لن يوافق اي فلسطيني على كونه عضواً في« المجلس الاداري» بدون موافقتها.

هذه الافكار اتفاق إيش شالوم وعميراف على تسويقها، الأول يسوقها لدى الفلسطينيين والثاني لدى حيروت. وعندما عرض الأخير أفكاره على شامير لم يرفضها ولكنه لم يوافق عليها، وقد عبر شامير عن خشيته ان يستغل الفلسطينيون

هذه الافكار لصالحهم داخل حيروت، الا ان عميراف قال في ما بعد ان مجموعة من الشخصيات القيادية في حيروت تتفق معه على الحاجة الملحة لحل القضية الفلسطينية، الا انهم يضعون حواجز امام انفسهم. ومن هؤلاء الوزير موشيه كتساف وأعضاء الكنيست منير شطريت، دان مريدور، إيهود أولمرت، وابن رئيس الحكومة السابق بنيامين بيغن .

هذه الافكار حملها نسيبة وزحيقة الى فيصل الحسيني، لكي يتم اللقاء الثاني في بيت سري نسيبة في قرية ابو ديس يوم ١٩٨٧/٧/١٣ . حضر هذا اللقاء الصحفي أشالوم وعميراف، وفيصل الحسيني. وفي اللقاء اتفق عميراف والحسيني على ان حلم ضفتي الاردن[١] من جهة وحلم يافا وحيفا من جهة اخرى لن يتحققا ابداً. ثم دار حديث، قاده الحسيني من جهة وعميراف من جهة أخرى، وشارك فيه أشالوم حول مختلف القضايا، وكان واضحا أنه اقرار من الجانب الاسرائيلي بشرعية تمثيل المنظمة. ثم تحدثوا عن الدولة الفلسطينية المقبلة واسلوب تسليحها والضمانات الدولية والمفاوضات ووقف العنف وغير ذلك، ثم غادر الحسيني المكان واتفق ان يعد عميراف ورقة عمل يلخص فيها أفكاره.

اللقاء الثالث تم في معهد الدراسات العربية في ١٩٨٧/٧/٣٠ حضره عميراف وإيش شالوم ونسيبة مع فيصل الحسيني. وقال عميراف ان عضوي الكنيست اهودا أولمرت ودان ميريدور سينضمان للمحادثات فيما بعد. وكذلك مدير مكتب رئيس الحكومة . ألا انهم لم يفعلوا في الوقت المحدد بسبب تسرب الخبر الى صحيفة علهمشار، ومع ذلك فان أولمرت التقى نسيبة في بيته ولم يتطرق إلى أية مواضيع جدية.

وفي اللقاء الرابع في ٢٢ آب /اغسطس١٩٨٧ وُضعت الصيغ لورقة تفاهم تكون أساساً للنقاش بين القيادات، وطرحت امكانية سفر عميراف الى جنيف للقاء عرفات. تحدث الجميع عن تفاصيل دقيقة تتعلق مثلا بشكل نقودالدولة الفلسطينية

---

(١)ضفتا الاردن شعار حيروت، اي ان الدولة اليهودية لا تضم فلسطين فقط بل الاردن ايضاً

والسفارات التابعة لها وجوازات السفر أو شهادات السفر وغير ذلك من التفاصيل وكأن الأمر حديثا عن اتفاقية سلام حقيقية.

اللقاء الاخير تم في ٢٢آب / أغسطس ١٩٨٧ في فندق Orient House الذي تملكة عائلة الحسيني، حيث قال عميراف بأن الورقة التي أعدها سلمها الى أعضاء مهمين في وفد رئيس الحكومة المغادر الى رومانيا. وفي الورقة تسوية مرحلية لفترة من ثلاث الى خمس سنوات يتم خلالها إنشاء كيان فلسطيني منزوع السلاح في الضفة وغزة، والعاصمة الادارية لهذا الكيان تكون القدس الشرقية . ويتمتع هذا الكيان بميزات قوية جدية، من بينها علم ونشيد وطني وعلاقة كونفدرالية مع الاردن، وفي الفترة الانتقالية ستسحب اسرائيل جيشها من التجمعات السكنية العربية، ولكنها تستمر في سيطرتها على نقاط استراتيجية تحدد على طول نهر الاردن. وفي نهاية الورقة ثلاث شروط للبدء بالمفاوضات بين الجانبين، أولها وقف متبادل لأعمال العنف، والثاني تجميد المستوطنات، والثالث اعتراف متبادل بينا اسرائيل ومنظمة التحرير .

كان يفترض ان تُنقل الورقة الى عرفات في جنيف، ولكن الحسيني اعتقل لمدة ثمانية ايام، ولم يسافر عميراف الى جنيف لانه لم يتلق - حسب قوله - ضوءا اخضر من شامير.

وعندما كُشف الأمر، اعترف شامير بانه كان يعرف عن أحد اللقاءات التي تمت في بيت عميراف وانكر اعترافه بالباقي، كان ذلك في اجتماع للحكومة الاسرائيلية، لكن عميراف قال انه قدم له تقريرا عن لقائه مع سري نسبية وبالتالي فهو موجود بالصورة، وان المستند الذي كتبه قد وصل الى شامير بالفعل.

وقال إيش شالوم ان عميراف طلب منه يوم ١٦ آب /اغسطس١٩٨٧ أن يوقع على ورقة مكتوب فيها: ان أي نشر عن أعمال او اقوال او نشاطات رئيس الحكومة ومساعدية من الموظفين الكبار وحتي أعضاء الكنيست بما يتعلق بالاتصالات مع الحركة الوطنية الفلسطينية يلزمه سلفاً موافقة عيمراف على ذلك خطياً. وهذا يعني من وجهة نظره ان رئيس الحكومة ومساعديه شركاء في هذه المبادرة.

في لقاء مع سري نسيبة أجرته مجلة هاعولام هازيه في ١٩٨٧/١٠/٦ قال: جاءني ديفيد إ يش شالوم وقال ان له أصدقاء في الليكود معنيون بالاتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية أنهم من اؤلئك الذين اهتموا باللقاءات بين الاسرائيليين والفلسطينيين التي جرت في بوخارست وبودابست، وفي بيت عميراف ذكر هذا اسماء دان مريدور، وأيهود أولمرت أعضاء كنيست، والدكتور بنيامين زئيف بيغن وهانغبي ابن غيئولا كوهين وغيرهم. ثم قال انه يؤمن بأن الفلسطينيين شعب ولهم نفس الحقوق على أرض أسرائيل كالشعب اليهودي، ولهم حق تقرير المصير واقامة دولة لهم وانتخاب ممثليهم، ولئن كانت منظمة التحرير الفسطينية حسب تقديرهم هي ممثله فليكن، الا أنه شرح أن نشر هذه الافكار علنا ستحطمه. ولذلك فقد تحدث عن سرية الاجتماعات، بينما نحن لم نبال بالنشر لأن الامر لا يغير عندنا شيئا، فالمبادئ التي تكلمنا عنها هي ضمن الموقف الفلسطيني، الا اننا احترمنا إرادته وحافظنا على السرية.

وعندما ذهب إيش شالوم الى جنيف والتقى عرفات ليسأله اذا كان على استعداد لاعطاء رسالة تتضمن نفس النقاط الواردة في الورقة، سأله عرفات ان كان مندوباً عن الحكومة الاسرائيلية، ولما نفى، قال عرفات انه ليس هاوياً سياسيا، وبالتالي فهو ليس على استعد لاعطاء رسالة لأحد، وهو بهذا أصاب عصفورين بضربة واحدة، من ناحية لم يعطي رسالة ومن ناحية أخرى وغير مباشرة نجح بتبليغ الجمهور الاسرائيلي أنه بشكل مبدئي موافق ومستعد للاشياء التي دار الحديث عنها.

تقول مصادر اسرائيلية انه بعد الإنتهاء من الوثيقة بثلاث ساعات تم اعتقال فيصل الحسيني، وأصدر اسحاق رابين أوامر بقصف مخيم عين الحلوة قصفاً وحشياً، حلّ كل ذلك في الوقت الذي كان مقرراً ان يسافر عميراف الى جنيف للقاء عرفات.

بعد كل هذا، ما هي حقيقة الوثائق الذي قدمها عميراف، وما هي البنود التي

وردت فيها. وما هي الشروط المسبقة وغير ذلك، وهذه هي نقلا عن صحيفة الشعب المقدسية في ١٩٨٧/٩/٢٣ ,

١ ـ الحقوق الوطنية بما فيها حق تقرير المصير للشعبين في هذه البلاد هي حقوق غير قابلة للتصرف.

٢ ـ ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ولها وحدها صلاحيات تمثيل الشعب الفلسطيني في أية مفاوضات مع الحكومة الاسرائيلية، مع الإقرار بحق اسرائيل بالوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها.

٣ـ ان اية محاولة للتوصل الى اتفاقية سلام بمعزل عن حزب الليكود وعن منظمة التحرير سيكون مصيره الفشل.

٤ـ الأوضاع الحالية لا تحمل في طياتها امكانية التوصل الى تسوية لحل الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي.

ونحن نتفق على ما يلي:

١ـ وجود مرحلتين للمفاوضات بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية، وبحيث تؤدي المرحلة التمهيدية الى التوصل الى اتفاقية انتقالية، على أن تؤدي المرحلة الثانية الى التوصل لاتفاق سلام نهائي.

٢ـ المرحلة التمهيدية من المفاوضات يمكن أن تبدأ عبر بلد آخر يتفق عليه، وتبدأ المرحلة الثانية من المفاوضات بعد مرور عام على تطبيق الاتفاقية الانتقالية، وسوف تقرر الاطراف المتفاوضة طبيعة الشكل النهائي لمؤتمر السلام والضمانات الدولية المطلوبة لدعم اتفاقية السلام النهائي، ويكون مفهوما ان الاتفاقية الانتقالية، تستمر لمدة تتراوح بين ثلاث الى خمس سنوات.

٣ـ مفهومنا للمرحلة الانتقالية يكون على اساس اقامة كيان فلسطيني في المناطق التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية في يونيو / حزيران ١٩٦٧ مع وجود عاصمة ادارية في الجانب العربي من القدس، ويتمتع السكان الفلسطينيون في هذه

المناطق بادارة شؤونهم بانفسهم بطريقة يتفق عليها في المرحلة الاولى من المفاوضات، ويؤخذ بالحسبان الحقوق المشروعة لهذا الكيان الفلسطيني على الموارد الطبيعية، وفي نفس الوقت متطلبات اسرائيل منها. ويقوم الفلسطينيون بادارة شؤونهم بأنفسهم بعد عام من توقيع الاتفاقية الانتقالية.

٤- ويكون مفهوما ان هذا الكيان يحق له ان يمارس شعاراته الوطنية كالعلم والعملة الخاصة به والنشيد الوطني وشبكة اتصالات اذاعية وتلفزيونية مستقلة، بالاضافة الى اصدار هويات خاصة ووثائق للسفر وصلاحيات أخرى يتم الاتفاق عليها في المفاوضات، مع الاخذ بعين الاعتبار ان لا تمس هذه الصلاحيات بظروف السلام المنشود بين هذا الكيان واسرائيل.

٥- يتم التوصل الى اتفاقية شاملة بخصوص إقامة هذا الكيان وبخصوص أوضاع المستوطنات الاسرائيلية والمستوطنين وعودة الفلسطينيين وإعادة اسكانهم واقتسام الموارد والاقتصاد والتعاون التجاري.. الخ، خلال المرحلة الاولى من المفاوضات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بالاضافة الى ذلك ونظرا الى الحاجة لخلق الاجواء المناسبة لاقامة المفاوضات يتم الاتفاق على ما يلي:

أ - تقوم اسرائيل بالاعلان عن اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني. وتعترف منظمة التحرير الفلسطينية بنفس الوقت بدولة اسرائيل.

ب - يعلن الطرفان عن استعدادهما للقيام بمفاوضات مباشرة فيما بينهما للتوصل الى تسوية.

ج - تعلن اسرائيل رسميا عن تجميد كافة نشاطاتها الاستيطانية في المناطق المحتلة مع التوقف عن اعمال العنف ضد أبناء الشعب الفلسطيني وممتلكاته خلال المرحلة الاولى، كما تعلن منظمة التحرير الفلسطينية عن وقف كافة أعمال العنف

ضد اسرائيل وشعبها وممتلكاتها، ويكون مفهوما ان المرحلة النهائية من المفاوضات ستؤدي الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة.

محاولات مع شارون

بعد فشل تجربة عميراف ـ نسبية، استنتجنا ان الفشل لم يكن نهائيا، وانه بالاطلاع على حيثيات هذه التجربة، اكتشفنا ان عميراف لم يقدم على هذه الخطوة منفردا وبصفة شخصية، بل انه استشار عدداً من قادة الليكود بما في ذلك مدير مكتب شامير. كما ان عدداً من الوزراء كانوا على اطلاع على محاورات عميراف، وهذا يعني ان المسألة غير مرفوضة من حيث المبدأ من قبل أوساط الليكود. لذلك كان علينا ان نبحث عن طريق آخر نواصل من خلاله استمرار الحوار. وقد رغبنا ان يكون الحوار مع اشد الاسرائيليين عداوة وقسوة، ارييل شارون.

شارون شخصية تبحث عن موقع قيادة، وطموحاته اكبر بكثير من قدراته الشخصية والسياسية، وحيث انه لا يُعرّف عن نفسه، الا انه زعيم ملهم، فهو يتطلع دائما الى التغيير لعله يتبوأ يوما كرسي الرئاسة. في بداية السبعينات كان عضواً في حركة حيروت التي كانت تتآلف مع بعض الحركات الصغيرة لتشكل تجمعا اسمه «جاحال». شارك هذا التجمع في حكومة الائتلاف الوطني التي شكلت عشية حرب يونيو / حزيران ,١٩٦٧ وبعد ذلك انفصل شارون عن حيروت وأسس قائمة مستقلة اسمها «شلوميت تسيون» حيث حصلت في الانتخابات على مقعدين كان احدهما له. عاد بعد ذلك لينضم الى تكتل الليكود ويتمتع بدور ريادي فيه، وشكل هذا التكتل حكومته إثر انتخابات ١٩٧٧، لم يلمع اسمه الا في مناسبتين الأولى عندما قام بخرق الدفرسوار على قناة السويس والثانية عندما اجتاح بيروت في يونيو / حزيران ,١٩٨٢ شغل منصب وزير الاسكان وكان حريصا على بناء المستوطنات والمساكن بشكل عشوائي، من أجل ان يحقق حلمه الصهيوني في السيطرة الكاملة على الارض المحتلة.

بعد انتخابات الدورة الثالثة عشرة للكنيست وسقوط الليكود، كان من ضمن

اربع مرشحين للتربع على عرش حزبه، وهم شامير، أرينز، ليفي وشارون. وظهر بعد اعتزال شاميرو أرينز ان حظه سيكون وافراً، الا ان نتنياهو تفوق عليه فأصيب بالاحباط.

قام (م .د)الذي لا نريد ان نذكر اسمه حفاظا عليه، بإجراء اتصلات تمهيدية للقاء مع شارون، لدى احد مدراء المخابرات الاسرائيلية، الذي اعطى لنفسه اسم (بوني) والذي كان يتقن اللغة العربية، ويحمل درجة الماجستير في العلوم السياسية. وقد اجتمع معه في فندق شيراتون تل ابيب يوم ٢٠/٣/١٩٩٢ وجرى الحوار التالي:

بوني: من أين تعرف أبا مازن ومتى عرفته.

م. د :عرفته منذ زمن بعيد عندما كنا زملاء في المدرسة.

بوني : من يؤيده في اللجنة المركزية.

م .د : انه يمثل التيار الذي يريد الحوار مع اسرائيل وهذا يشمل معظم أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية.

بوني : عن ماذا يريد ان يتكلم معنا.

م . د :تعرفون ان المفاوضات لم تتقدم، وهو يرغب ان يتم الحوار مباشرة مع المنظمة ، وكل امر قابل للتفاوض.

ثم جرى لقاء آخر يوم ٢٥ ابريل/ نيسان١٩٩٢ مع طرف آخر من المخابرات الاسرائيلية. وانتهى الاجتماع. وعاد (بوني) و (م . د).ليلتقيا مرة أخرى يوم ٢/٥/١٩٩٢في نفس المكان، وجرى الحوار التالي.

م . د: أنا فلسطيني ولي مصلحة في الحل. ونجاحي يحقق لي سمعة طيبة ورصيداً لدى شعبي.

بوني· هل تلتقي مع أبي مازن في الاردن.

م . د :نعم نلتقي.

بعد ذلك قال بوني : لقد اجتمعنا نحن المدراء الخمسة، وقيمنا النتائج ورفعنا ها للحكومة. أرجو ان تفهموا اننا اذا لم نعطِ جواباً سريعاً فهذا لا يعني الرفض.

وبهذه المناسبة فقد أبلغنا الحكومة ان عرفات مطلع على هذه الاجتماعات.

وقد مهدت هذه اللقاءات لاجراء أول اتصال مع شارون من خلال (م . د) وهو فلسطيني من الضفة الغربية له أخ يعيش في اسرائيل، وذلك في يوم ١٩٩٢/٦/٦ حيث وجهنا اليه اسئلة، وحصلنا على اجاباتها كما يلي:

س: هل انت مستعد ان تتحدث عن عملية السلام.

ج : نعم.

س : هل انت مستعد لاجراء لقاءات معنا.

ج : نعم.

س : ما هو موضوع النقاش.

ج : مفتوح.

س :أين المكان.

ج : يمكن الاتفاق عليه.

وبعد تسرب الخبر الى الصحافة ، التقى (م . د) مع شارون وكان اللقاء الأول المباشر معه، راح شارون يرغي ويزبد وقال: أنهم يريدون ان يبتزوني ويدمروا مستقبلي السياسي ثم قال : قد نفوض سالي موريدور للقاء معكم، ولكن عليهم ان يفهموا ان أي لقاء بعيد عن امريكا لن يتم، وهم مخطئون اذا فكروا بغير ذلك.

محاولة ديفيد كمحي:

ديفيد كمحي اسم مشهور في عالم الموساد، خبير في الشؤون الإيرانية، مسؤول حاليا عن العلاقات مع الجمهوريات الاسلامية السوفييتية السابقة. وهو

من اصل ايراني هاجرت عائلته الى فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل. عمل في العلاقات الافريقية ـ الاسرائيلية، ترأس لجنة اللاجئين في الوفد الاسرائيلي الى اوتاوا في المفاوضات المتعددة الاطراف. لعب أدوارا هامة في هجرة اليهود، وأصدر مع شقيقه جون كمحي كتابا اسمه «الدروب السرية»عن الهجرة غير الشرعية الى فلسطين. كما أصدرا سويا صحيفة جويش كرونيكل. وكان مؤخراً مدير عاما لوزارة الخارجية إبان مرحلة كامب ديفيد، ثم عمل سفيراً متجولاً .

ديفيد كمحي ينتمي الى تكتل الليكود، وقد جرت اتصالات مع الليكود، الا ان هذه الاتصالات لم يكتب لها التقدم أو النجاح لانها كانت تكشف بوقت مبكر، بحيث لا يتيح لها ان تثمر أية نتائج، أو أن اعضاءاً في الحزب لا تروق لهم مثل هذه الاتصالات، او لانها تجري مع شخص دون آخر او جناح دون آخر مما يثير تنافس بين الاشخاص والاجنحة تؤدي الى كشفها. ان تلك الاتصالات لمجرد وقوعها تملي علينا ان نغوص في اعمال الليكود لنبحث عن الاسباب الايديولوجية او النظرية السياسية التي تدعو الى تلك الاتصالات التي يقبل بها البعض على غير ما هو معروف عن تطرف هذا التكتل الذي قاده الى السلطة ميناحيم بيغن وورث زعامته اسحاق شامير منذ عام ١٩٨٢ .

لا استطيع ان اقبل ان اليهود كلهم يحملون نفس الافكار والمعايير السياسية والانسانية لمجرد ان دولة اسرائيل دولة يهودية، او دولة اليهود كما يحلو للبعض ان يسميها. واذا تعمقنا اكثر نصل الى استنتاج آخر، وهو أن الصهاينة او معتنقي الفكر الصهيوني ليسوا نمطاً واحداً من البشر والافكار والسلوكيات. وهذا ينطبق على الاحزاب أيضاً، فليس كل من ينتمي الى حزب يميني يصنف متطرفاً. وكل من ينتمي الى حزب يساري يصنف معتدلاً. لقد جمع الليكود عيزرا وايزمن وميناحيم بيغن الا ان الاثنين مختلفين في الافكار والاتجاه السياسي ولم يلبثا ان افترقا.

وكثيرون مثلهم ليس بالضرورة ان يفترقوا وأنما يمكن ولاسباب كثيرة ان يتعايشوا تستمر بينهم الرابطة الحزبية. وهذا ينطبق على موشيه شاريت وديفد بن غوريون اوآبا إيبان وغولدا مائير من حزب العمل، كذلك فان الظروف والمتغيرات

والسن تؤثر على فكر الانسان وتحوله وتطوره. فموشيه ديان المتورط في الخمسينات بفضيحة لافون ليس موشه دايان في السبعينات، الذي يسعى الى السلام ويستقيل من وظيفته كوزير للخارجية، لانه اختلف مع بيغن على النهج والاهداف ليحقق السلام مع مصر.

وكثيراً ما نسمع في داخل الحزب الواحد عن اجنحة مختلفة.ففي حزب العمل كانت هناك مجموعة ال١٧ التي تشير الى عدد جناح الحمائم من اعضاء الكنيست التابعين لهذا الحزب، مقابل عدد متقارب معهم يسمى جناح الصقور. وكان الاول بزعامة شمعون بيريز والثاني بزعامة رابين. وكم كنا نشعر اثناء حكومات الائتلاف ان اسحاق رابين اقرب الى اسحاق شامير من شمعون بيريز بسبب مواقفه المتطرفة. ثم يأتي اليوم الذي يقف رابين على منصة في البيت الابيض يصافح ياسر عرفات. وفي الليكود تحدثوا كثيراً عن الجناح المعتدل في شريحة الامراء، مقابل الجناح المتطرف الذي يقوده الكهول. بطبيعة الحال ان النظرة الواحدة لكل الاسرائيلين خاطئة، كما تكون خاطئة ايضاً اذا انسحبت على الاحزاب والفئات ومختلف التسميات. والخطأ الاكبر هو أن تشمل مثل هذه النظرة اليهود، كل اليهود في العالم. وعودة الى البدايات نرى ان آحاد هاعام الذي يعرف بآشر غينزبرغ والذي ولد عام ١٨٨٦ وهو الذي اسس حركة بني موسى. بنى مؤسسات صهيونية ثقافية في فلسطين وقال :انهم يستشيطون غضباً ممن يذكّرونهم بوجود شعب آخر يعيش هناك في فلسطين ولا ينوي المغادرة. لقد كان هيرتزل يتصور ان فلسطين لاشعب لها وكنت مثله أتخيل انها مستنقعات، لكني ارى شعباً وحضارة واطفالاً وبرتقال. فاذا اخذناها وطردناهم منها فنحن نرتكب ظلماً كبيراً.(٢)

ونذكر في هذا السياق ان ادوين صموئيل مونتاغو، الوزير اليهودي الوحيد في وزارة لويدجورج، دخل في معركة حامية مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية ارثر بلفور حول الوعد الشهير، لانه كان يعتقد أن مثل هذا الوعد لا يسعى لتحقيق

---

(٢) كتاب صك المؤامرة . اصدار دار الفتى العربي ، ١٩٩١ ص ٥٢

مصالح اليهود، وان مستقبل اليهود وماضيهم لا يهم الواعدين، وأن هذا الوعد ليس لحل مشاكل اليهود وإنما لحل مشكلة الأمبراطورية. ويقول مونتاغو: «اصبحنا نحن اليهود لعبة في يد الدول الكبرى تستخدمنا للحفاظ على مستعمراتها، وتأمين طرق مواصلاتها»، وكان لويد جورج بالذات يقول في جلساته الخاصة: أن ترك الاماكن المقدسة في فلسطين تحت رحمة فرنسا، يضرب نفوذ بريطانيا في الصميم.

اذا اعتبرنا ان الخلاف بين هيرتزل وآحاد هاعام نمطاً من الخلاف بين المؤسسين الاوائل للحركة الصهيونية، وهو خلاف جذري وشامل، فإننا نواجه في قضية مونتاغو نمطاً آخر من التوجهات الفكرية والسياسية بين اليهود وغير اليهود، فيما يتعلق باساس الفكر الصهيوني واهدافه ومنطلقاته.

ولذلك فان النظرة المبسطة والمريحة لهذه الظاهرة لا يمكن أن تؤدي الى اية استنتاجات صحيحة في التعامل الحالي أو المستقبلي مع مسألة الصراع العربي الاسرائيلي. وبالتالي فلا يمكن إطلاقاً أن نفهم ماذا يجري في منطقتنا وعلى ارضنا بدون نظرة تحليلية معمقة للماضي والحاضر والمؤسسات والا فكار والاشخاص والظروف والاحزاب وغير ذلك بما يضمن لنا فهماً حقيقياً لطبيعة الاشياء.

لقد انفصل في العقد الثالث من هذا القرن، فلاديمير جابوتنسكي عن الوكالة اليهودية واسس حركة التحريفيين او التي اطلق عليها هذا الاسم من قبل خصومها، بينما يقول هو إنها حركة التصحيحيين. تلك الحركة التي تعتبر الاساس التنظيمي والفكري والسياسي لتكتل الليكود الحالي أو بمعنى أدق لحركة حيروت، العمود الفقري لهذا التكتل.

وفي كتاب «الجدار الحديدي»، تحدث عن العرب والفلسطينيين. ولم يكن حديثه منسجما مع الفكر الهيرتزلي،بل يفصله عنه هامش واسع، فهو لا ينكر وجود الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين، ولا ينكر حقه في فلسطين ولا يتجاهل تمسكه به كوطن. وان كان يحاول ان يبحث عن صيغة لا تجعل فلسطين لشعبين فيقول: ان طرد العرب من فلسطين يستحيل بالمطلق وباي شكل من

الاشكال.سيكون هناك دائماً شعبان في فلسطين. انني فخور بكوني من تلك المجموعة التي قامت بصياغة برنامج هلسنكي. لقد قمنا بصياغة ليس فقط من اجل اليهود، ولكن من اجل جميع الشعوب، واساسه هو المساواة بين جميع الامم، وانا على استعداد لأن اقسم، من اجلنا ومن اجل احفادنا بأننا لن ندمر هذه المساواة ابدا، وباننا لن نحاول ابدا أن نطرد العرب أو أن نضطهدهم.

ثم يضيف جابوتنسكي : أن بيننا من يحاولون اقناعنا بان العرب هم صنف من الاغبياء الذين يمكن خداعهم من خلال صياغة ملطفة لاهدافنا، او أنهم قبيلة من المتلهفين للمال والذين سيتخلون عن حقهم الموروث في فلسطين مقابل مكاسب اقتصادية. انا ارفض بالمطلق هذا التقييم للعرب الفلسطينيين.

واخيراً يقول: ستظل فلسطين بالنسبة للفلسطينيين ليست فقط منطقة حدودية بل مسقط رأسهم ومركز واساس وجودهم الوطني الخاص. ليست مهمتي ان أبرز محاسن أفكار ومواقف بعض الزعماء الصهاينة او اخترع لهذه الافكار حسنات ومزايا. وانما أبرز الحقيقة كما هي لنتعامل على ارض الواقع على اساسها وفي ضوئها دون أوهام.

يعرف الاسرائيليون ان فلسطين لم تكن في يوم من الايام أرضاً بلا شعب، ويعرفون أنهم عندما أقاموا دولتهم هذه ظلموا هذا الشعب وأساءوا اليه وحاولوا تدميره. ألا أن المشكلة الصعبة التي يواجهونها هي، هل يعترفون بذلك؟

تقول اليهودية الامريكية هيلدا سيلفرمان: حتى يتضامن اليهودي أو الاسرائيلي مع الفلسطينيين عليه أن يراجع كل ما قام به ضدهم في الماضي، وهذه المراجعة تعني الاقرار بحجم المأساة التي سببها لهم، لذلك فبالنسبة للغالبية فان الاصرار على أن ما فعلوه هو الصحيح يدفعهم للاستمرار في التطرف ضدهم، لان هذا هو الحل الاسهل من المراجعة والاعتراف بالخطأ.

وهكذا فانه ـ كان ولا يزال ـ على الكثيرين من الاسرائيليين، تجاهل الضحية كليةً والامعان في الغاء وجودها المادي والمعنوي وألا يتحمل تبعات المراجعة، لان

المراجعة تصيب صلب الفكر الصهيوني وممارساته على كل الاصعدة الانسانية والفكرية والتاريخية وحتى الدينية. ومعروف أن أبرز قواعد هذا الفكر هو نفس الاغيار التي تعني بالعبرية (الغوييم)، وتطلق على كل من هو غير يهودي، وهي تنطبق علينانحن الفلسطينيين، حسب رأيهم .

وبمجرد أن يعترف الاسرائيليون بالاغيار، أي الشعب الفلسطيني، فهذا يعني بدء عملية المراجعة. والمراجعة لا تنحصر في فئة او حزب او شريحة اجتماعية او سياسية ، لانها عملية انسانية تتطلب مصالحة مع الذات ومع الواقع. وهذه أما ان تاتي بالمطالعة والمشاهدة والمحاكاة، واما أن تأتي بالاصطدام اليومي بالواقع. وهذا ما حصل. وطبقاً لهذا التحليل فإننا لا نستغرب وجود التناقضات في البيت الاسرائيلي أو الحزب الاسرائيلي أو المدينة والقرية والمستوطنة.

من هنا نعود الى بداية الحديث، الى ديفيد كمحي الليكودي رجل المهمات الصعبة، الذي اتصل بالصحفي البريطاني الين هارت وعرض علية خطوطاً عريضة لسيناريو يستند الى تنسيق سري يتم بين شامير وارينز من جهة، وعرفات من جهة أخرى.

ولا يبدو آلين هارت واثقاً من حديث كمحي ونواياه، لانه لا يخطر بباله أنه يمكن أن تصدر مبادرات سلامية عن الليكود. ولذلك اظهر تشككه فيما سمع ولكنه لا يستطيع ان يفلت من يديه فرصة من هذا النوع ولو كان الأمل ضعيفاً. وقد شاركه الرأي جان كلود ايميه وأيده في المتابعة لان الامر يستحق ذلك. وهؤلاء الغربيون براغماتيون، لا توجد لديهم مسلمات وفرضيات ثابتة، وانما يتعاملون مع الواقع، وان كانوا مثلنا يفترضون أن الليكود يقف ضد السلام ويرفضه، الا ان الافتراض لا ينفي امكانية الدخول في التجربة.

وفيما يلي نص رسالة آلن هارت الى الرئيس عرفات:

عزيزي الرئيس.

لقد طرح علي ديفيد كمحي الخطوط العريضة لسيناريو يستند الى تنسيق

سري بين شامير وارينز وبينك على أن أكون انا قناة الاتصال . في هذه المرحلة لا أدعي اني أعرف النوايا الحقيقية لكمحي . يبدو لي ان هناك احتمالين، الاول أنه يلعب لعبة تضليل معلوماتية والثاني أنه جاد في طرحه .

ويشاركني صديقنا المشترك والحيادي، جان كلود ايميه الرأي، بأن المسألة تستحق اختبار كمحي، وذلك بان اطلب منه ترتيب جلسة خاصة بيني وبين ارينز . ما رأيك في ذلك؟

إني بانتظار استدعاء منك لمناقشة هذه المسالة ومسائل أخرى ،بما فيها محاولتي الاولى لتطبيق فكرة هاني الحسن حول تأسيس مجموعة عمل مستقلة تتألف من أفراد بارزين ومرموقين، يمثلون كافة الاطراف والتي يمكن ان تسمى اللجنة (او المؤسسة) من اجل السلام والتطور في الشرق الاوسط . لا بد أن نتباحث في اسماء الاعضاء المرشحين لعضوية اللجنة التنفيذية (للمؤسسة) عرباً ويهوداً واوروبيين وامريكان .الخ.

محاولات اخرى:

في اوائل ديسمبر /كانون اول ١٩٩٢ . عاودنا الحوار مرة أخرى مع الجهات الاسرائيلية المرتبطة بالليكود والقريبة من شارون، بشأن اعادة الاتصال وامكانية فتح قناة خلفية للمفاوضات المتعثرة في واشنطن . وقد رحبت هذه الجهات بلقاء تم في احدى العواصم الاوروبية، إلا اننا لم نتفق على بعض التفاصيل، التي احتاجت لاكثر من لقاء. حتى استقر الامر ان يكون اللقاء في روما وفي بيت سفير فلسطين فيها.

في هذه الاثناء بدأت قناة اوسلو عملها الاولي. وعولنا على هذه القناة على الرغم من انها بدأت بشكل متواضع وأخذت طابعاً غير رسمي، على الاقل من الناحية الاسرائيلية، الا اننا راينا فيها بارقة امل، لا يمكن ان نفرط بها او نشوش عليها.

ولذلك عندما عاد الرسول وأعطيه الرمز (ق . د)ليسألني رأيي وتحديد الموعد

للقاء الذي تم الاتفاق على تفاصيله كافة، فوجئ برفضي للقاء .ولكنني لم استطع ان ارفض دون تبرير او إعطاء اسباب معقولة، بخاصة وانه مضى بضعة اشهر زار فيها اسرائيل اربع مرات من اجل هذا الغرض. ولذلك عندما سألني عن سبب الرفض، لم يكن بالإمكان إبلاغه الحقيقة، نظراً للسرية المطلقة التي احيطت بها قناة اوسلو منذ البداية وانما قلت له: ابلغ الجماعة بانني لا استطيع اللقاء معهم لانهم يعرفون السبب. فرد علي قائلاً: ماهذا الجواب الاحجية الذي سأنقله لهم ؟

قلت له : انهم يعرفون تماماً ماذا اعني وبالتالي سيتفهمونه.

في الواقع لم اعط مثل هذا الجواب عبثا، لانني فكرت فيه ملياً، فان كانوا مسؤولين كبار في أجهزة امن الدولة، فانهم حتما سيعرفون ان هناك قنات سرية بيننا وبين حكومتهم، وان كانوا ممن لا يعرفون الخبايا والاسرار ولا يطلعون على مجريات الامور فلا حاجة لاطلاعهم على هذه القناة، لانهم ربما يكونون من انصار المعارضة، وبالتالي يكشفون هذا السر ويفضحون هذه القناة .

ان اطلاعنا على الاوضاع السياسية والتنظيمية في اسرائيل جعلنا حذرين جدا من الاتصال مع أي اسرائيلي والتحدث معه بكل شئ ولو كان موظفا ساميا في الدولة او نائبا في الكنيست او حتى وزيراً في الحكومة، حيث ان الصراع ليس فقط بين احزاب المعارضة والموالية، فللمعارضة وجود في كل اجهزة الدولة . كما أنه ليس بين حلفاء الائتلاف وانما بين اعضاء حزب العمل انفسهم، وبالذات بين رابين وبيريز. حيث ان لكل منهما رؤيته الخاصة، وحساباته الخاصة ومفهومه الخاص لقضايا التسوية بكل ابعادها وتفاصيلها، ونظرته الخاصة الى المفاوضات الثنائية او المتعددة. ونحن نعرف تماما ان رابين ممسك بزمام ملف المفاوضات الثنائية ولا يسمح لاي وزير او نائب او موظف سام، غير خلصائه ان يطلع عليه.

وعلى الرغم انني اعرف أن جهاز الأمن بكل فروعه واقسامه واختصاصاته مرتبط بشكل مباشر وشخصي برئيس الوزراء، الا انني رفضت ان أفصح عن نواياي لهؤلاء، لاعتقادي بانهم قد تكون لهم ارتباطات أخرى وولاءات اخرى خارج

إطار اللعبة التي نقوم بها .إضافة لذلك فان قناة اسلو بدأت كما سنرى فيما بعد مع موظف أكاديمي مرتبط بالنائب يوسي بيلين احد اقرب المقربين لشمعون بيريز، ونائبه في وزارة الخارجية. وهذا يعني أول ما يعني ان رابين قد لا يكون موافقا على هذه القناة، وان كان مطلعا عليها فلا يعني ابداً انه اعطى موافقته الكاملة عليها، الامر الذي يمكن ان يجعل جهاز المخابرات الاسرائيلي يعطلها، ويدفع رابين الى رفضها بتغذية الانطباع القائل بان الفلسطينيين لا يحفظون سراً. ولهذا كله ابلغت الرسول ما ابلغته وانتظرت رد الفعل من الطرف الآخر، مفترضا انه اذا كان يعرف شيئا عن قناة اسلو فانه سيكتفي بذلك ويصمت، وان لم يكن يعرف فلا حاجة لي به ولا ضرورة للقائه، لانه سيكون، بالاضافة الى ماذكرت سابقا، ليس من اصحاب القرار. وانتظرت شهرا وبعض الشهر وعاد الرسول ليخبرني بالجواب و يقول على لسانهم لقد عرفنا سبب رفض مقابلتنا، ان الرجل غاضب من ابعاد أربعمائة فلسطيني الى مرج الزهور.

هذا الجواب اكد لي تحليلي بان الطرف الاخر لا يعرف شيئا عن قناة اسلو، ولذلك لا حاجة لاستمرار الحوار معه، فابلغته بلباقة بان الوقت غير مناسب لاجراء لقاءات في الوقت الحاضر، الا اننا سنبقى على صلة حتى يأتي الوقت المناسب، مع التاكيد على رغبتنا في السلام الأمر الذي يجعلنا نتطلع اليهم ليكونوا أكثر مرونة وفهما للمرحلة الحالية التي تحتم مزيدا من التقدم في المفاوضات التي يرى فيها الكثير خشبة الخلاص اذا حسنت النوايا. على الا يعتقد الطرف الاسرائيلي ان الأوضاع الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، يمكن أن تجعله يقبل ما دون الحد الادنى المطروح، لانه قادر على التحمل والصبر حتى يتجاوزها، فهي لن تستمر الى الابد.

حمل الرسول ما امليته عليه، ولم نلتق الا في شهر حزيران / يونيو١٩٩٣، حيث جاءني بمفاجأة أذهلتني فقال: أنهم يبلغونك عتبهم الشديد عليك، أنت الذي تعرف الاسرائيليين جيدا، وكتبت فيهم وعنهم كتباً كثيرة، ومع ذلك تخطئ في البديهيات، الا تعرف ان رابين هو الذي يحكم اسرائيل؟ الا تعرف ان بقية الوزراء

فيها لا وزن لهم بما في ذلك وزير الخاريجية شمعون بيريز؟ كيف ترتكب مثل هذا الخطأ وتفتح قناة مع موظفين صغار في وزارة الخارجية، وتتخلى عنا نحن مصدر القرار والسلطة؟ اننا في انتظار موافقتك لتنفيذ الموعد بلقاء في روما. وباسرع وقت ممكن، حتى نتحدث في كافة القضايا المتعلقة بمصالحنا المشتركة.

عندما سمعت الرسالة الى نهايتها، وجدت انه لا مناص من الاعتراف. فقد اكتشفوا الحقيقة ولم يعد بالامكان اخفاؤها.. فقلت له: نحن نلتقي فعلا مع بعض موظفي الخارجية.. لتبادل الرأي والحوار، ولم نصل الى مستوى المفاوضات. واحب أن اقول هنا باننا ما دمنا نلتقي مع هؤلاء وهم من وجهة نظرنا يمثلون المؤسسة الرسمية الشرعية، ولا دخل لنا بحساسيات كبار المسؤولين ومشاعرهم ورغباتهم، لانها امور داخلية عليهم ان يحسموها، فهذا واجبهم وهذه مشكلتهم وليست واجبنا او مشكلتنا. لقد رضينا لانفسنا ان نلتقي مع هؤلاء وان نبدأ حوارا رسميا معهم . وما دام الأمر كذلك فلن نقبل ان نقفز عنهم الى جهة اخرى تزعم انها أكثر تأثيرا ونفوذا، نحن نحترم مصداقيتنا حتى مع أعدائنا فلن نلعب على حبال الخلافات الداخلية اللهم الا اذا فشلنا في الوصول الى اية نتائج مع هؤلاء واوقفنا بشكل رسمي كل حوار معهم، عندئذ فقط يمكن ان نتحدث مع هذا الطرف ونبدأ معه حواراً ومفاوضات ان أمكن. دعنا نجرب وننتظر، لسنا في عجلةمن أمرنا، فلن نستبق الاحداث ولن نحكم على ما نقوم به الآن بالفشل المسبق قبل ان يفشل.

بعد ان ابلغ الرسول هذه الرسالة الى الطرف الاسرائيلي لم نلتق بعدها ابداً، حيث انني شغلت عنه على الرغم من انه التقى بهم اكثر من مرة. الا ان الظروف لم تسمح لي بلقائه حتى اعرف ردة فعلهم الى ان تم التوقيع على الاتفاق وانتهت هذه المهمة. والغريب انه في وقت موازٍ لهذه الاتصالات، وبينما كان الدكتور اسامة الباز في زيارة لاسرائيل عرض على احد كبار رجال الامن الاسرائيليين ان يلتقي بي او بسعيد كمال سفير فلسطين في القاهرة. وقد كانت ردة فعل هذا المسؤول الاولية، عدم الاهتمام دون ان يرفض الفكرة من اساسها.

وقد ابلغني الدكتور الباز في حينه هذه الواقعة. واكتفيت بالانصات اليه دون

التعليق على ما قال، لأن الجواب الاسرائيلي لا يحتاج الى أي تعليق، مادام لم يرفض ولم يقبل.

بعد أسبوع من هذه الواقعة التقيت الدكتور اسامة الباز الذي بادرني بالقول بان هذا المسؤول قد وافق على لقائي في القاهرة وانه جاهز للقدوم اليها في الوقت الذي نتفق عليه.

عندئذ لم يكن بالامكان الا إعطاء الجواب، بالنفي او بالقبول. وليس هناك ما يبرر النفي لاننا كنا في كل مناسبة لا نفتأ عن المطالبة بقناة خلفية مع المسؤولين الاسرائيليين، وعندما يوافقون نتذرع باسباب واهية للرفض. لذلك قلت للدكتور الباز: أرجو ان لا تنسى أننا الآن نتفاوض سراً مع الاسرائيليين في اوسلو وانت على علم بذلك. قد لا يكون مستوى المفاوضين الاسرائيليين يوحي بجدية حكومتهم. وقد يكونون يمثلون جهة في الحكومة دون أخرى. الا أنه من غير اللائق ان نلتف عليهم بفتح قنوات أخرى. كذلك فانني أخشى أنهم بهذه المحاولات يريدون أن يمتحنوا مصداقيتنا وجديتنا في الحديث معهم، ولذلك يحاولون اغراقنا بمثل هذا الاتصال، الا ترى معي أنه من الافضل أن ننتظر ما ستتمخض عنه قناة اسلو؟

وافقني الدكتور الباز وهو رجل لماح وسياسي ماهر، وقال أفضل لنا ان ننتظر وساقدم الاعذار المناسبة لتأجيل هذا الطلب الى أجل غير مسمى.

فصل الخامس

اتصالات غير مباشرة مع حزب العمل

منذ عام ١٩٧٧ وحزب العمل خارج السلطة، بعد ان هزمه الليكود وتمكن من تقسيمه واجتذاب ايغال يادين الجنرال المتقاعد والذي كان في ذلك الوقت من نجوم حزب العمل، وقد استطاع هذا الجنرال ان يحصل على سبعة عشر مقعداً من خلال جماهير هذا الحزب. ويعقد تحالفاً بعد ذلك مع الليكود ليشكل حكومة ائتلافية كان فيها نائباً لرئيس الوزراء. ولكن نجمه ما لبث ان أفل. وبعد سنوات قليلة توفي وانفرط العقد الذي كان يجمعه مع زملائه الآخرين، وظل الليكود المستفيد الاكبر من هذا الخرق التاريخي لحزب العمل. واستمر حزب العمل يترنح خمسة عشر عاماً على الرغم من تحسن احواله على الارض. مما ساعده في فترتي انتخابات، ان يشارك الليكود في السلطة، وقد تمكن في الجولة الثانية عشرة من التساوي مع حزب الليكود بل تجاوز الليكود بمقعد واحد في الكنيست، وهذا خوّله الفرصة الاولى لتشكيل الحكومة، ولهذا توجه اليه رئيس الدولة يدعوه الى تشكيل الحكومة الاسرائيلية. ولما كان شمعون بيريز رئيساً للحزب فقد بدأ مشاوراته مع الكتل البرلمانية المختلفة، واستطاع اقناع واحد وستين نائباً من الكنيست للحصول على ثقته، وكان بيريز واثقاً تماماً من انه سيحصل على موافقة المجلس لا محالة وانه اصبح رئيساً لوزراء اسرائيل. في هذه الاثناء كنت في القاهرة والتقيت وزير الخارجية المصري عصمت عبد المجيد، وجرى الحديث حول تشكيل بيريز للحكومة، ولاحظت ان الوزير سعيد بهذا الحدث، لان وصول حزب العمل الى السلطة سيجعل امكانية الحديث عن السلام في الشرق الاوسط كبيرة جداً. ففاجأت الوزير بقولي: لن يتمكن بيريز من تشكيل الحكومة، لان حساباته غير صحيحة، وهو يعتقد انه سيحصل على واحد وستين صوتاً، ولكنني متأكد من انه لن يحصل عليها.

وبسرعة فائقة اتصل عصمت عبد المجيد بشمعون بيريز يبلغه هذه المعلومة، فاستغرب بيريز ذلك وبدا وكأنه واثق من نفسه، ثم ما لبث ان عاد ليسأل عبد المجيد

عن اسم هذا النائب وعن أية معلومات اضافية متوفرة لديه. ولكنني لم اضف شيئاً على ما قلت وانما اكتفيت بتأكيد معلوماتي، مشيراً الى انه على بيريز أن يتقصى الحقيقة بنفسه، كما رفضت الافصاح عن المصادر التي اوصلت اليّ هذه المعلومات وهي مصادر موثوقة ودقيقة، وعندما نقل عبد المجيد هذه المعلومات الى بيريز، أجابه بانه تفحص كل اوراقه ومعلوماته وراجع كل القوى والشخصيات، ولم يجد أثراً لهذه المعلومات، وعندما ابلغني الدكتور عصمت بهذا، لزمت بالصمت واكتفيت بما قلت.

وفي وقت التصويت على الثقة بالحكومة ظهر النائب[1] الذي اشرت اليه وامتنع عن التأييد، وهكذا فشل شمعون بيريز في تشكيل الحكومة الاسرائيلية، التي عاد وشكلها اسحاق شامير. لقد شكلت اكثر من مرة حكومة اسرائيلية من كلا الحزبين الكبيرين، وكان زعيما هذين الحزبين (الليكود والعمل) يتبادلان رئاسة الوزارة نصف مدة الكنيست (مدته اربع سنوات) لكل منهما.

وقد ظن البعض ان مثل هذا التعاون بين الحزبين سيؤدي الى سياسة معقولة لحكومة اسرائيل، لكن المكسب الوحيد الذي حققاه هو تهميش وضع المعارضة، وقد ادى التوازن بين الحزبين الى الشلل التام. فاذا ما قرر حزب سياسة ما يجد معارضة لدى الحزب الآخر، وكل خطوة إيجابية كانت أو سلبية لا تجد طريقها الى الوجود.

مساعي الدراوشة:

كان عبد الوهاب الدراوشة في بداية حياته السياسية عضواً في حزب العمل الاسرائيلي، وقد رشح أكثر من مرة لعضوية الكنيست الاسرائيلي ونجح باسم هذا الحزب، الا انه ومنذ الكنيست الحادية عشرة قرر أن يخرج من الحزب وأن يشكل حزباً عربياً داخل الوسط العربي، أطلق عليه إسم الحزب الديمقراطي العربي. وحيث

---

(١) ينتمي النائب الى اغودات اسرائيل وقد تلقى تعليمات بعدم اعطاء الثقة لحكومة بيريز من الحاخام ابراهام فيرديغر الذي يقيم في امريكا.

ان هناك من سبقه في هذا الوسط مثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي مثل العرب فترة طويلة من الزمن، وكذلك القائمة التقدمية التي ترأسها المحامي محمد ميعاري، والتي تضم أغلبية عربية وأقلية يهودية. قلت ان هناك من سبقه إلى تمثيل الوسط العربي، ولذلك حاربوه حرباً شعواء، لأنه جاء لينافسهم على الصوت العربي. ومع ذلك فقد استطاع ان يثبت وجوده ويحقق نجاحاً بمقعد واحد في الكنيست وكان هذا المقعد من نصيبه باعتباره رأس قائمته، وفي الكنيست الثالثة عشرة استطاع ان يحصل على مقعدين، وكان مقعده الثاني للمحامي طلب الصانع الذي شكل النصاب لرابين للوصول الى تشكيل الحكومة الحالية.

وبهذه الصفة، ونظراً لعلاقاته الطيبة والتي حافظ عليها مع حزب العمل، وعلاقاته مع المنظمة التي نشأت بعد تشكيل الحزب العربي، فقد رغب أن يلعب دور الوسيط بين حزب العمل من جهة ومنظمة التحرير من جهة اخرى، في الوقت الذي كان حزب العمل شريكا لليكود في الحكومة الاسرائيلية. وهكذا تردد على تونس اكثر من مرة محميا بالحصانة البرلمانية التي يتمتع بها، واستئذانه بالسفر الى تونس من رابين او من أي مسؤول اسرائيلي ليضمن حمايته من تنفيذ قرار الكنيست ضده.

في ١٢/ ٤/ ١٩٨٩، وصل الدراوشة الى تونس يحمل مشروعاً سياسياً من بنود واقسام مختلفة، مشيراً الى أن هذا المشروع من صنع اسحاق رابين وانه حمله إياه الى تونس ليعرضه علينا، وبعد عرض المشروع قدم تحليلاً وتقويماً عاماً لوضع رابين وحزب العمل في السلطة الاسرائيلية التي يشاركه فيها الليكود.

لا بد لنا من أن نلاحظ ان الخطة التي قدمها رابين في عام ١٩٨٩ لا تختلف في كثير من افكارها عما تم التوصل اليه في أوسلو، كما انها لا تختلف عن رسالة التطمينات الامريكية في بنودها الرئيسية، وان دل هذا على شيء، فانما يدل على أمرين، أولهما أن حزب العمل كان يحضر نفسه منذ فترة طويلة لهذه المرحلة، والثاني أن هناك تنسيقاً كاملاً في الافكار والمشاريع بين الامريكان وهذا الحزب.

خطة اسحاق رابين للوصول الى السلام على مرحلتين

أولا: المرحلة الانتقالية:

تمتد خمس سنوات، خلال هذه الفترة المحددة تتم الخطوات التالية:

(أ) يقيم الفلسطينيون مجلس سلطة محلي. إدارة محلية. مع مكاتب حكومية تتناول الشؤون الداخلية، الاسكان، الزراعة، البريد، المالية، الصحة، السلطات المحلية(البلديات) وغيرها من الشؤون الداخلية.

(ب) خلال الفترة الانتقالية المحددة بخمس سنوات تبقى شؤون الخارجية والأمن وشؤون المستوطنات في يد اسرائيل.

(ج) تعاون اقتصادي بين، الكيان الفلسطيني واسرائيل والاردن ايضا، في مجالات عديدة مثل الكهرباء، المياه، النقود، والعمال.

(د) اتخاذ ترتيبات اقتصادية تضمن مصلحة الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي.

ثانيا: مرحلة الحل الدائم:

- بعد مرور ثلاث سنوات من المرحلة الانتقالية تبدأ المفاوضات للوصول الى الحل الدائم.

- خلال السنوات الاولى يكون هناك تفاهم وثقة بين الطرفين وتخفيف حدة التوتر في المنطقة.

- التفاوض يستند الى أساسين:

(١) قرارات الامم المتحدة ٢٤٢، ٣٣٨ ومبدأ الارض مقابل السلام.

(٢) التمثيل الفلسطيني: الممثلون للجانب الفلسطيني في المفاوضات هم من سكان المناطق وفلسطينيين من الخارج يتفق بشأنهم.

ثالثا: الخطوات المطلوب اتخاذها لكسر الجمود

- في حال حصول تفاهم بين الجانبين حول هذه الخطة المتكاملة يحدث هدوء

تلقائي يمكّن من اجراء انتخابات في الضفة والقطاع خلال ستة أشهر.

- الانتخابات هي لاختيار ممثلين سياسيين وليست للسلطات المحلية.

- الاستعداد الكامل لقبول اقتراحات من الجانب الفلسطيني تتعلق بطريقة الانتخابات، والقوائم، فردية، أو كتل، او قوائم موحدة متفق عليها فلسطينيا.

- نتائج الانتخابات تقرر وتفرز القيادة المحلية للفترة الانتقالية.

رابعا: كيفية اجراء الانتخابات:

- الانتخابات ديمقراطية كاملة، مع تأكيد الجانب الاسرائيلي على ذلك.

- قبول إشراف دولي على الانتخابات، مع تفضيل الاشراف الامريكي لوحده، بقرار من الكونغرس، وبالامكان اشراك الاوروبيين. لكن، يرفض مشاركة مراقبين من دول العالم الثالث (لأنها لا تنتهج النهج الديمقراطي).

- الترحيب بقبول اقتراحات تتعلق بكيفية اجراء الانتخابات.

- يحق لسكان القدس الشرقية الترشيح والانتخابات، ولكن، التصويت يتم في رام الله او بيت لحم.

- عند الحل الدائم، يمنح سكان القدس الشرقية الحق في اختيار المواطنية الفلسطينية أو الاسرائيلية.

- أسس ومبادىء اجراء الانتخابات تتم من خلال المحادثات بين الجانبين.

- في مرحلة الاعداد للانتخابات، تكون الحكومة الاسرائيلية على استعداد لسحب القوات الاسرائيلية من التجمعات السكنية.

خامسا: إطار التفاوض

- يفضل مؤتمر مصغر تشارك فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ووفد اسرائيلي ووفد اردني ووفد فلسطيني.

- المؤتمر الدولي الموسع مقبول مبدئياً.

- الاردن ليس بديلا عن الفلسطينيين.

- وفد فلسطيني يشارك في المؤتمر كممثل مستقل للفلسطينيين.

- الخطة المطروحة هي خطة متكاملة، والمرحلة الانتقالية هي الجزء الاول منها.

وقد عرض الدراوشة على رابين عدة مطالب لتحسين الاجواء وتهيئة مناخ ملائم لدفع المسيرة السلمية ودون اشتراط وقف الانتفاضة. وابدى اسحاق رابين موافقته عليها، دون أن تكون الموافقة مرتبطة بالخطة السياسية، بل هي تمهيد لبدء نقاش متبادل حول الخطة واظهار حسن النية.

لقد كان واضحا ان رابين في جلسته مع الدراوشة متفهم ومستعد لما اسماه ببوادر الانفتاح التي شملت: فتح المدارس والجامعات فوراً، ووعد باعطاء اجابة عاجلة بعد اجتماعه مع أركان الحكم العسكري والادارة المدنية في الضفة الغربية، وإطلاق سراح عدد من المعتقلين قبل عيد الفطر، والسماح بحرية السفر للبعض الى الخارج، واشار الى انه بدأ بتنفيذ هذه السياسة، ووعد بالموافقة على فتح المؤسسات الوطنية المغلقة والسماح بحرية التحرك والعمل السياسي، واخراج الجيش من المناطق والتجمعات السكنية، وأبدى استعداداً للوصول الى اتفاق حول ذلك، بالاضافة الى تخفيف معاناة الناس وسياسة القمع المتصاعدة.

وبتاريخ ١٩٩٠/٣/١٧ حضر عبد الوهاب الدراوشة الى تونس، يحمل سؤالاً واحداً حول الكونفدرالية ومدى التزام المنظمة بها. وقد كان هذا السؤال مكتوبا ويريدون عليه جوابا مكتوباً. وبالفعل فقد أعطيناه الجواب المكتوب المبين أدناه، الذي ما لبث أن قرأناه في الصحف الاسرائيلية.

جوابنا على الكونفدرالية:

«لقد تبنت المجالس الوطنية الفلسطينية، منذ العام ١٩٨٣ (الدورة السادسة عشرة) والمجالس الوطنية المتتابعة، وآخرها المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد

في الجزائر سنة ١٩٨٨، مسألة الكونفدرالية بين الاردن وفلسطين. وقد بدأنا منذ فترة إجراء مباحثات جادة بين الطرفين لاستشراف آفاق هذه الكونفدرالية وحدودها القانونية وغيرها. وهناك اهتمام عال من كلا الطرفين نحو هذه المسألة لانها تعتبر مسألة حيوية للشعبين الاردني والفلسطيني.

ان هذا هو موقف وخيار منظمة التحرير الفلسطينية الذي لا نرى بديلاً عنه.».

في الفترة الواقعة ما بين بدء الحملة الانتخابية للكنيست الثالثة عشرة ونجاح حزب العمل في تشكيل حكومة اسرائيل، جرت اتصالات قام بها سعيد كنعان، احد اعضاء حركة فتح البارزين في الارض المحتلة والذي سجن اكثر من مرة، والذي كان على صلة مع احد أعضاء الكنيست الاسرائيليين المقربين من رابين، وبعد ذلك جرت اتصالات عبر عمرو موسى حيث حمل مجموعة من المسائل تحدث فيها مع اسحاق رابين وشمعون بيريز بعد نجاح حزبهما في الانتخابات.

وعلى الرغم من ان هذه الاتصالات لم تأت بنتائج فورية، الا انها ساهمت مساهمة كبيرة في توضيح وجهات نظر كل طرف للطرف الآخر، بما يمكن ان نعتبره توطئة مناسبة لما جرى في أوسلو. وبنفس القدر الذي حافظنا فيه على سرية مسار اوسلو، ايضاً حافظنا على سرية هذه الاتصالات حتى لا نسبب أي حرج للطرف الاسرائيلي الذي كان يقود حملة انتخابية حساسة للغاية. ولو تسرب أي خبر عن هذه الاتصالات لوسائل الاعلام العربية او الغربية او الاسرائيلية لَقُصم ظهر حزب العمل وأدى الى فقدانه كثيرا من المقاعد التي كان يسعى الحصول عليها للوصول الى تشكيل الحكومة. ان الاحزاب الاسرائيلية تقف بالمرصاد لبعضها بعضا وتترقب أية أخطاء لتكبرها وتسيء الى بعضها البعض. وكذلك فإن كثيرا من الصحفيين خبراء بالفضائح والتعامل معها وينتظرون اية اشارة فضيحة ليجعلوا منها قضية الرأي العام.

وكانت قد سقطت حكومة رابين الاولى عام ١٩٧٤ بسبب مبلغ من المال وجد باسمه في احد البنوك الامريكية عندما كان سفيرا هناك ولم يبلغ عنه. ولم تسقط

الحكومة فقط وانما سقط هو ايضا في انتخابات حزب العمل عام ١٩٧٥ امام منافسه شمعون بيريز.

ان على الانسان ان يتعامل بصدق مع الناس، كل الناس، اعداء واصدقاء. وهذا لا يعني ان يمنح ثقته للجميع دون تمييز، ولكن هناك فرق بين الصدق في التعامل، والثقة. وفي اعتقادي ان تعاملنا مع الاسرائيليين ونحن اعداء كان يفرض علينا ان نمنح هذا التعامل قدراً عاليا من المصداقية مهما كان الثمن الذي يمكن ان ندفعه.

لئن تعاملنا بهذا المستوى مع حزب العمل، فقد تعاملنا ايضا مع الليكود بنفس المستوى، وقد تلقينا اكثر من مراسلة او اتصال عن طريق اشخاص بمبادرات منا أو من الليكود، الا أننا حافظنا على سريتها، باستثناء ذلك الاتصال الذي جرى مع شارون والذي نشر من قبلنا لاسباب تكتيكية، وبالمقابل فقد وجدنا في الصحافة الاسرائيلية جوابنا على السؤال الذي حمله الدراوشة من حكومة شامير حول الكونفدرالية مع الاردن.

وبهذه المناسبة أذكر ان ديدي تسوكر عضو حركة راتس والنائب الحالي عن حركة ميرتس زارنا في تونس في عام ١٩٨٧، وكانت زيارة سرية وغير معلنة، وقد تمنى علينا ان لا نذكر إطلاقا انه زارنا لأسباب تتعلق به شخصيا وبحزبه الذي لا يتحمل هزات. وبالفعل حافظنا على سرية اللقاء الى يومنا هذا.. ولم ننطق بكلمة واحدة، ثم جرت لقاءات أخرى كثيرة معه في أماكن متعددة في أوروبا، وكان في نية الطرفين (المنظمة وراتس) عقد لقاء معلن ورسمي، لكننا لم نوفق على صيغة مناسبة تصدر عن هذا اللقاء وبقيت كل الاتصالات سرية من جهتنا، ورفضنا ان نتحدث عنها احتراما لرغبة الطرف الآخر الذي تحدث عنها اكثر من مرة.

ان أي عمل يحتاج الى السرية، التي تكمن في الرغبة في الوصول الى نتائج ايجابية له، حتى لا يتعرض - من خلال العلنية - الى الاحباط.

وهكذا فان معظم الذي وقع في واشنطن لا يحتمل اخفاء اسراره وخفاياه، ونشعر انه لزاما علينا. وحسب التفسير السياسي فان السرية هي اعتراف الطرفين

ببعضهم، حتى يصلوا الى نتائج ملموسة يستطيعون اخراجها للعلن. وان الاتصالات الفلسطينية الاسرائيلية التي حدثت على مستوى مراكز القرار في الطرفين، كانت تعني بكل واقعية اعترافا متبادلا بينهما. ومن واجبنا ان نوضح أموراً كثيرة تجلي ضبابية الصورة التي رافقت هذا الحدث. كذلك فان من حق الكثيرين الذين ساهموا بصورة أو باخرى في هذا العمل ان يشار اليهم وتبرز جهودهم ومساعيهم، لأن ما يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون في اسرائيل، وهو الاتصال بالمنظمة في ظل سريان القانون، ينظر اليه اليوم على انه عمل بطولي اوصل الشعبين الى اختراق تاريخي تتحدث عنه الاجيال.

ففي ١٠/٤/١٩٩٢، التقى سعيد كنعان بشخصية كبيرة من حزب العمل الاسرائيلي مقربة من اسحاق رابين، وتتبؤ مركزاً مهماً، وأبلغه رسالة من القيادة الفلسطينية تحتوي على ثلاثة نقاط وهي:

١ ـ نحن مسرورون من برنامجكم الانتخابي.

٢ ـ ماذا تطلبون منا لنقدمه اليكم، ونحن مستعدون لعقد اتفاق.

٣ ـ نرغب في ترتيب لقاءات على مستوى (Y.R) أو من يفرزه لذلك.

جاء الجواب من خلال ورقة مكتوبة باللغة العبرية قامت تلك الشخصية الكبيرة باملائها عليه باللغة الانكليزية. وحال انتهائه من كل فقرة كان يعيد عليه قراءتها ثانية للتأكد من كل حرف، وقبيل الانتهاء من تلك الرسالة حضر اسحاق رابين، لمدة دقائق معدودة لاعطاء انطباع بأنهم جادون، ولا بلاغه بما يلي:

١ ـ نحن جادون.

٢ ـ يجب الا يكون هناك أي تسريب إطلاقا لهذه الاتصالات.

٣ ـ أنا مستعد لبحث أية رسائل أخرى.

٤ ـ انتبهوا لكل كلمة تقولونها ونحن نتابع كل تصريحاتهم، ويجب بذل جهد حقيقي لضبط كل انسان فيما يصرح فيه.

وبعد انسحابه استأنفت الشخصية الكبيرة الرسالة وذكرت الملاحظات التالية:

١ ـ نحن جادون ونعني ما نقول ونفهم ان العمل جدي (Real Business).

٢ ـ نحن نفترض (We presume) ان ياسر عرفات يعلم كل شيء، وانه وراء هذا الاتصال.

٣ ـ لن نجري أي لقاء في الخارج قبل الانتخابات.

٤ ـ نحن نفهم أن أربعة منكم فقط يعرفون عن هذه الاتصالات وهم أنت وأنا وياسر عرفات ومحمود عباس وسعيد كمال، ومن جهتنا اثنان يعرفانها ويتابعانها وهما، اسحاق رابين وتلك الشخصية الكبيرة.

٥ ـ لن نسمح بفتح أية قناة ثانية للاتصال ونثق بك يا سعيد كنعان.

٦ ـ اذا حصل أي تسريب لهذه اللقاءات فسنقوم بنفيها ونحملكم مسؤولية اجهاض هذه الاتصالات.

٧ ـ لقد بدأنا الآن فقط العمل الجاد، ونأمل باستمرار الاتصالات بصورة سرية مطلقة، ونحن منفتحون تماما ومدركون لأهمية ما يحصل.

٨ ـ نأمل ونفترض انكم جادون وتتعاملون معنا بما يستحق الموضوع من اهمية تاريخية ومصيرية.

وذكرت تلك الشخصية الكبيرة انها ستغادر في ٢٠/٤ وتعود بعد ذلك بأسبوع. وهي تنتظر الاجابة اما قبل ٢٠/٤ أو أواخر الشهر. وهذا نص الرسالة التي تضمنت اجابات على النقاط التي ارسلناها لهم والتي سبق ذكرها.

١ ـ نرجو تجنب أي تعبير أو تعاطف أو دعم لنا، أو الى ائتلاف اليسار: (مابام، راتس، شينوي الخ..).

٢ ـ ننظر بعين الرضى الى تشكيل الدراوشة وميعاري قائمة موحدة، واذا لم يتحد دراوشة وميعاري فلن يتجاوزا نسبة الحسم ١,٥٪، وستذهب اصواتهما الى

الليكود. وبالاضافة الى ذلك نعتبر ان اتفاقية بينهما وبين راكاح حول الاصوات الفائضة، امر ايجابي.

٣ ـ بصورة عامة نحن مع تشجيع المشاركة في الانتخابات. وانتم في وضع يمكنكم من تشجيع الناس على التصويت. وكذلك الأمر يجب تشجيع الاسلاميين على التصويت لأنهم في المحصلة النهائية لن يصوتوا لا لليسار ولا لليكود ولا للاحزاب الصهيونية. نحن لا نمانع في أن ترسلوا رسالة واضحة لا لبس فيها بعدم التصويت لاي حزب يدعم الاستيطان.

ان الليكود يصرف الآن أموالا طائلة. ويقوم ديفيد ماجن باعطاء النقود لبناء المساجد ومنح البعثات الدراسية، وكذلك النقد السائل للعرب والبدو وحتى للمسيحيين.

٤ ـ عليكم الا تنسفوا مباحثات السلام في واشنطن، وفي نفس الوقت يجب عليكم عدم إظهار هذه المحادثات وكأنها انتصار ساحق لشامير.

وكذلك نرى الا تذهبوا لواشنطن بمواضيع تستفز الشعب الاسرائيلي. وهناك موضوعان من هذا القبيل وهما:

أ ـ موضوع القدس. ب ـ الوضع النهائي

أحضروا معكم لطاولة المفاوضات مقترحات بناءة وعملية حول:

أ ـ الحكم الذاتي (الحكومة الذاتية)

ب ـ الانتخابات السياسية.

والموضوعان منصوص عليهما في اتفاقيات كامب ديفيد، وهنا لن يستطيع الليكود الرد ايجابيا، ويمكن ان يستفز الرأي العام الاسرائيلي ضد شامير.

واذا ما أثرتم موضوعي القدس والدولة الفلسطينية في الوضع النهائي، فسوف تساعدون الليكود كثيراً جداً لأنه يستطيع عندها القول بأنه لا توجد هناك أرضية مشتركة للتفاوض حولها.

وأخيراً نشير الى أن إثارة موضوع تجميد الاستيطان ووقفه سيطرح مقابله انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل.

حمل سعيد كنعان رسالة جوابية منا تحتوي على نقاط محددة بتاريخ ٢٠/٤/١٩٩٢ الى قيادة حزب العمل ممثلة بتلك الشخصية الاسرائيلية الكبيرة، تضمنت ما يلي:

١ ـ أن ابا عمار يعلم عن جميع هذه الاتصالات ويدعمها.

٢ ـ قرأنا رسالتكم بامعان ونحن متفقون معكم على مضمون ما ورد في رسالتكم وسنعمل على تنفيذ كل النقاط المتعلقة بالعملية الانتخابية.

٣ ـ نحن نسير في العملية السياسية بجدية كاملة.

٤ ـ نشعر اننا ملتزمون بما جاء برسالة التطمينات الامريكية التي نعرف انكم مطلعون عليها بالفعل. ونأمل أن يكون موقفكم مماثلاً.

٥ ـ نحن نفهم تماماً ان مسألة التمييز بين الاستيطان الامني والاستيطان السياسي هو مسألة داخلية للدعاية الانتخابية، حيث لا فرق بينهما.

٦ ـ قرأنا تصرحاتكم حول الكونفدرالية مع الاردن او مع اسرائيل وأخذناها بجدية كاملة. واذا كان لهذا الحديث اية أرضية سياسية او فكرية أخرى لديكم، نأمل ان نطلع عليها بعد الانتخابات.

٧ ـ وكذلك الأمر استوعبنا تماما ما ذكرتموه عن استعدادكم للحوار مع الفلسطينيين واقامة حكم ذاتي خلال فترة من ستة أشهر الى تسعة أشهر، ونعتبر ذلك كلاماً مسؤولاً وسياسياً جاداً.

٨ ـ كيف ترون الوضع بين شامير وليفي؟ وإلى أي مدى سيصل؟

وفي وقت لاحق حمل سعيد كنعان من تلك الشخصية وبطلب من رابين الملاحظات التالية:

١ ـ غضب شديد بسبب ما ورد في المجلة الفرنسية، بأن هناك اتصالات سرية بين رابين وعرفات عبر سعيد كنعان.

٢ ـ لقد قلنا لكم مرارا بأن اي تسيريب عن هذه الاتصالات سيتسبب في وقفها تماما.

٣ ـ ان مصدر التسريب هو تونس، فما هو المقصود غير تخريب عملية السلام.

٤ ـ استطرادا فان ذلك يثبت انكم غير معنيين بالسلام اطلاقا ولستم جادين.

٥ ـ ان تجربتنا معكم حول التسريب هي سيئة، اذ لا يوجد سر لديكم، وعلى كل حال فسنفتح هذه المرة صفحة جديدة، وعليكم ان تفهموا انها آخر مرة نسمح فيها بتسريب اخبار اتصالاتنا.

٦ ـ فهمنا قضية المطبخ، من جهتنا لا مانع لدينا اذا كنتم جادين ونقترح ثلاثة منكم واثنين منا، أنا ورابين.

٧ ـ الاتصال سيكون فقط عبر سعيد كنعان ودعونا نفهم تصوركم لآلية العمل والاتصال المطبخي، وما هي صلاحية الوفد غير تنفيذ ما نتفق عليه.

٨ ـ سنوقف كل اتصال عبر مجموعات لندن وباريس.

٩ ـ الآن سنتكلم فقط عن المرحلة الانتقالية ودعونا ننهيها اولا ومن ثم نتحدث بعد ذلك عن المرحلة النهائية.

١٠ ـ ما هي اجراءات بناء الثقة التي تقترحونها في المرحلة الانتقالية.

١١ ـ نحن اكثر من جادين وستكتشفون ذلك بأنفسكم، ونعني بذلك العمل بسرعة آملين ان تتجاوبوا معنا.

١٢ ـ أرجو ان تفهموا اننا اسرى للناخب الاسرائيلي الذي اعطانا فرصة لن تتكرر ابدا لتطبيق الحكم الذاتي. ويجب انجاحها وإلا فلن تعطى لأحد بعد ذلك. افهموا ذلك جيدا وتصرفوا على اساسه.

١٣ ـ الخيار الاردني مات وانتهى ولا رجعة اليه.

١٤ ـ اننا مصممون على التفاوض معكم في كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، اما الوفد المشترك فذلك شانه وشأن كل ما يتعلق بالاردن وبالقضايا المشتركة.

١٥ ـ الكونفدرالية التي نتكلم عنها هي بينكم وبين الاردن. اما عنها مع اسرائيل فكانت تعليقا عابرا على تصريح حيدر عبد الشافي. وبنظرنا فلا اهمية لها. ونحن لا نطلبها.

١٦ ـ المستوطنات موضوع شائك وسيتبلور بعد زيارة رابين لأمريكا.

وهذه رسالة منا تضمنت أجوبة على أسئلة طرحتها الشخصية الكبيرة وحملها سعيد كنعان:

الآن وبعد أن ظهرت نتائج الانتخابات، نود أن نبلغكم اننا عشنا مرحلة ارتباك خشية ان يعود شامير الى السلطة وتنتهي فرص السلام. ولذلك كنا نتطلع الى نجاح رابين بعد ان اطلعنا بدقة على برنامج حزب العمل وفحوى المناقشات التي جرت في مؤتمره، وبعد أن أطلعنا على التصريحات التي أدلى بها ابان الحملة الانتخابية.

نحن. وان كنا لم ننجح في توحيد القوائم العربية الا اننا نستطيع القول ان الجهود التي بذلت أدت، او ساهمت في الوصول الى النتيجة النهائية للانتخابات. تلك النتيجة التي قضت على كل أمل أو فرصة لشامير في العودة الى السلطة.

هذا يدعونا الى القول لرابين بأننا نعبر عن ارتياحنا لنجاحه وكنا نتمنى ان نقول ذلك علناً. ومن هنا عليه أن يفهم ان بمقدار ما يتحمل مسؤولية تجاه الناخب الاسرائيلي فانه يتحمل مسؤولية تجاه المواطن الفلسطيني العربي. لأنه من الزعامة الاسرائيلية التي تتمتع بالشجاعة المطلوبة لصنع السلام. ولذلك فاننا نأمل ان لا يخيب امل الناخب الاسرائيلي وكذلك المواطن الفلسطيني العربي.

واذا اراد السيد رابين ان يفهم حقيقة موقفنا، فعليه ان يعلم اننا فتحنا خمس غرف عمليات في أماكن مختلفة من العالم لمتابعة دقائق عملية الانتخابات.

وهنا لا بد لنا ان نشير الى تسريب الخبر حول لقاء مزعوم نشر في فرنسا، لنؤكد أن هذا لم يصدر من جهتنا إطلاقا، وان أسلوب نشر الخبر وفحواه يدل على ان الذين فعلوا ذلك هم خصوم رابين الانتخابيين، وانهم حاولوا ربط بعض الاحداث ببعضها ونسجوا عليها الخبر، وذلك للاساءة اليه انتخابيا. فقد عرفوا بوجود (...) في القاهرة في الوقت الذي كان فيه ابو عمار، وصاغوا الخبر بعد ذلك على ضوء هذه المصادفة.

نحن متفقون تماما على تقليص قنوات الاتصال واقتصارها على الجهة التي ترتاحون اليها. وفي نفس الوقت فاننا حريصون على أن يبدأ المطبخ عمله في الوقت الذي يناسبكم وان كنا نتصور انه كلما أسرعنا كلما كان أفضل لنا جميعا.

وما دمنا نريد ـ كلانا ـ سلاماً حقيقياً ودائماً. وما دمنا قررنا ـ بدون مناورة او خداع ـ ان نتعايش في منطقة واحدة. فعلينا ان نبادر الى بناء جسور الثقة والاطمئنان من الآن وان نتجاوز كل الشكليات والحرتقات والشطارة. ان شجاعة رابين في طرح بعض الافكار الايجابية للوصول الى حل في ظل حملة انتخابات سمتها الاساسية الغوغاء والتعصب والعناد. ان هذه الشجاعة تفوقها شجاعة القيادة الفلسطينية التي تمكنت من تجاوز كل العقبات في الساحة الفلسطينية والعربية وان تعلن بلا مواربة او تكتيك، انها تقبل بالشرعية الدولية. كما تقبل بالافكار التي طرحها الرئيس جورج بوش وبمضمون رسائل الدعوات ورسالة التطمينات الامريكية.

ان مثل هذه الخطوات الشجاعة من الطرفين تجعل من المؤسف جداً ان يتوقف احدنا عند قضايا نعرف سلفاً انها لا تساعد على تحقيق الأمن والاستقرار والتعايش. ولقد سبق لكلينا ان جربنا التعايش بحلاوته ومرارته في الأندلس، عندما كنا معا وعندما طردنا سويا منها.

ولذلك فانكم عندما تتساءلون عن تصورنا (البند رقم ١) عن المرحلة الانتقالية، فإننا نقول لكم، اننا نتصورها كما وردت في رسالة التطمينات، أي بالانتقال

السلمي والمنظم للسلطة من الاسرائيليين الى الفلسطينيين، ليتمكن الفلسطينيون من السيطرة على قراراهم السياسي والاقتصادي والقرارات التي تؤثر على مستقبلهم. وهنا سنبادر بكل عقل منفتح وشجاع الى رابين لنطلب منه تفسير ذلك وتطبيقه مستنداً في ذلك ـ وحسب قوله ـ الى تفويض الناخب الاسرائيلي له بتطبيق الحكم الذاتي (البند رقم ٥). واضعاً في اعتباره انه يطبق حكماً ذاتياً انتقالياً تمهيداً لمرحلة حل نهائي (تصريحاته في حملته الانتخابية).

ان انتهاء الخيار الاردني (البند رقم ٦) في العقل الاسرائيلي دليل صحة، والحديث عن ان سقف التفاوض هو الكونفدرالية مع الاردن دليل استيعاب كامل لمستقبل المنطقة، لا نوافق عليه فحسب بل دعونا ندعوا اليه. وما سؤالنا عن كونفدرالية ثلاثية تضم اسرائيل، الا رغبة حقيقية في تمتين اواصر التعايش، وتعبيراً أكيداً على اننا نمد يدنا للسلام الحقيقي الذي لا يقوم على الغش والخداع. ان تحقيق مثل هذا الأمر يتطلب توافر الارادات لدى كل الاطراف ولا يمكن ان يتم بالاكراه، ولربما جاء الوقت المناسب في المستقبل لتشعر كل هذه الاطراف ان مصلحتها تكمن فيه، فتسعى اليه (البند رقم ٨)

لقد أزعجنا ما أعلنه ارينز وشامير عن نيتهما في التفاوض لمدة عشر سنوات دون الوصول الى نتيجة. وان كنا نعرف نوايا الحكومة السابقة، الا اننا لم نكن نتصور مثل هذه الرغبات الشريرة في إيصال المنطقة الى الهاوية، والمغامرة بمصير الشعوب بما في ذلك شعبكم الذي عبر من خلال الانتخابات الأخيرة عن مواقف مغايرة تماما لمواقف تلك الحكومة. ومن هنا فاننا نتفق معكم تماما، بضرورة العمل السريع والمكثف في المفاوضات القادمة وستجدون منا كل تجاوب (البند رقم ٤).

ان تقاليدنا وأعرافنا تتطلب منا ان نحترم عدونا الشجاع والذكي. ورابين حتى هذه اللحظة يصنف في خانة أعدائنا الذين يحتلون أرضنا ويضطهدون شعبنا. ومع ذلك فنحن نرى أنه رجل عسكري وقائد سياسي مشهود له، يفهم التحولات والتطورات العالمية، ويتمتع بنظرة شمولية للاستراتيجية العالمية. وبالتالي فهو قادر تماما على أن يفهم معنى الأمن، وان كنتم بحاجة اليه ـ وهذا حقكم ـ فنحن

أيضا بحاجة اليه. بل حاجتنا تفوق حاجتكم بآلاف المرات للفارق الشاسع بين قدراتكم وقدراتنا. والى أن تبنى عوامل الثقة بيننا ستبقى مسألة الأمن هاجساً لنا جميعاً. الا أن الشيء الذي لا نفهمه الخلط بين مفهوم الأمن في نهاية القرن العشرين، وفي عصر الصواريخ العابرة للقارات، وبين الجغرافيا، وبالتالي فإن استمرار عملية الخلط هذه تزيد هواجسنا وقلقنا وتعطينا مؤشرات كثيرة بأن الرغبة الحقيقية للسلام لا زالت بعيدة. وهذا يقودنا الى التفسير«الانتخابي» لمسألة المستوطنات، حيث تميزون بين ما هو أمني وما هو سياسي. واذا كنا نفهم أن معنى المفاوضات هو مساومات، لتحسين الشروط، ولكننا لا نستطيع أن نقبل من رجل استراتيجي مثل رابين مثل هذه التفسيرات. وقد ورد كلام يبدو متعارضا ان لم يكن متناقضاً في«البند ١٠» عندما تقولون «ونحن سنجمد الاستيطان» وهذا جيد شريطة ان يشمل كل الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، بما في ذلك القدس ولكنكم تستدركون بالقول: انما سنحافظ على المستوطنات اللازمة للأمن وخاصة في المرحلة الانتقالية. وإننا ننظر بكثير من القلق والرعب لجملة، «وخاصة في المرحلة الانتقالية».

نحن في حالة حرب، نمارسها بوسائلنا ما دام الاحتلال قائما، ولكننا لا نمارس القتال والعنف من أجل القتال والعنف، وانما لنصل الى حقوقنا التي أقرتها لنا الشرعية الدولية، ولهذا فنحن شعب كبقية الشعوب نريد ان نحيا حياة طبيعية خالية من كل الشوائب. ولكي نؤكد لكم اننا نمارس حقنا بوعي كامل وإدارك سياسي عميق، فقد مارسنا وضغطنا على الآخرين ان يمارسوا ضبط النفس عشية الانتخابات حتى لا يتسلح شامير بسلاح ضدكم.

نحن نفهم عدم تهاونكم في مسألة الأمن وقد جربنا هذا في الحقبة الماضية ونعرف بالضبط ما تقوموا به (البند رقم ١٢). ولكن دعونا نتساءل ونسأل؟ أليس بامكانكم ان تقوموا باجراءات كثيرة من شأنها ان تريح الناس وتزيل الاحتكاك؟ (المطلوب بالبند ٣ مرفق). كذلك فإن سرعة التقدم في المفاوضات ستعطي الناس الانطباع بأن نهاية معاناتهم قريبة. ولا بد أنكم تذكرون أن أطفالنا الذين حملوا

الحجارة ويحملونها ضد جنودكم منذ خمس سنوات ويفهمون المعنى السياسي لهذه الحجارة، هؤلاء الاطفال فهموا وبسرعة المعنى السياسي من غصن الزيتون الذي حملوه بعد مدريد، أليست هذه أطروحة سياسية موجهة الى أطفال اسرائيل وساستها وجنودها؟ ماذا سيكون مصير الأمل الذي برق بعد مدريد اذا عرف شعبنا ان شامير كان يحاول ان يكسب الوقت لمزيد من الاستيطان ومزيد من القمع ومزيد من التهجير؟ كيف يمكن لشعبنا ان يصدق ان الحكومة التي ستذهب الى روما هي غير الحكومة التي ذهبت الى مدريد وواشنطن؟ لا يمكن ان يصدق ما لم ير على الأرض الحقائق تتغير. وما لم يتغير ما بالنفوس.. والأمر بيدكم.. فنحن قدمنا كل شيء.

مهما كانت معلوماتنا ايجابية عن تلك الشخصية الاسرائيلية الكبيرة التي نتفاوض معها، فإن المسألة تتعلق بالتعليمات التي سيحملها. فإذا كانت ايجابية فمما لا شك فيه انه - عندئذ - سيضفي عليها ميزاته الشخصية (البند ٢٠).

أرجو ان تسمحوا لنا بأن نعلق على قولكم بأن الطريق طويل وشاق (البند ١١). وذلك بسبب ما ذكرتموه عن الخارطة السياسية في اسرائيل. نحن نزعم إننا نفهم الخارطة السياسية الاسرائيلية، ونعرف ان نسبة كبيرة من التطرف يعود سببها الى المزاودة وكسب الشارع للاستمرار على كرسي السلطة. وهذا يذكرنا بقول اسحاق شامير عشية خسارته الانتخابات عندما قال: «لقد تعب الشعب الاسرائيلي من النضال من أجل اسرائيل الكبرى.. لقد فشلنا في اقناع الناخب الاسرائيلي بأهدافنا. ويذكرنا بما قاله موشي أرينز أيضا عقب انسحابه من الحياة السياسية، لم أكن من المناضلين من أجل اسرائيل الكبرى... الخ.

واذا استثنينا موليدت وتسوميت، المتطرفتين. فاننا نعرف حقيقة أهداف الاحزاب الدينية ومتطلباتها وانتم أدرى منا بذلك. وأرجو ان نكون قد فهمنا المغزى من حجب الثقة عن غينولا كوهين من قبل الناخب الاسرائيلي الذي صوت بشكل واضح للسلام. ولذلك فإننا نرجو ان لا تكون مسألة الخارطة السياسية الاسرائيلية ذريعة للتعطيل (البند رقم ١١). واذا جاز لطرف ان يتحدث عن تناقضات خارطته

السياسية فنحن أول من يتحدث عن هذا سواء على المستوى الفلسطيني حيث المعارضة العقائدية الجادة لمسيرة السلام، أو على المستوى العربي الداعم لبعض الأطراف الفلسطينية المذكورة لتعطيل هذه العملية، ومع ذلك فعندما قررت مؤسساتنا التشريعية والتنفيذية السير في مخطط السلام، كان ذلك رغم كل المعارضات.

ان بناء السلام لا يتجزأ، ولاسرائيل مشاكل نتيجة الاحتلال مع كل من سورية ولبنان. والسعي الى السلام يجب ان يكون شاملاً، وان يكون جاداً على مختلف الجبهات، ولذلك فاننا نفهم من (البند رقم ٢) انكم ستركزون معنا حول المرحلة الانتقالية، ما لا ينفي تركيزكم على ايجاد حلول مع الآخرين.

لقد قضينا في المفاوضات خمس جولات، كانت آخرها في واشنطن. ونحن نشاطركم الرأي ان نبدأ في روما من حيث انتهينا في واشنطن. لقد قدمنا مذكرات ووثائق ـ لم تجد صدى ـ لدى الوفد الاسرائيلي، تتعلق بنقل السلطة، والانتخابات التشريعية ومسائل الاستيطان وحقوق الانسان. وقد راعينا بدقة ان تنسجم هذه الوثائق والمذكرات مع الشرعية الدولية ورسالة التطمينات الامريكية ورسائل الدعوة، تلك الرسائل التي أكد فيها الامريكان انها لا تتناقض او تتعارض مع اية رسائل اخرى سُلِّمت لطرف آخر وبالذات للطرف الاسرائيلي، ونحن بكل صراحة متمسكون بمضمونها جميعا على الرغم من التحفظات التي سجلناها في حينه وقدمناها الى الادارة الامريكية. وأي تراجع عنها يجعلنا في موقف صعب امام شعبنا ويفقدنا مصداقيتنا اذا قبلنا بذلك، ولن نقبل. ومن هنا فان عين المفاوض الاسرائيلي الجديد سترى بموضوعية ان ما كتبناه هو منطقي وواقعي، الأمر الذي يدعوكم الى البدء الفوري باجراءات بناء الثقة، ثم الانتقال فوراً الى الانتخابات التشريعية والاتفاق على نقل السلطة.

وكان في الرسالة ملحقا حول اجراءات بناء الثقة تتضمن ما يلي:

١ ـ إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

٢ - إلغاء الاعتقال الاداري وقوانين الطوارىء السارية المفعول منذ فترة الانتداب.

٣ - اقفال معتقلي انصار ٣ ونفحة.

٤ - رفع الحظر والقيود عن حرية النشاط والانتماء السياسي.

٥ - اعادة المبعدين وفق قرارات مجلس الأمن.

٦ - الغاء الضرائب التي فرضت منذ عام ١٩٦٧ (خمسة انواع من الضرائب).

٧ - وقف مصادرة الاراضي والممتلكات واعادة المصادر منها الى اصحابه الشرعيين.

٨ - تسهيل عملية لَمْ شمل العائلات.

٩ - رفع القيود عن تصدير السلع من الاراضي المحتلة والامتناع عن عرقلة أية مشاريع تنموية.

١٠ - الغاء القيود على عمليات البناء.

١١ - الغاء نظام البطاقة الخضراء وحرية دخول القدس.

اجتماع عمرو موسى مع رابين وبيريز:

وفي يوم الجمعة ٩/ ١٠/ ١٩٩٢ التقيت وزير الخارجية المصري اثر عودته من زيارته لاسرائيل. وذكر انه التقى متفرداً مع اسحاق رابين، ثم مع شمعون بيريز ثم جرى فيما بعد لقاء ثلاثي في تل أبيب. وعرض الوزير ما يلي بخصوص النقاط التي اثيرت معه من قبلنا، لبحثها مع الاسرائيليين، قبل سفره الى اسرائيل، والتي تتعلق بالمرجعية ٢٤٢ - ٣٣٨ وحضور المتعدد، والانتخابات والقدس واللجنة المقترحة، والقناة الخلفية، والاستيطان والأمن والكونفدرالية، ومسألة غزة، والاشراف، ومبادرات حسن النوايا، والجداول الزمنية. وسنستعرض هذه النقاط دون ترتيب:

١ ـ بخصوص المرجعية:

في اللقاء الاول مع رابين قال بأن ٢٤٢ لا ينطبق على المرحلة الانتقالية، وبعد ضغط الوزير بوجوب الاشارة بشكل أو بآخر إلى هذا القرار، افاد بأنه سيبحث في صياغة عامة ويتم ابلاغه بها مساء. وعرض في هذا الخصوص على قوله انه اذا كان الفلسطينيون يحتاجون الى التفاوض معي فكل شيء يتم على مائدة التفاوض فقط، ولكن لأن الرئيس حسني مبارك له دور هام وايجابي فإكراماً له سأبحث الموضوع وأعطيك جوابي عليه.

وفي الجلسة الثانية وبحضور بيريز قدم له الصيغة التالية:

Negotiations on the final settelment of the palestinian question which would start not later than the third year of the interm period will be based on the resoulution 242, 338.

وذكر انه (أي رابين) سيعلن بنفسه هذه الصيغة او ستقدم رسميا على مائدة المفاوضات كوثيقة.

٢ ـ القدس والمجلس (الانتخابات)

لفت رابين انتباه الوزير حول موضوع القدس وأن هذا الموضوع شديد الحساسية ولا يستطيع البحث فيه الآن، ولكن الوزير عمرو موسى رد عليه بفكرة مآلها «لجنة القدس» وكذلك اجراء الانتخابات في مسجد او كنيسة، وتكون هذه اللجنة مرتبطة بالجسم المنتخب.

وعلق رابين قائلا: اتمنى على الفلسطينيين ان يتفاوضوا معي بجدية ولا يتمسكوا بالقشور، وقبل ذلك فلن ابحث في هذه القضايا. فقد ظهر لي أن السوريين أكثر جدية من الفلسطينيين، واستطرد يقول ان كلا من اعضاء الوفد له رأيه الخاص، وكل ما يهمهم اوراق للدعاية والنشر، ومن جهتي فانني لن أتحرك اذا بقي الأمر هكذا، واذا كانوا جادين وجديين فأنا على استعداد لمساعدتهم.

واقترح بخصوص ما تحدث به الوزير عمرو موسى عن القدس ان يتم تشكيل فريقين:

الفريق الاول: فريق يبحث في الانتخابات، وللفلسطينيين ان يطرحوا مقترحاتهم بخصوص القدس، وأنه مستعد لذلك على الا يكون في إطار دعائي أو عشوائي، فإما انهم يريدون ان يتحركوا، او لا، فأنا لا أخسر شيئاً.

الفريق الثاني: يبحث في مسؤوليات المجلس أي «إطار ومسؤوليات المجلس». وقد رفض رابين الحديث في سلطات المجلس، مما جعل الحوار ساخناً. وبعد أخذ ورد طلب رابين مهلة للتفكير. وَعقّب عمرو موسى بأن مصر تريد فكرة مقبولة للطرفين، وبعد مرور بعض الوقت طرح رابين صياغة تسمية المجلس (Excutive Body)، الا ان الوزير أعاد النقاش حول هذا المقترح، وقال أن مصر تقترح تسميته «المجلس الفلسطيني التنفيذي». وعَقّب رابين على ذلك قائلاً: دعهم يطرحونها في المفاوضات وبدون استخدامها في الاعلام.

وبعد نقاش مطول حول العدد، قال رابين لا مانع لدي ان يكون العدد (٢٧). فطلب الوزير ان يكون مضاعفاً وترك الباب مفتوحاً.

٣ ـ القناة الخلفية:

لقد قرر رابين بأنه يقبل بمصر فقط لتكون القناة الخلفية في حال تعقدت الأمور، وذلك لأنه لا يثق بأن المعلومات لن تتسرب الى أكثر من العدد المقترح، الأمر الذي يفقد هذا الموضوع مضمونه، وهو يوافق على مصر لتكون القناة الخلفية لنا ولهم. بحيث نعود اليكم، كلما دعت الحاجة الى ذلك وخاصة في القضايا الكبيرة.

٤ ـ المتعدد:

قال رابين انه يوافق على دخول الفلسطينيين في اللجان الخمسة ومن الخارج وذلك ضمن الرؤية التالية:

١ - ان لا يكون من ضمن الاعضاء أحدٌ من مدينة القدس.

٢ - ان لا يكون من ضمن الاعضاء أحدٌ من المنظمة واجهزتها.

٣ - الاعضاء الحاليون في اللجنتين تبقى اسماؤهم موجودة، ويتغيبون بشكل دائم (يوسف الصايغ - وإيلي صنبر). (قال بيريز يوجد شخص ثالث)،

وقال رابين: كل ما قلته يعتبر لاغياً اذا نفذ عرفات ما أعلنه أمس في عمان عن عقد المجلس بشقيه. وتابع الوزير قوله، المهم لنا عدم تنفيذ ما أعلنه ابو عمار ونحن سنبلغ اسرائيل بذلك.

٥ - حول الكونفدرالية الثلاثية:

عندما استوضح الوزير من رابين عن تصريحات خاصة عن الكونفدرالية الثلاثة، قال رابين (نعم من حيث المبدأ موافق وبعد ذلك نبحث التفاصيل سواء ثلاثية اسرائيل - فلسطين - الاردن. أو ثنائية الاردن وفلسطين). وعقبت بقولي كما تعرفون يا سيادة الوزير ان هذا الامر جيد ولا بد من بحثه أولا مع الاردن.

٦ - الاستيطان والأمن:

تعقيبا على ما تحدثنا به مع الوزير حول تمييز رابين ما بين الاستيطان السياسي والأمني وتأكيدنا انه كله استيطان توسعي، قلنا للوزير ما دام رابين يهتم بالأمن فنحن مستعدون لنبحثه بعقول مفتوحة لأن الامن يهمنا كما يهمه، ولماذا نبحث الامن من منطلق أبعاد الخوف المشترك؟ فلنبحثه من منطلق الحرص على المصلحة المشتركة. تعقيباً على هذا الكلام الذي نقله الوزير لرابين، اجاب رابين اننا موافقون من حيث المبدأ، على ان يثار ذلك على مائدة المفاوضات.

هنا قال لنا عمرو موسى: ممكن ان تبحث بشكل جانبي ومغلق في إطار المفاوضات الرسمية، واذا كانت لديكم مشاريع جاهزة فاننا على استعداد لنقلها.

٧ ـ الجداول الزمنية:

ذكر رابين انهم اذا كانوا جادين فنحن مستعدون للانتهاء من (Modaleties) في يناير/ كانون الثاني ١٩٩٣ وان تجري الانتخابات في ابريل/ نيسان او مايو/ ايار١٩٩٣. واذا كانوا لا يريدون اجراء الانتخابات فنحن مستعدون للاتفاق على قائمة اسماء المجلس.

٨ ـ الإشراف:

اقر رابين بان مسالة الإشراف ككل تتعلق بالمرحلة النهائية، اما في اطار المرحلة الانتقالية، فان ذلك امر مرهون بالاتفاق بين حكومة اسرائيل والمجلس المنتخب.

٩ ـ غزة:

تعقيباً على ما طرحه ابو مازن حول تصريحات متعددة من مسؤولين اسرائيليين بشأن غزة. لم يطرح الوزير مسألة انسحاب اسرائيل من غزة. وانما تركز البحث من قبل بيريز في لقائه المنفرد معه على ازمة المياه في قطاع غزة من مجاعة وعطش. وطلب ان يتم تخصيص اقامة مشروع تحلية للمياه هناك، تشارك به السعودية وأوروبا وغيرهما، ونحن كاسرائيل جاهزون للمساعدة. واضاف بيريز قائلاً ستكون هذه المياه ملكاً لاهل القطاع يستعملونها، وما يفيض عنهم يمكن ان يبيعوه، ويمكن أن نشتريه منهم.

١٠ـ اجراءات بناء الثقة (حسن النوايا)

قال رابين بانني قمت بكثير من الاجراءات لابداء حسن النوايا ولكن مع الاسف قوبلت بردود فعل سيئة. الامر الذي جعلني اتوقف عن تكرار هذه العملية الان.

وفي نهاية الحديث قال الوزير عمرو موسى بان اية كلمة تخرج او تسرب من هذا الحديث(المحضر) ستجعل رابين مرغماً على أن لا يكرر مثل هذا الكلام ويعتبر نفسه في حل مما قال، الا فيما عنى الذي يتم الاتفاق على نشره، مثال اللجان الخمسة.

وفي لقاء حسيب صباغ مع هنري سيجمان الذي تم بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٩٢، حمّل سيجمان حسيب صباغ رسالة غير مكتوبة للمنظمة، مطالباً المنظمة بتسهيل مهمة الوفد الفلسطيني، مشيراً الى الدور الايجابي الذي يمكن ان يلعبه يهود اميركا في عملية السلام.

بعد ان مضى بضعة اشهر على قناة اوسلو، لاحظت ان كثيراً من المسؤولين الاسرائيليين يرغبون في لقاء معي، وكانوا يحددون اسمي، وكنت استغرب مثل هذه الهجمة الضخمة، وقد كنت ارفض هذه اللقاءات المقترحة بناء على احتمال وضعته، يدور حول سعي حكومة رابين لامتحاننا ومعرفة مدى تمسكنا بقناة اوسلو، ومدى رغبتنا في اللعب على الحبال والاتصال باكثر من مجموعة وفتح اكثر من قناة، وهذا ما دفعني لان ارفض اللقاء مع وزيرة التربية الاسرائيلية شولاميت ألوني التي حددت اكثر من موعد واكثر من مكان للقاء معها، وكان آخرها يوم ١٣/٧/١٩٩٣ في روما، حيث التقاها هناك محمود درويش. وكذلك فقد اتصل بي باسل عقل وابلغني بان الشخصية الاسرائيلية الكبيرة المقربة من رابين، ترغب في لقائي، فطلبت منه أن يلتقي نبيل شعث، وقد تم هذا في واشنطن على هامش اعمال الجولة العاشرة للمفاوضات الثنائية. وبعد فترة قصيرة ابلغني سفيرنا في روما ان يوسي سريد والنائب ديدي تسوكر وهما من حركة ميرتس يرغبان في لقائي في روما، لكنني اعتذرت وطلبت منه ان يلتقيا نبيل شعث في القاهرة وقد تم ذلك، الا ان ما اصابني بالذعر هو ان سريد أسرّ الى شعث بان رابين ابلغه بوجود قناة سرية، وعندما نقل لي شعث هذا الخبر مصحوباً بمحضر اللقاء، ابلغته بان سريد لا يعرف شيئاً وان رابين يتحدث عن قناة مصرية، وان زيارات عمرو موسى وزير خارجية مصر، الى اسرائيل هي ما كان يعنيه رابين في كلامه. واضفت: ان هذه اللقاءات لا تعني قناة رسمية، لان رابين رفض منذ البداية فتح اية قنوات خلفية معنا، لانه يعتقد اننا نسرب الاخبار واننا لا نحفظ الاسرار، ولا مصداقية لدينا. ولذلك لا تلتفت الى مثل هذا الكلام.

وبعد ذلك حدثني باسل عقل بان هنري سيغمان المدير التنفيذي للمؤتمر

اليهودي الامريكي يريد اللقاء بي في القاهرة. وقد سبق لهذا الرجل ان طلب من باسل ان يعرف راينا في التسوية. فكتبت له مذكرة مقتضبة عن رؤيتنا لهذه التسوية. ولكنه لم يُجبْ. والان يطلب لقاءً مباشراً ومعلناً اذا اردنا، وقد وجدت من المناسب أن يلتقيه ايضاً نبيل شعث، وقد حصل اللقاء في القاهرة بتاريخ٢٢/٧/١٩٩٣.

كان الاسرائيليون الذين يطلبون اللقاء معنا. يعززون طلبهم بانهم مقربون من رابين مثل تلك الشخصية الاسرائيلية الكبيرة، او قريبون من منبع القرار الاسرائيلي مثل يوسي سريد وديدي تسوكر. ولكن كنا نشعر ان رابين لم يطلب من احد الاتصال بنا. ولعل الامر معكوس اي هؤلاء يقترحون على رابين ان يتصلوا بنا، فلا يبدي اية ممانعة.

وهناك فرق كبير بين الحالتين. لذلك كنت احرص على ان يتأكد نبيل شعث من هؤلاء فيما اذا طلب منهم لقاؤنا او هم اقترحوا اللقاء. وكذلك كنت ارغب في الوصول إلى حقيقة اخرى، وهي: هل ما يحملونه هو من افكارهم التي قدموها لرابين ام ان رابين حملهم هذه الافكار؟ فهناك فرق كبير بين الحالتين. حيث انه اذا اقترح شخص ما على رابين ان يحضر ليقول لنا امراً ما، فهذا شيء،او ان رابين يستدعي شخصاً ويطلب منه ان ينقل افكاراً محددة او اسئلة محددة، فهذا شيء آخر. وقد لاحظنا ان الجميع متطوعون للمجيء ويحملون افكارهم الشخصية، وانهم يبحثون عن دور شخصي، وان رابين او بيريز لم يكلفا احداً غير اعضاء التفاوض في التباحث معنا.

وهذا ما كان يعزز عندي فكرة الامتناع عن اجراء اية لقاءات خارج اطار اوسلو، وكنت اقدم الحجج والذرائع بان المفاوضات في واشنطن تسير ولا نريد أن نعكر صفوها، ولا نريد ان نشوش المفاوضين بقنوات اضافية.

في يوم ٢٥/٧/١٩٩٣، وصل الى تونس د. احمد الطيبي وهو فلسطيني من مدينة الطيبة يحمل الجنسية الاسرائيلية، ويتميز بوعي سياسي وبمعرفة كبيرة وواسعة لما يجري في الساحة الاسرائيلية، وتربطه علاقات قيمة مع عدد من

الشخصيات الاسرائيلية البارزة. وهو يتسم بالنشاط والحيوية والحس الوطني. وقد وصفه الشهيد ابو اياد عام ١٩٩٠ بانه فلسطيني وطني مناضل من اجل السلام، له مصداقية قوية مع عيزرا وايزمن وحاييم رامون وآخرين في حزبي العمل وميرتس. وكذلك تربطه علاقات صداقة قوية مع عدد من القادة الفلسطينيين تتسم بالمصداقية والدقة. وكثيراً ما كانّ ينقل رسائل شفوية ومكتوبة تحمل احياناً طابعاً سياسياً واحياناً طابعاً انسانياً، و قد لعب دوراً في محاولة عقد لقاء بيني وبين عيزرا وايزمن آنذاك. ومن المعروف ان وايزمان كان من صقور الليكود، الا انه أثناء مباحثات كامب ديفيد او ما قبلها بدأ يغير مواقفه. ويقال ان سبب التغيير يعود الى العناية الفائقة التي احاطه بها الرئيس الراحل انور السادات الذي كان يناديه بـ عزيزي عيزرا. ويقال ان هذا ليس السبب الوحيد، وانما هناك سبب انساني، وهو ان ابنه الوحيد، الوريث لعائلة وايزمان قد اصيب اثناء حرب الاستنزاف برصاصة في راسه اصابته بعاهة مستديمة. واثر الحادث عليه كثيراً وجعله يرى ان استمرار الحرب ستصيب ابناء اخرين مثلما اصابت ابنه. ولذلك راح يدعو الى السلام وخرج من الليكود الى العمل. ومن العمل الى انشاء قائمة مستقلة . ثم عاد مرة اخرى الى العمل. ولكنه لم يتوقف عن دعواه للسلام.

نعود الى احمد الطيبي الذي ساهم في الاتصالات بيننا وبين الاسرائيليين. بعد اجتماعات له مع حاييم رامون وزير الصحة الاسرائيلي، اقرب الوزراء الاسرائيليين الى اسحاق رابين، جاء حاملاً معه عدة اسئلة وطالباً الاجابة عليها.

وقد ساعدت مهمة الطيبي عرفات الى الحد الاقصى، عندما كان يشرح قناة اوسلو دون ان يذكرها. حيث كان يكتفي بالحديث عن مهمة الطيبي، وان كل الموضوع بدأ بهذه المهمة وينتهي بها ايضاً. حتى اصبح الطيبي الاسم الرمزي للقناة الخلفية وذلك بسبب تكرار اسمه لدى كل من يريد ان يشرح له عرفات اتفاق اعلان المباديء الاسرائيلي الفلسطيني.

ولم يكن بالامكان عدم الرد على هذه الاسئلة باية حجة من الحجج.

وقد ابلغني الطيبي بانه قبل حضوره الينا عقد لقاءين مع حاييم رامون وزير الصحة. وللدقة فقد سجل محضرين عن هذين اللقاءين وقدمهما لي ثم اتبعهم بالاسئلة التي قال بان رامون كتبها بنفسه، وانه لم يفعل ذلك الا بعد ان استشار اسحاق رابين.

ـ بروتكول

مكان الاجتماع: وزارة الصحة. مكتب المدير.

التاريخ: ١٤/٧/١٩٩٣. الاربعاء ١١,٤٥ صباحاً.

ح.ر.: اعرف انك قريب جداً من عرفات.

أ. ط.: اجتمعت معك بعد ان حصلت على موافقته. وهو على علم بهذا الاجتماع.

ح. ر.: رابين لا علم له بهذا اللقاء، ولكني بناء على مجرى حديثنا سوف اعلمه به واطلعه على التفاصيل.

أ. ط.: انا مخول بسماع اقتراحاتكم ونقلها للرئيس. لا استطيع اتخاذ قرارات او اعطائك رداً الآن على اية ملاحظة اساسية.

ولكن اسعى لان اقنعك وبالتالي رابين بحتمية التفاوض بشكل جدي مع ياسر عرفات. انه صاحب القرار الوحيد في الشعب الفلسطيني، وهو الذي يستطيع التوقيع على اتفاقية معكم.

ح. ر.: معارضتي للتحدث الآن مع منظمة التحرير الفلسطينية في تونس هي براغماتيكية وليست ايديولوجية.

أ. ط: لقد قيل لي انك مبدئياً توافق على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية. وان رابين يوافق على التفاوض معهم من اجل التوصل الى اعلان مبادىء مشترك..

ح. ر.: يجب ان اكون دقيقاً. رايي الشخصي انه اذا تبين ان منظمة التحرير

قادرة على التوصل معنا الى التوقيع على اعلان مبادىء مشترك حول الحل المرحلي، فاني شخصياً اوافق، على ان يوقعه شمعون بيريز ومقابله ابو مازن او اي شخص يختاره عرفات ... نبيل شعث او آخرين. واضيف واقول انني اشعر واعتقد انه اذا تبين لاسحاق رابين ان المنظمةستوقع معنا بكل تاكيد على اعلان مشترك، فبرأيي ان رابين انسان عملي وسوف يوافق، على ان توقع المنظمة بشكل علني على الاتفاق على مستوى وزاري.. ولكن رابين رجل كثير الشك، واحياناً بحق. ويجب ان يكون متأكداً من نية القيادة الفلسطينية في تونس، اي التوقيع والتوصل الى اتفاق جدي.

أ.ط: هناك نقاط خلاف كثيرة حول اعلان المبادىء. الاقتراح الامريكي مرفوض بشكل كامل تقريباً لانه يتبنى لغة ومواقف اسرائيلية.

ح.ر: انت تفهم، احمد، الشارع الاسرائيلي. موضوع القدس هو خط احمر بالنسبة لنا...

أ.ط: وبالنسبة لنا أيضاً. نحن نتحدث عن القدس الشرقية وليس عن القدس الغربية.

ح.ر. ادرك ماذا تريدون.. وادرك ما تصبون اليه. لقد اعطيناكم الكثير، على عكس الحكومة السابقة ولكنكم تخطئون في رفض ذلك.

ا.ط: هناك انطباع انكم تعطون الجانب الفلسطيني حكما ذاتيا للسكان وليس للارض..

ح.ر: على ماذا تتحدث.. ماذ تقول! لقد اعطيناكم سلطة على ٦٠٪ من الاراضي. يجب ان يكون واضحاً: لا مجال لان لا تسيطر اسرائيل على المستوطنات في الفترة الانتقالية. انت تعرف الشارع الاسرائيلي.

ا.ط: ولكنكم تجعلون من المستوطنات منطقة Ex-territorial.

ح.ر: نحن نتحدث عن الفترة الانتقالية فقط...

ا.ط: الشارع الفلسطيني فقد ثقته في مجريات المفاوضات كما تجري اليوم. صيغة مدريد يجب ان تعلن وفاتها منذ زمن طويل. عمليا المفاوضات الحالية استنفذت منذ فترة ولا مجال للتقدم. يجب رفع مستوى المفاوضات والتحدث مع صاحب القرار في تونس.

ح.ر: يجب ان نسأل المنظمة اذا كانت مستعدة لتليين موقفها من نقاط الخلاف، ولكن يجب ان يكون ذلك بشكل سري للغاية.

ا.ط: ما هو المطلوب؟

ح.ر: هناك عدة اسئلة يجب ان يردوا عليها...

ا.ط: اكتبها وسوف انقلها الى القيادة في تونس.

ح.ر: سوف اكتبها على ورقة بيضاء...

ا.ط: اذن سوف لن تحصل على رد على ورقة رسمية لمنظمة التحرير، لانك لا تعطيني ورقة رسمية اسرائيلية...

ح.ر: الهدف هو معرفة ردهم ومن ثم التقدم الى الامام معهم.. من جهتي فليعطوننا رداً على ورقة بيضاء.

ا.ط: سأطرح ذلك. ما هي الاسئلة...

ح.ر: الاسئلة هي حول ما يلي:

١ ـ هل تقبل منظمة التحريرمبدأ الحل المرحلي؟

٢ ـ هل تقبل المنظمة ابقاء موضوع الحل النهائي للقدس حتى بداية المفاوضات حول الحل النهائي للاراضي؟

٣ ـ هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية بان تكون اسرائيل هي المسيطرة على المستوطنات في الفترة الانتقالية؟

٤ ـ هل توافق منظمة التحرير الفلسطينية على ان يكون الامن الخارجي للاراضي تحت سيطرة اسرائيل؟

ا.ط: اتوقع ان تكون هناك اجابات واسئلة ايضاً من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. هناك نقاط خلاف عديدة.

ح.ر: يجب جَسْر الهوة والتوقيع على اعلان مبادىء مشترك. اود ان اقول ان هذه الورقة التي كتبتها (كتب الاسئلة بخط يده على ورقة وزارة الصحة) سأعرضها على اسحاق رابين وسأعود اليك في نهاية الاسبوع. هذا الاجتماع هو اجتماع سري.

ا.ط: دعني انتقل لموضوع آخر مهم، وهو وضع الجماهير العربية، وخاصة الأكاديميين العرب في اسرائيل، يجب ان تعملوا على ايجاد فرص عمل مناسبة لهم.

ح.ر: الا تلاحظ ان طريقة تعاملنا مع الوسط العربي هي مختلفة تماماً عن حكومة الليكود. نحن نعطي ميزانيات كبيرة الآن للسلطات المحلية جراء الغبن الذي لحق بكم. وهناك لجنة خاصة في مكتب رئيس الحكومة لاستيعاب الاكاديميين العرب في المكاتب الوزارية.

ا.ط: قانون الصحة الذي تسعى الى انجازه هو قانون جيد اتمنى ان تنجح في تمريره في الكنيست.

ح.ر: اعطني كل ارقام هواتفك.

أ.ط: هذه ارقام هواتفي في المكتب والمنزل.

ح.ر: سأعود اليك بعد عدة ايام لان رابين الآن مشغول في الوضع على الحدود اللبنانية. اشعر ان هذا هو اجتماع مهم.

ـ بروتوكول ـ

اجتماع رقم ـ ٢ ـ

تاريخ اللقاء: ١٩٩٣/٧/٢٠

المكان: نفس المكان.

ح.ر: ماذا تعرف عن القناة المصرية؟

ا.ط: اعرف جزءاً فقط. لا اعرف الكل..

ح.ر: هناك قناة في القاهرة... انت تعرفها.. ابو مازن بواسطة المصريين... عمرو موسى واسمامة الباز وبمعرفة عرفات.. ولكن الحقيقة ان الامور «واقفة» عند موضوع القدس... اذا حل هذا الموضوع فان امورا كثيرة ستحل... عندنا رابين وبيريز ايضاً متفتحون لامور عديدة... وانا قادم الآن خصيصاً من لقاء شمعون بيريز، ما يهمنا هو موضوع القدس... الا يبحث اليوم...

ا.ط: و Jurisdiction..؟!

ح.ر: لا.. نحن لا نقول حتى ذلك.. نحن نقول المستوطنات والامن الشامل... طبعاً من هذا تفهم امور من ضمن الولاية الجغرافية... لان الفلسطينيين يريدون تعريفاً بان الحكم الذاتي يشمل كل المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧.. وهذا.. القدس، ونعود مرة اخرى للقدس... ماذا قالوا لك في تونس بعدا اللقاء الاول بيننا...

ا.ط: لقد ابلغت الرئيس عرفات بان هناك شيئاً مهما وهو ينتظر نتيجة هذا اللقاء.. لانك ابلغتني انك ستذهب بعد ذلك الى اسحاق رابين... لقد قلت لي ان رابين هو براغماتيكي.. وانه اذا تم التفاهم او التوصل او الاقتراب من اتفاق، فان رابين سيوافق على أن توقع منظمة التحرير الفلسطينية على الاتفاق وبشكل علني.

ح.ر: نعم. هذا ما اقوله.. هذا رأيي.. العلنية هي مقابل الجوهر..

ا.ط: تقصد التوصل الى اتفاق مبادىء؟

ح.ر: نعم.. نعم. الاتفاق على الولاية الجغرافية وموضوع القدس... اذا كان ذلك واضحاً... ولكن هناك شك لدى رابين.. ان تكون العلنية ولا يتم التوقيع... في

هذا الموضوع... وضع الفلسطينيين افضل من وضعنا لان اللقاءات هي قبل الوقيع... والاعلان العلني هو قبل التوقيع... نخشى ان اللقاء العلني لن يؤدي الى اتفاق... يجب ان يتم بعد التأكد بـ ٩٩٪ ان هناك اتفاقاً.

أ.ط.: قلت انه من اجل السرية، فانك سوف تنقل حديثنا السابق الى رابين، وتعود الي مع اسئلة موجهة الى منظمة التحرير الفلسطينية والتي بدورها ستعطي اجوبتها. واتوقع ان تضيف اليها بعض الاسئلة التي تهم القيادة الفلسطينية... الى ان نصل الى ضرورة ان تقوم انت او اي شخص آخر من قبل رئيس الحكومة بمستوى وزاري بالاجتماع مع...

ح. ر.: شخص موازٍ من القيادة في تونس...

أ.ط.:نعم.

ح. ر.: احاول.. لان الموضوع جدي.. وقد اجتمعت مع رابين.. احاول ان اكون حذراً.

أ. ط.: مهم لنا.. ما رأي رابين.. لانكم ستتلقون من عرفات رأيه..

ح. ر. :رابين مستعد لامور كثيرة يعرفها الفلسطينيون في تونس.. ما يقوم به شمعون بيريز في القاهرة ليس ضد رغبة رابين وانما بالتنسيق معه، وهم يعرفون ذلك...

أ. ط. : القناة المصرية قائمة طوال الوقت،، هي مهمة لمنظمة التحرير.. ومهمة لجميع الاطراف.. ولكن المنظمة تريد اتصالاً مباشراً.. حتى ان المصريين يطالبون بذلك علناً.. انا من مؤيدي القناة المصرية... تونس تحبذ الاتصال مع اولي الامر مباشرة...

ح. ر. : انا اؤيد ذلك... لا مشكلة عندي في ذلك. ما تقوله انت بخصوص العلنية او ما قاله نبيل شعث حول ضرورة رفع مستوى المفاوضات اي الاتصال مباشرة... من المحادثات في القاهرة لم نفهم ولم نستنتج ان هذا هو امر مركزي بالنسبة

لتونس.. واقول لك بيننا، انه اذا لم يكن هذا هاماً كما كنت اظن فما الموضوع؟ الورقة الاساسية لدي هي علنية اللقاءات الرفيعة.. يقولون عندنا وفي اعلى المستويات.. «راس الهرم»، انه ليس واضحاً تماماً ان منظمة التحرير، بشكل عملي وليس بالتصريحات العلنية، معنية باللقاءات الرفيعة العلنية.. هذا الامر يقلقني..و عليها آنذاك، فان القناة الاخرى(اي القناة المصرية) هي عملية اكثر، لانه لا يتم الحديث هناك عن ذلك.. بيني وبينك ماذا نقول هنا.. ان منظمة التحرير الفلسطينية ستلين موقفها بخصوص القدس.

أ. ط: لا. ليس كذلك.. اقول ان منظمة التحرير الفلسطينية ستنقل اليكم موقفها بهذا الخصوص... وبهذا الشكل.. هذا الاتصال الكتابي ومن ثم الشخصي.. يمكن ان يكون تقارباً في مواقف الطرفين... اقول لك رأيي، المخالف للرأي الذي طرحته هنا، ان القيادة في تونس وخاصة عرفات وابو مازن معنيين بمفاوضات مباشرة، هذا واضح. مع اسحاق رابين او مع مَن يعين من قبله.

أ. ط: عندما تقول ابا مازن يجب ان تعلموا ان ابا مازن وعرفات ينسقون كل شيء بينهم... عرفات على علم بكل شيء. ما يجري بالقاهرة هو قرار جماعي..

ح. ر: ندرك ذلك. ندرك ذلك. عندما اقول ابا مازن اقصد ايضاً عرفات..

أ. ط : بخصوص الاتصالات عن طريق القاهرة ابو مازن هو الرجل...

ح. ر: طبعاً. هذا ما اقوله...

أ. ط: عندما لا تكون هناك قناة مباشرة فان الامكانيات تكون مقتصرة على قنوات جانبية اي طرف ثالث. احياناً المنظمة ستستخدم الحكومة التونسية لارسال رسائل الى الادارة الامريكية... وغالباً عن طريق مصر... واحياناً عن طريق الوفد الفلسطيني... كان الافضل لو كان هناك اتصال مباشر بين منظمة التحرير الفلسطينية والادارة الامريكية..

ح. ر: القناة المصرية، تدار بشكل اساسي بواسطة شمعون بيريز.

ا.ط: افهم من خلال حديثك ان من يتخوف من اتصال مباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية هو شمعون بيريز، لكي لا يمس، ذلك القناة التي يديرها هو، والتي تعطيه امكانية السيطرة على الامور... وهو متخوف من أن لا يرى المصريون ذلك بعين الرضى. على العكس..المصريون سيكونون سعداء اذا تمت لقاءات مباشرة.. لقد قالوا ذلك مراراً.

ح.ر: عملياً توصلنا الى قرار بإعطائك أسئلة... ماذا ستفعل.. لا أريد أن ترسلها بالفاكس.. متى ستسافر؟

ا.ط: اذا انجزنا ذلك اليوم فسأسافر خلال ٤٨ ساعة.

ح.ر: ستأخذ الاسئلة اليوم.

أ.ط: انظر باهتمام لما قلت عن براغماتيكية رابين التي تحدثت عنها... هل سيوافق على الجلوس مع منظمة التحرير الفلسطينية؟

ح.ر: لديَّ تقدير مثبت (based estimation) بأنه سيفعل ذلك... رابين يهمه موضوع القدس والامن... في باقي الامور فهو منفتح لكل شيء.

أ.ط: الجانب الفلسطيني معني بترتيبات مرحلية، خلال الفترة الانتقالية في شرقي القدس... الى جانب الحديث عن الوضع الثابت خلال مفاوضات الحل النهائي، أتمنى أن نتوصل الى اتفاق في هذه النقطة.

ح.ر: أي أنك تقول أن الفلسطينيين مهتمون في موضوع شرقي القدس بالاساس...

أ.ط: بالاساس.

ح.ر: ماذا تقصد بترتيبات مرحلية في القدس.

أ.ط: هناك عدة نقاط... هذا يدخل ضمن التفاوض المفصل... أفضل العودة الى القيادة ثم العودة اليك.

ح.ر: أعطني مثالاً...

أ.ط: لا أملك حق الحديث عن ذلك... أعطيني فرصة الى العودة الى القيادة في تونس.. سيكون لنا اجتماع في تونس في نهاية هذا الاسبوع.

ح.ر: على فكرة... كان حديث نبيل شعث أمس خلال التسجيل جيداً. التلفزيون يبدي انفتاحاً مؤخراً.. أليس كذلك.

أ.ط: نعم. هناك بعض التغيير.

ح.ر: كيف تريد الاسئلة مطبوعة أو بخط يد؟

أ.ط: كما تشاء...

ح.ر: أفضل أن لا تكون بخط يد. سأعطيك أسئلة مطبوعة على ورقة بيضاء. وننتظر ردكم من تونس.

أ.ط: في مرحلة من المراحل قد تكون هناك ضرورة لإلتقائك مع أبي مازن أو آخرين يختارهم عرفات.

ح.ر: حتي اليوم أبو مازن لم يجتمع... لقد جرت حوادث محرجة بالماضي... وأتكلم الآن بنعومة... هناك أشخاص ادعوا أن أبا مازن معني بالاجتماع بهم... ولم يلتقوا... أو لم يسمحوا لهم باللقاء... والخ... وهناك آخرون سمح لهم باللقاء ولكن اللقاء لم يخرج الى حيز التنفيذ.. أعتقد أن أبا مازن لم يرغب في لقائهم...

أ.ط: أنت دقيق... أبو مازن لم يطلب لقاء أحد. أنتم تطلبون لقاءه...

ح.ر: أنا أتكلم بنعومة... ولكن عملياً اذا تم تقدم وكان حاجةٌ للقاء، وعبّر أبو مازن عن موافقته على اللقاء وتأكد رابين إن أبا مازن يريد اللقاء فإن رابين سيوافق يجب ان يكون ذلك بهذه الطريقة... بسبب ادعاءات البعض ان أبا مازن أراد لقاءهم في الماضي، ولم تخرج هذه اللقاءات الى حيز التنفيذ.

أ.ط: أرجو أن توصل الى رابين بشكل واضح: مع كل مرونة أبو مازن

وبراغماتيكيته، فإنه اليوم ليس معنياً بلقاءات غير مجدية مع رسميين اسرائيليين. ومن ادعى امام رابين ان ابا مازن طلب مقابلته فعل ذلك على مسؤوليته...

ح.ر: سأنقل له ذلك. رابين يعرف ذلك حسب اعتقادي. يجب على رابين ان يقتنع تماماً ان اللقاء المقترح هو بموافقة ابي مازن وعرفات. لماذا جئت اليوم راكضاً الى هذا اللقاء معك لأني كنت في اجتماعات مهمة استمرت يومين قبل الاجتماع معك، نظراً لاهمية الموضوع. يجب ان يكون واضحاً لك ولهم، اننا لا نريد ان تسبب هذه القناة اي ضرر للقناة المصرية.. لأنها مريحة لنا.. أنا صريح معك. موضوع السلام من أهم المواضيع بالنسبة لي. أنا لا أبحث عن النفع الشخصي... المهم ألا نلحق الضرر بالقناة المصرية. أقول لك بصراحة... هناك نقطة أخرى.. تتعلق بك شخصياً. رابين لم يجتمع معك بالماضي. ولكنه يعرفك.. وهو يقول أنك مقرب من عرفات ولكنك لا تملك تأثيراً كبيراً على عرفات.. انك لا تستطيع الضغط عليه كما يستطيع المصريون... بصراحة.

أ.ط: أبلغ رابين أنني لا أنوي الضغط لأنني حقاً لا أملك القدرة على ذلك، بالاضافة أنني لا أريد الضغط... ولكن أهمية هذه القناة أنها مباشرة أكثر من القناة الاخرى وعليه فهي «أصيلة» أكثر... وهي ستوصل بسرعة أكثر الى اجتماع رابين - عرفات.

ح.ر: هذا ممكن، ان هذه القناة هي أصيلة وسريعة أكثر... وقد توصل بين رابين وعرفات... ولكن «القناة المصرية» مهمة لنا...

أ.ط: سأنقل تخوفك... بالماضي لم يكن لأي قناة أي تأثير سلبي على قناة أخرى...

ح.ر: لا نريد أن تؤثر هذه القناة على التقدم الذي طرأ في القناة الاخرى... خاصة وأن الفلسطينيين لم يطرحوا موضوع اللقاء المباشر(!!).

أ.ط: أهمية الاتصال المباشر هي أن حكومة اسرائيل ستتحدث الى حركة تحرر وطني... أن تتحدث معي وأنا ليس صاحب قرار... وقلت لك ما هي الخطوات

القادمة... هذا هو الطريق السليم والتدريجي... أنا أطرح رأيي على القيادة. أحياناً يقبل رأيي وأحياناً يرفض. أنا لست بديلاً عن القيادة في تونس... انا مندوب مؤقت عنهم الى هذا اللقاء.

ح.ر: هذه هي الميزة التي عندك، إننا لا نرى بك بديلا للمنظمة عندما نجتمع معك... أما عندما أجتمع مع الحسيني فمن الممكن القول اننا نجتمع مع اناس يمكن أن يكونوا قيادة اخرى... أو هكذا يظن عرفات.

أ.ط: لقد ثبت لكم أنه لا توجد قيادة اخرى ولا يمكن أن توجد وقد قال ذلك الحسيني بنفسه وزملاؤه في الوفد...

ح.ر: هذا واضح اليوم...

أ.ط: هل ترى امكانية لقاء عرفات ـ رابين؟

ح.ر: اذا تم الاتفاق على نقطة القدس فإن الموضوع وارد بالحسبان.

أ.ط: ماذا حول الكونفدرالية؟

ح.ر: أنا لا أريد أن أتحدث من خلال الاسئلة عن موضوع الحل النهائي... فليقوموا هم بطرح هذا السؤال... هذا استباق للحديث عن الحل المرحلي...

أ.ط: يمكن التحدث عن الحل النهائي بشكل سريع بموازاة التوقيع على اتفاق اعلان مبادىء للمرحلة الانتقالية...

ح.ر: مع البدء في الحكم الذاتي عملياً، أو التوقيع على اتفاق الحكم الذاتي وليس على اتفاق اعلان المبادىء... عليك أن تبلغ تونس انه اذا ثبت ان القنوات غير المباشرة مجدية أكثر من القناة المباشرة فلماذا الحاجة الى الاتصال المباشر... مؤتمر مدريد حصل بعد ضغط الادارة الامريكية ومصر... لأنهم يستطيعون الضغط. أنت تقول أنك لا تريد أن تضغط ولا تستطيع أن تضغط..

أ.ط: لذلك فإن عرفات مرتاح لهذه القناة...

ح.ر: على فكرة.. هل تضايقك السلطات كما كان في فترة شامير...

أ.ط: لا. لا. شامير متعني من السفر ثلاث مرات استنادا الى قانون الانتداب البريطاني. رابين على الاقل يسمح بحرية الحركة... وللجميع... الحق يقال...

ح. ر: هذا اثبات اننا على الاقل في هذا المجال افضل من الحكومة السابقة..

ا. ط: هذا أكيد. الى اللقاء.

ح. ر: اتصل بي راساً عند عودتك. الى اللقاء.

وهذا هو نص الاسئلة التي حملها الينا احمد الطيبي.

اولاً: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية مبدئياً بمبدأ الحل المرحلي كمرحلة قبل الحل الدائم؟

ثانياً: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية المبدأ القائل بان الوضع النهائي للقدس سوف يبحث ويحدد ضمن اطار الحل الدائم؟

ثالثاً: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية المبدأ بأن المسؤولية عن المستوطنات اليهودية خلال الفترة الانتقالية تكون بايدي اسرائيل؟

رابعاً: هل تقبل منظمة التحرير الفلسطينية بان المسؤولية عن الامن الشامل في المناطق في الفترة المرحلية تكون بايدي اسرائيل؟

وهذه اجوبة على اسئلة حاييم رامون التي حملها احمد الطيبي، وحصل عليها يوم ١٩٩٣/٧/٢٦.

١) المرحلتان: نوافق على وجود مرحلتين انتقالية ونهائية ويتم تحديد موضوعات الحل النهائي في اتفاق المبادىء للربط بينهما: والتي تتعلق بالقدس، اللاجئين، المستوطنات، الحدود وغيرها حسب الاتفاق.

٢) القدس: نوافق على ان يبحث وضعها النهائي في الحل النهائي.

حالياً: ـ المشاركة في الانتخابات تصويتاً وترشيحاً ـ ارتباط بين مؤسسات القدس والسلطة الانتقالية والاشراف عليها.

٣) المستوطنات: ـ نوافق على ان يبحث وضعها النهائي في الحل النهائي وحالياً: تبقى تحت مسؤولية الجيش الاسرائيلي في المرحلة الانتقالية. ويتم وضع اتفاق خاص بها للتعامل معها في المرحلة الانتقالية بسبب تعقيد وضعها وتشابكه.

٤) الامن: ـ الامن الخارجي مسؤولية اسرائيل في المرحلة الانتقالية والامن الداخلي مسؤولية السلطة الفلسطينية. يتم تشكيل لجنة ارتباط وتنسيق لحل القضايا المشتركة والخلافات.

٥) نعتقد ان اي اتفاق حول. اعلان مبادىء يجب أن ترافقه خطوة معنوية كبيرة بين المنظمة وحكومة اسرائيل بشأن الاعلان عنه وتوقيعه.

وبتاريخ ١٩٩٣/٨/١ تلقيت الرسالة التالية من احمد الطيبي:

ـ كما ابلغتكم بالامس فالرد كان ايجابياً وجلياً بشكل عام. لم يطلب منا تغيير في النص ولكن السؤال الذي طرحه المسؤول الاول هو هل سيتناقض ما سيضاف الى هذا المكان«الهيكل» مع فحوى النقاط الاربعة، وبالتحديد في موضوع«الولاية الجغرافية»؟؟

ـ المسؤول الاول يقول ان موقف ابي مازن سوف يكون كالتالي. الولاية الجغرافية هي لكل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وهناك نقاط استثنائية هي: القدس والمستوطنات.

ـ المسؤول الاول يقول ان هذا النص يخلق تناقضاً معيناً مع الاجوبة للاسئلة الاربعة، وعليه ما هو اقتراحكم، للربط بين موضوع، Jurisdiction وبين موضوعي القدس والمستوطنات، بحيث لا يكون هناك ادعاء حول التناقض المزعوم اياه؟؟ مثلاً: الولاية الجغرافية ستضم اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلة باستثناء القدس(وهنا ياتي الرد التفصيلي حول القدس والمستوطنات بالمثل) او اي اقتراح آخر ترونه مناسباً.

ومرة اخرى وبتاريخ ١٩٩٣/٨/١٨، رد الطيبي على اجابتنا على الاسئلة التي تضمنتها الرسالة السابقة:

تحية طيبة.. رد فعل المسؤول الاول هنا كان ايجابياً للاجابات، وقد طلب مهلة اسبوعين لاتخاذ قرار نهائي حول النقطة الخامسة(اي التفاوض المباشر)، بعد ان فهم ان الاجابات هي جزء لا يتجزأ من المفاوضات مع المنظمة. الرجل يريد هذه المهلة لكي يتخذ قراراً وصفه بانه يختلف عن كل القرارات الاخرى في الماضي. وذلك على ضوء الازمة الائتلافية الحادة مع حركة«شاس» وهو يخشى ان يفقد الاغلبية خلال الايام العشرة القادمة.

وعليه فان رايي ان الجولة القادمة من المحادثات يجب أن تكون من اجل البروتوكول فقط، هناك امكانية اكثر من جيدة للنجاح هنا، وهذا التقدير ايضاً يشاركني به الشخص الثالث بعد الاجتماع الرابع والمقرر الذي عقد بينهما مساء امس.

محاولات سابقة من حكومة شامير لقطع الطريق على اتصالات غير علنية مع م.ت.ف:

أعلن شامير عشية يوم ٣١/١٢/١٩٨٩ انه طرد وزير العلوم عيزرا وايزمن من الحكومة الاسرائيلية، وان القرار يبدأ مفعوله بعد ٤٨ ساعة أي يوم الثلاثاء ظهراً ٢/١/١٩٩٠. والاتهام يتركز على نقطتين:

١ ـ الاتصال بأحد الرسميين المهمين في منظمة التحرير الفلسطينية.

٢ ـ ارسال موفدين برسائل لعرفات.

وحسب هآرتس فقد قدمت المخابرات الاسرائيلية، بتاريخ ٣١/١٢/١٩٨٩ تقريراً لشامير عن رسائل أحمد الطيبي، فاستشاط شامير غضبا عندما علم ان الرسائل التي نقلها الطيبي من وايزمان لعرفات ساهمت مساهمة كبيرة في قرار المنظمة الايجابي تجاه خطة بيكر. وكذلك دفع الفلسطينيين من منظمة التحرير الفلسطينية ليصبحوا شركاء في مسيرة السلام.

وقد ادت هذه الحادثة الى استنتاج ان وايزمن يؤيد المفاوضات المباشرة بين

اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، ويطالب حزب العمل بصورة منتظمة بترك حكومة الوحدة الوطنية من أجل اعادة إطلاق عملية السلام في الشرق الاوسط من صفوف المعارضة.

كما ان شامير يرى في الوقت الراهن مناسبة لهزيمة حزب العمل، حيث أنه في أضعف حالاته، وهو اكثر تشتتا، واذا اتجه نحو الانتخابات فليس لديه أي شيء في يده ليقدمه للناخبين وبالتالي خسارته مضمونة، واذا دعم الحزب وايزمن فهذا يعني اعتبار اللقاءات مع منظمة التحرير الفلسطينية شرعية وليس لديه الشجاعة الآن للسير في هذا الطريق، على الأقل بيريز ورابين. لذلك فقد خوّن شامير كل من يتصل ليصبح سيد الموقف أمام الامريكان، وكسب الساحة في اسرائيل. حيث أن ضربة وايزمن، تعني قطع الطريق أمام حزب العمل بطريقة استباقية، وللجم تطورات الشارع الاسرائيلي، كما انه اراد وضع امريكا امام الامر الواقع، واقناعها بأنه سيد الموقف ولا بديل له، وضرب ضغوطاتهم الخارجية والداخلية، وان حزب العمل سيسير مجبراً بالطريق الذي يخطه الليكود.

وكان الرأي حينئذ ان اسرائيل تعيش أزمة سياسية خطيرة، وان المشكلة سياسية وليست أمنية، ولا بد من استغلال الوضع إعلاميا بالتأكيد على مبادرة السلام الفلسطينية وتوجه منظمة التحرير الفلسطينية للحوار مع كل القوى الاسرائيلية. وان المفاوضات هي في المؤتمر الدولي. وانه لا بد من اجراء اتصالات دبلوماسية على مستوى عال للتصدي لهذا التحول الاسرائيلي الهادف لفرض شروطه وبناء جدار حديدي حول نفسه وسحق القوى التي تتوجه للسلام عبر الحوار والمفاوضات.

وكان علينا حذرا وحيطة ان لا ندافع عن وايزمن ونردّ اتهامات شامير له بأنه مجرم، وقام بجريمة الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية، فكل القوى والآراء التي أخذت بالتحول باتجاه السلام مستهدفة بالتخوين من قبل شامير.

لقد كان وايزمان يصرح في أكثر من مناسبة انه مستعد للقاء عرفات وانه

مستعد للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وانه يدعم الوصول الى حل سلمي يقوم على احترام مصالح وحقوق الشعبين، ولكنه في كل مرة كان يتراجع عن اللقاء عندما تحين فرصته. والسبب في ذلك انه كان لا يريد ان يقع في مشاكل مع حكومته خصوصاً وان حزب العمل يرفض مثل هذه اللقاءات، اما الليكود فإنه مستعد لادانة بل محاكمة كل من يفعل ذلك. وكان وايزمان يتصور انه اذا وقع مثل هذا اللقاء معه. فإنه سيفقد موقعه الوزاري وهذا ما لا يرضاه.

ومع ذلك وعندما كشفت الموساد اللقاء الذي تم بين وايزمان ونبيل رملاوي، تعرض الاول الى هزة عنيفة كادت ان تطيح بحكومة الائتلاف الوطني، ولكن الجميع توصلوا في النهاية الى حل وسط، وهو ان يبقى وزيراً في الحكومة، على ان لا يحضر اجتماعات الحكومة المصغرة وذلك لمدة سنة ونصف.

بعد ما سمي بفضيحة عيزرا وايزمان، سافر هذا الى الاتحاد السوفياتي في زيارة كان يحلم بها منذ زمن بعيد. وقد طلب منا ان نرتب له لقاء مع مسؤول سياسي، وبالفعل التقى هناك بالوزير ادوارد شيفرنادزه وكان سعيداً في هذا اللقاء، الا أن الذي عكر سعادته ان شيفرنادزه ابلغه برفع مستوى تمثيل المنظمة الى مرتبة سفارة، مما جعل شامير يتهمه مرة اخرى بالتواطؤ وبانه اتفق مع الوزير السوفياتي على هذا الامر. كذلك فقد اتهم مرة اخرى بالتآمر عندما رفض ان يأخذ معه القائم باعمال القنصلية الاسرائيلي في موسكو للقاء شيفرنادزه، وكأنه يريد ان يقول كلاماً لا يجب ان يصل الى حكومة تل ابيب.

وفي تصريح لصحيفة الأزفستيا في موسكو قال وايزمان: ان ما قمت به ليس خطأ، والعكس هو الصحيح، فان خطواتي ستاتي بالخير في المستقبل على وطني، واضاف ان المناخ الدولي العام يفرض على حكومة اسرائيل ان تستوعب ان الوقت ليس لصالحنا، وكلما فهمنا ذلك اسرع، كلما اسرعنا للجلوس على طاولة المفاوضات، وفي الوقت نفسه علينا ان نجد في العالم العربي اناساً قادرين على تحمل المسؤولية وقادرين على اجراء المفاوضات معنا، وانا على ثقة بان مثل هؤلاء

موجدون، وهم منظمة التحرير الفلسطينية، والذي من الضروري اقامة ارتباطات معهم.

واكدت الاحداث التي تلت ذلك صحة نظرة عيزرا وايزمن، فقد شاركت حكومة اسرائيل الليكودية في مؤتمر مدريد.

الفصل السادس

لوحة مدريد

وجد جورج بوش الرئيس السابق للولايات المتحدة بعد ان حقق انتصارين خلال ولايته الرئاسية احدهما في حرب الخليج والثاني في تفكيك الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية، حيث اصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة التي لا منافس لها، وجد أنه من المناسب ان يتابع انتصاراته ويتجه الى الشرق الاوسط ليس فقط من اجل تحقيق الانتصارات وانما من اجل ان يؤكد مصداقية الولايات المتحدة التي سارعت الى تنفيذ القرارات الخاصة باحتلال الكويت، لذلك تعمل بجد لتنفيذ القرارات المتعلقة بالشرق الاوسط. وبطبيعة الحال مع الفارق في مستوى الحماس واستعمال آلية التنفيذ، حيث حشدت الى جانب قواتها تأييد اكثر من ثلاثين دولة ساهمت في هذه العملية. وبالمقابل اقحمت اكثر من ثلاثين دولة في المفاوضات المتعددة الاطراف التي تخص الشرق الاوسط، وذلك كمظاهرة دولية تسعى الى هذا السلام باسلوب المفاوضات المكثفة والمرعية عملياً من امريكا، وشرعياً من قبل امريكا والاتحاد السوفيتي، الذي صار روسيا الاتحادية فيما بعد.

ولذلك وفي ٦ آذار/ مارس سنة ١٩٩١ اعلن جورج بوش عن مبادرته ذات النقاط الاربعة لحل مشكلة الشرق الاوسط وهي:

- تطبيق القرارين ٢٤٢، ٣٣٨.
- مبدأ الارض مقابل السلام.
- الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
- الامن والسلام لدولة اسرائيل.

لم تتوان القيادة الفلسطينية عن التعبير عن ترحيبها بما ورد في هذه المبادرة. وعندما قررت الادارة الامريكية ان تبعث بوزير خارجيتها جيمس بيكر الى المنطقة

تبين انها مستعدة للتعامل مع الفلسطينيين في الارض المحتلة، على ان هذا التعامل والتمثيل من خلال وفد اردني فلسطيني مشترك، وقد وقفنا في ذلك امام مشكلتين اثارهما اغلبية القيادة الفلسطينية، الاولى رفضها لان يكون تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام من داخل الارض المحتلة مع استبعاد القدس، اما المشكلة الثانية فهي رفض هذه القيادة لان يكون التمثيل من خلال وفد اردني فلسطيني مشترك.

كنا نسعى للمشاركة بوفد فلسطيني مستقل، او بوفد اردني مشترك، الا ان الاقتراح الاول كان مرفوضاً امريكياً واسرائيلياً، اما الثاني فانه مرفوض عربياً، لان الدول العربية المشاركة وهي سورية ولبنان والاردن ترفض المشاركة فيما بينها، وترفض مشاركة الفلسطينيين لانهم سيكونون عقبة في طريق وصولها إلى حلول اقليمية، نظراً لتشابك قضيتهم. ولذلك سمعنا من الجميع دون استثناء بان فكرة الوفد العربي المشترك فكرة غير عملية.

وعندما وجدنا ان الاقتراحين غير مقبولين قبلنا بعد نقاش طويل الدخول في مفاوضات مع الاردن من اجل تحديد طبيعة الوفد الفلسطيني الاردني المشترك.

لم يكن لنا مطالب فيما يتعلق بعملية السلام، الا اننا تمنينا على السوفييت ان يسعوا لدى الامريكان ليقدموا لنا رسالة تطمينات تتضمن المبادىء الاساسية للرؤية الامريكية لعملية السلام التي تقوم على الشرعية الدولية. وبالفعل تحمس الوزير بسميرتنيخ وطالب بيكر بها، وتقدم الامريكان برسائل تطمينات الى كل الاطراف.

كانت حكومة اسحاق شامير ترفض مشاركة اوروبا في عملية السلام، كما ترفض ان تمنح الامم المتحدة اي دور مهما كان صغيراً، وفي نفس الوقت ترفض فكرة المؤتمر الدولي، وانما تطالب بان يسمى المؤتمر الاقليمي، وقد لعب الكسندر بسميرتنيخ وزير خارجية السوفييت في ذلك الوقت دوراً في تقريب وجهات النظر. وذلك في لقاء تم داخل مقر البعثة السوفيتية في جنيف بتاريخ ١٤/٥/١٩٩١ مع وفد فلسطيني برئاسة ابي عمار وعضوية ابي مازن وسليمان النجاب وياسر عبد ربه ونبيل عمرو، حيث وضعت النقاط التالية:

- يسمى المؤتمر: مؤتمر السلام.

- تشارك اوروبا كمراقب في العملية.

- تشارك الامم المتحدة كمراقب ايضاً.

- تودع الاتفاقيات لدى الامم المتحدة.

- تصادق الامم المتحدة على اية اتفاقيات يتم التوصل اليها.

وقد جاءت النقاط السابقة حلولاً لمعضلات اثارتها الاطراف المعنية في عملية السلام.

كان جيمس بيكر يرى ضرورة الايحاء لحكومة شامير بان الاتفاق الاردني - الفلسطيني سيعقد من قِبَل فلسطينيي الداخل، ولذلك كان يلح في كل مرة على ان يذهب فيصل الحسيني وحنان العشراوي وزكريا الآغا الى عمان في مناسبات مختلفة للالتقاء بالملك حسين او برئيس الوزراء طاهر المصري. وكان يقصد من وراء ذلك ان يطمئن حكومة شامير بان منظمة التحرير الفلسطينية لا دور لها في هذه العملية، وان الدور مقصور فقط على هؤلاء. وكان شامير يتوعد الفلسطينيين في الداخل بتطبيق قانون الكنيست الصادر في ١٩٨٦/٨/٦ عليهم. والذي يقضي بعقوبة السجن على كل من يتصل بالمنظمة.

وبتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٣ اي قبل انعقاد مؤتمر مدريد بايام. كان علينا ان نتواجد في عمان لوضع اللمسات النهائية للاتفاق الاردني - الفلسطيني. وفي نفس الوقت وصل فيصل الحسيني وحنان العشراوي وزكريا الآغا. وبناء على طلب من جيمس بيكر فقد سلطت الاضواء على وصول وفد الحسيني. واختفى وفدنا من الصورة تماماً لكي يقال بان الاتفاق عقد مع وفد الحسيني وليس مع وفدنا. ولذلك اتفقنا على ان يذهب الحسيني ووفده الى رئاسة الوزراء ويستقبل بصفة رسمية ثم يخرج للصحفيين ويؤكد ان الاتفاق قد تم. ومن ثم نذهب نحن لنتتم العملية. وهكذا وقع الاتفاق الاردني - الفلسطيني الذي اتاح لنا فرصة المشاركة في مؤتمر مدريد.

ان من رشح مدريد لتكون محطة اولى لقطار التسوية التاريخية في الشرق الاوسط، لا بد وانه وضع لنفسه سيناريو للقاء، يحمل معاني مختلفة يعني بها الحاضرون والمحتفلون، ويغوص في بطن التاريخ ليستنتج منه المواعظ والعبر، وليُعلِّم كل من لم يتعلم ماذا يعني التاريخ ليستفيد منه.

على ابواب العام ١٩٩٢، يقع الحدث الهائل، الحدث الذي وكأنه جاء ليقوم احداثاً مضت وانتهت، ولم تنته. او كأنه عيد ميلاد لشيخ يستعرض فيه ماضيه بكل ما فيه، او هو احتفال بذكرى جاءها المتذكرون يفتحون سجلاتها وليستعرضوا وقائعها ويحصون وثائقها، وهم يدرون او لا يدرون. ولكن كاتب السيناريو والمخرج الكبير هو الذي يحدد الادوار ويرسمها بدقة متناهية، ويكتب الحوار بحرفية بالغة التعقيد، تبقي كل الخيوط بيديه يحركها كما يريد، ليصل الى الهدف الذي يريد.

كتب على الشاشة الكبيرة، ومضى خمسمائة عام على واقعة تهمنا جميعاً نحن الحاضرين، تعالوا نعود الى الوراء لنرى ونقرأ ونستنتج، لعلنا نستفيد ونفيد. ونفهم ليفهم من ياتي بعدنا، وتتعلم الاجيال، لان قراءة التاريخ ليست متعة ذهنية، بل هي دروس مستفادة لمن اراد ان يستفيد.

اذا سجلنا امامنا العام ١٤٩٢، نكون اليوم جالسين لنحتفل بمرور خمسمائة عام على هذا العام. انه يعني الكثير بالنسبة لنا جميعاً، انه نقطة فاصلة ولكنها مفعمة بالاحداث والوقائع، في ذلك العام خرج شريكا التجربة المزدهرة مثخنين بالجراح تطاردهما مقاصل محاكم التفتيش، وتستأصل جذور وجودهما الذي طال، وتقطع الطريق على استمرار تلك الحضارة الانسانية، لتبقى منها الاطلال التي تعرّف عليها وتشير اليها، وان كنتم ترونها تعكس ابشع مظاهر القسوة والوحشية، فهم يرونها قمة العطاء لاسترداد الارض وطرد المتوسع منها.

وما بين العامين، انقلب الشريكان عدوين. نحن لسنا حكاماً على التاريخ وانما نتعامل مع التاريخ.. لماذا حصل؟ وكيف حصل؟ فهو قد حصل.. وما علينا الا ان نلئم

الجراح بمقدار ما يسمح وضع هذه الجراح.. وانتم هنا ليفصل بينكم المكان الذي جمعكم، ووحد في تلك الايام جراحكم والنكبة التي اصابتكم.. انهم الذين رفعوا لكم المقاصل ليفضوا اليوم منازعاتكم وليستمعوا الى شكاواكم، ويحكموا بينكم وليقولوا لكم كفى.. فليس ضرورياً ان تكون السنون كلها احقاداً ودماءً وكوارث، بيدكم ان تحولوها اذا غيرتم نظرتكم اليها، وبارادة الانسان ان يفعل الخير، ويفعل الشر، وهو في هذا مخير ما دام يستمع الى صوت العقل، الذي خلق ليميز ويفرق ويعي.

وكتبوا على الشاشة ايضاً انه في ذلك العام الذي كان، ابحر مغامر منبوذ على غيرهدى، ابحر غرباً وهو لا يعرف له هدفاً، ربما كان في قرارة نفسه يبحث عن ارض يتوسع بها بعد أن انهى التوسع على ارضه، وكأنه يريد ان يعيد تجربة كرهها وحاربها، او انه نسي ما عانى في لحظة النشوة وساعة الانتصار، فلم يشق الارض ويطال الجبال، بل اراد ان يضرب بسيفه بحر الظلمات لعله يضيء فيكتشف ما لم يعرفه الاولون،وما سيذكره الاخرون، فغاب عن الانظار بعد ان حجبته الامواج في بحر له اول وليس له آخر. ولدهشته فقد وصل الى الارض البكر يعب من ثرواتها وخيراتها. وينتزع من اعمق اعماقها ما لم يحلم به في وطنه. فصارت هذه الارض وطنه واصبحت ملكه يعمل سيفه بكائناتها الحية كلها وسكانها، لا فرق بين هذه وهذه وتلك، ما دامت تقف امام اطماعه وجشعه وغرائزه.

وبنى مملكة من كل الاجناس والالوان، من كل الباحثين عن الثروة والجاه، والهاربين من وجه العدالة والظمآنين الى العدالة، والمتطلعين الى الحرية، او الراغبين في قمع كل حرية.. انماط متناقضة متباينة، تحمل معها انماطاً من العادات والتقاليد والحضارات متناقضة، ومتابينة.

وكتبوا على الشاشة الكبيرة، وبعد خمسمائة سنة جئنا ننصب ميزان العدالة والحق، بعد ان آلت لنا مقاليد العدل والحق.. بل القوة. جئنا نتربع على العرش الكبير لما حطمنا كل العروش وكل الحالمين بالعروش.. ذلك هو قدرنا الذي اختارنا له القدر، وعلينا ان نحضن هذا العالم بجناحينا نمنحه كل الامن والامان بعد ان اصبح

مسؤوليتنا نحن، وربما نحن فقط وربما الى الابد. ونادينا المعنيين في زمان يذكرونه ويتذكرونه، وفي مكان يذكرونه ويتذكرونه، ونحن ايضاً نذكر المكان والزمان ونتذكرهما. اذن، فنحن جميعاً تربطنا شركة، سقط من عمرها ولم يسقط خمسمائة عام، فاذا كانت الاطراف واحدة لم تتغير، فهذه طبيعة الاشياء، لكن مرور الزمن يترك بصماته على الممثلين لتغيير نمطية ادوارهم وامكاناتهم وظروفهم.

التأم الشمل واكتمل الجمع وارتفعت الستارة عن المسرح وظهر الحشد الضخم من الناس، مختلف الناس، ممثلين وكومبارس وفنيين وكورال وابطال، وراح الجميع يغنون انشودة منغمة انشودة السلام، ولو صدق المنشدون وخرجت اصواتهم من قلوبهم لا حناجرهم لعم السلام العالم. وساد الامن والاستقرار والامان، فهل يصدق المنشدون؟

وبرز من بين الجموع ذلك الشيخ القديم ليمثل الارض القديمة والشعب القديم، هو موجود وغير موجود، معروف وغير معروف، هو بين بين، جريح لا قتيل، طائر له جناحان ولكن لا يطير، تكلم، فانصتوا.. وظنوا وتظاهروا بانهم يستمعون اليه لاول مرة.. وتبادلوا النظرات كقضاة في محكمة يتشاورون بتبادل النظرات، ويتساءلون بخفي الحركات، حتى لايخرجوا عن النص، فتهتز اللوحة وينفلت الزمام.

وجاء صوته من أعماق التاريخ هادئا كنار ابراهيم، عميقا كنداء ابنه نوح من وراء الامواج وهو على الألواح، يدعو الناس للعودة الى الرشد، والى إحقاق الحق ونشر العدل، يشرح ما هو مفهوم ويوضح ما هو معلوم، وهو يعرف أنهم يعرفون ولكنهم يتظاهرون، انها فرصته السانحة التي لم تحدث، ان يسمحوا له بالدفاع عن نفسه والمرافعة عن حقوقه اصالة لا وكالة كما اعتاد واعتادوا حتى استمرأوا.

ويرتفع صوت الشيخ مرة أخرى ينادي وينطلق النداء الى ارجاء المعمورة قائلا:

لقد حانت لحظة الحقيقة وعليكم ان تمتلكوا شجاعة الاعتراف بها وتمتلكوا

الارادة على تطبيقها فما عاد هناك أي مجال لاخفاء حقيقتنا في زوايا الاهمال المظلمة، ان شعب فلسطين يوجه انظاره نحوكم مباشرة وبعيون محدقة في عيونكم سبيلا لملامسة قلوبكم بعد أن امتلكتم شجاعة اثارة الامل فينا، ذلك الأمل الذي لا يمكن التخلي عنه، لا مجال امامكم ان تخذلونا طالما اننا نرقى الى المبادىء والمثل التي تناصرون، وطالما اننا مخلصون لقضيتنا.

أدهشتهم كلمته، أسلوبها، تعابيرها، كل ما فيها، تصوروا أنهم سيواجهون وحشا، مصاص دماء، أظافره سكاكين حادة، تنشب في أعناق الناس، وأسنانه سيوف باترة تلتهم لحوم البشر. ولسوء الطالع ظهر انسانا ككل انسان له أحلامه وآماله وطموحاته واسرته وأبناؤه وبناته وأحفاده، وهو من أحفاد بناة حضارة البلد المضيف، حضارة تقف شامخة شاهدة على التاريخ، بل تختزل خمسمائة سنة من التاريخ.

أطراف مدريد قبل خمسمائة سنة. هم أطراف مدريد بعد خمسمائة سنة، يتوزعون أدوارهم طبقا للحكمة القائلة، لكل زمان دولة ورجال، فهل نحن امام تاريخ يعيد نفسه؟ ام تاريخ يحاسب نفسه؟ أم تاريخ لا يعرف نفسه؟ انها فرضيات مطروحة قابلة للبحث.. محاكم التفتيش أقيمت للمسلمين واليهود معا، ومؤتمر مدريد أقيم لمصالحة المسلمين واليهود معا. والمسافة بحساب الزمان قصيرة ام طويلة لا فرق، ولم يسأل أحد نفسه: لماذا هذا.. ومن فعل هذا؟.

لقد أخطأنا التقدير، كما أخطأ شامير التقدير، نحن ظننا ان مدريد نهاية، بينما كانت بداية البداية، كانت حفل افتتاح لموسم طويل لا يستطيع أن يخمن أحد متى يكون الختام. وكيف سيكون هذا الختام. توهم الكثيرون منا باننا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الاماني، وبأن الحلم يكاد يتجسد حقيقة، وان كابوس الاحقاد راح يتلاشى ويتداعى، وأن ليل الغربة الطويل سينجلي.

اما شامير فقد كانت له حساباته الخاصة والمختلفة تماما، فلم يكن البحث عن مساومة تاريخية يدفع فيها، ولها ما يقبض منها، أمرا يدور بخلده، وقد أعطانا

الانطباع بأنه ما جاء الى هنا الا ليقبض فقط، يقبض ثمن الحاضر وثمن الماضي، لأنه بالحاضر سيمنح اعداءه السلام، وهذه منه منحة الهية عليهم أن يقابلوها بالتقدير والامتنان. وعن الماضي جاء يطلب التعويضات ويطلب الارث. فهو وريث اليهود كل اليهود من عهد موسى. ولئن اجبر الالمان على دفع تعويضات فهي سابقة لحدث لاحق، ومثل هذه الاحداث في نظره لا تخضع لمرور الزمن وتقادم القانون، وعلى الاسبان أن يفعلوا ما فعل الالمان. الم يعترفوا بأنهم تورطوا بارتكاب الجرائم ونصبوا المقاصل للاجداد ونهبوا أموالم وثرواتهم؟

رفض العالم التعاطف مع مقولته وتلبية مطاليبه التي لا تنتهي، فما كان منه الا أن افصح في حالة غضب المهزوم والمأزوم عن نواياه الدفينة. وأطلق العنان للسانه عما كان يبيت، بأنه كان مستعدا للتفاوض من أجل التفاوض عقدا او عقدين ولن يصل الى نتيجة، ولن يجعل أحدا يصل الى أية نتيجة.

أما أطفال الحجارة، فقد حملوا غصن الزيتون بدل الحجارة، ونثروه على دبابات الجند الذين كانوا بالامس يطلقون عليهم الرصاص ويرشونهم بغازات الاعصاب. لقد استوعب الاطفال الدرس فتنادوا من غير ترتيب مسبق أو اعداد مبكر او تفكير. التقطوا اللحظة التاريخية وفهموها. بينما بقي عتاة السياسة ومحترفوها من قادة الليكود يتحاورون حول تحقيق الاساطير وتجسيد الخرافات وتحصين للجيتوات.

كان الاتفاق الاردني الفلسطيني نقطة بداية لا بد منها لانطلاق عملية السلام في مدريد. فقد عسكر جيمس بيكر في القدس ينتظر الدخان الابيض. لانه يعرف انه بدون هذا الاتفاق فلن تكون هناك مشاركة فلسطينية في المفاوضات، ولن يكون هناك تمثيل فلسطيني مقبول. وبدون اعتماد هذا الاتفاق من المجلس المركزي الفلسطيني فلن يستطيع اهل الداخل قبول هذه المشاركة. وجد بيكر نفسه امام معادلة صعبة ومعقدة المراحل، فالاتفاق يجب ان يعقد بين المنظمة والاردن، دون ان يقال بان المنظمة طرف فيه، والاتفاق بحاجة لاعتماد المجلس المركزي الفلسطيني له، وعليه ان يعتمده دون ان يقول بانه اعتمده او حتى اطلع عليه. والاشقاء في الداخل

ينتظرون الاعتماد دون ان يقولوا انهم ينتظرون. واخيرا فان الاسماء ستحدد من قبل القيادة دون ان تقل القيادة بأنها حددت تلك الاسماء واقرتها. الكل يعرف هذا، وعلى الكل ان يدعى أنه لا يعرف هذا. فاسرائيل تعرف هذا السيناريو وتغمض عينيها عنه. وبيكر يعلم كل شيء. ويزعم انه لا يعلم شيئا. والاشقاء في الداخل ينتظرون الاوامر من الخارج. وعليهم ان يقولوا بأنهم هم وحدهم المسؤولون عن هذه العملية. والمنظمة تدير كل شيء ولا تعلن عن شيء.

ففي عمان كنت أفاوض طاهر المصري رئيس وزراء الاردن بينما يتم الاعلان عن مفاوضات مع فيصل الحسني ووفده. وفي تونس يناقش المجلس المركزي بنود الاتفاق الاردني الفلسطيني ولا يعلن عن الاتفاق او النقاش. وفي القدس يجلس جيمس بيكر لمدة ثلاثة ايام يتحاور مع الاشقاء في الداخل بحجة معرفة الاسماء والحقيقة ان الاسماء ستأتي من تونس.

لقد فرضت سياسة شامير العقيمة كل هذا اللف والدوران، وقد تحملناه بصبر وأناة، وقبلنا بكل هذه التعقيدات لأن الهدف اسمى من الاجراءات.

ومن أجل تزويد الوفد بكل ما يلزمه من التوجيهات الموحدة، واعداد الدراسات الضرورية له. ليحملها معه الى قاعة المفاوضات، ولكي يقوم بمهمته على اكمل وجه، ولتلافي التناقضات والاحراجات ومتابعة اعمال الوفد المفاوض اثناء الجولات وبعدها ورفع التقارير للقيادة وتعميم النتائج على السفارات والمكاتب المختصة. فقد شكلت لجنة لمتابعة المفاوضات من عدد من أعضاء القيادة في منظمة التحرير الفلسطينية.

وبناء على ذلك فقد عملنا على تحضير انفسنا تحضيراً جيداً، وتزويد الوفد بكل الوثائق والدراسات المطلوبة لمهمته بالاضافة الى تعزيزه بكل الكفاءات المطلوبة والمتوفرة لدينا حتى يتمكن من الدخول في مفاوضات جدية ويصل الى نتائج جدية بصرف النظر عن مدى جدية الطرف الآخر.

ينص الاتفاق الاردني الفلسطيني على ان الفريق الاردني بالوفد المشترك

يتعاطى مع المسار الاردني والقضايا الاردنية، بينما يتعاطى الفريق الفلسطيني مع المسار الفلسطيني والقضايا الفلسطينية. وقد كنا نتصور ان الادارة الامريكية وبالتالي الحكومة الاسرائيلية مطلعتان على هذا الاتفاق وانهما من حيث المبدأ تقبلان به. بخاصة وان الوزير جيمس بيكر كان يتابع أولاً بأول المفاوضات التي كانت تجري في عمان والتي تمخض عنها هذا الاتفاق. وكنا من جهتنا نفهم ان الاشقاء في الاردن لا يمكن ان يوقعوا اتفاقاً لا نقبل به، او سترفضه الادارة الأمريكية. ولذلك فقد كنا مطمئنين تماماً إلى أن بدء المفاوضات في واشنطن لن يشهد اية عراقيل من الاسرائيليين، ولو فعلوا، فان الادارة الامريكية ستتدخل في الحال لازالتها.

الا ان الاسرائيليين اصروا على التفاوض مع الوفد المشترك حول المسار الفلسطيني وحول المسار الاردني، الامر الذي جعل وفدنا يمتنع عن الدخول الى قاعة المفاوضات، وان يتضامن معه الوفد الاردني اسبوعا كاملاً، الى ان حلت المسألة وقبل الاسرائيليون بالصيغةالتي اقترحت، وهي ان يكون الوفد الفلسطيني برئاسة حيدر عبد الشافي ويكون ضمن الوفد اثنان من الطرف الاردني. بينما يتولى الدكتور عبد السلام المجالي قيادة الجانب الاردني ومعه ضمن وفده اثنان من الفلسطينيين تعبيراً عن استمرارية الوفد المشترك.

لقد بدأنا المفاوضات في ممرات مبنى وزارة الخارجية الامريكية، وسميت بمفاوضات الكوريدور. اما فيما يتعلق بالمسارين السوري واللبناني فقد بدأ عملهما في الوقت المحدد وهو ١٠/١٢/١٩٩١ بينما بدأنا والاردنيين يوم ١٨/١٢/١٩٩١. بعد ان ربحنا معركة استقلالية التمثيل الفلسطيني في المفاوضات الثنائية.

لقد تمركز مسار تفاوض الطرفين في الجولات الخمسة الاولى والتي تمت في عهد الليكود حول مواضيع محددة، وقضايا اكثر تحديداً، الا اننا لاحظنا ان كل طرف وقف عند نقطة معينة دون أي تقدم. حيث ان الوفد الاسرائيلي اقفل جميع الطرق امام اية خطوة ايجابية نحو التقدم، ولم يتمكن الطرفان من الاتفاق على

اجندة للمفاوضات. ولذلك لجأ كل منهما الى ارسال المذكرات التي تعبر عن وجهة نظره وطلباته.

كنا نعرف ان الاسرائيليين لا يمكن ان يقبلوا طروحاتنا وانهم سيحاولون القفز عليها، لانهم ينطلقون من ان الارض لهم، وان علينا ان نتعامل مع هذا الواقع المفروض من قبلهم.

ولذلك حاولنا ان نبحث عن انتصارات جزئية نراكمها يوماً بعد يوم حتى نصل الى نتيجة مرضية. لاننا لو اجرينا مقارنة بن المطلوب الفلسطيني والمعروض الاسرائيلي لما وجدنا نقطة لقاء واحدة.

في الجولة الرابعة حدث تطور طفيف فيما يتعلق بالتمثيل الفلسطيني حيث وجه الوزير جيمس بيكر رسالة رسمية بتاريخ ١٠/٢/١٩٩٢ لفيصل الحسيني بصفته رئيس الفريق الفلسطيني لمؤتمر السلام، كما استقبله بصفة رسمية بتاريخ ١٩/٢/١٩٩٢ في وزارة الخارجية. وقد اعتبرنا هذا تطوراً ايجابياً من قبل الادارة الامريكية تجاه التمثيل الفلسطيني في المؤتمر.

لقد كانت مسألة متابعة القوى الاسرائيلية التي تشكل الكنيست، احد اهم اهتماماتنا، وكنا نتابع كل صغيرة وكبيرة تجري بين الاحزاب سواء ما يتعلق بالتحالفات او الانقسامات او الارتباطات بين هذه القوى والاحزاب.

منذ عام ١٩٧٧ ونحن نحاول ان نشجع وندعم بعض القوى الصغيرة اليسارية او تلك التي تنادي بالسلام بين الشعبين، من اجل ان تدخل الكنيست وتدلي بصوتها هناك، وذلك من اجل يسمع صوت آخر مختلف في اروقة الكنيست غير الاصوات التي تعودنا ان نسمعها منذ نشوء دولة اسرائيل وربما قبل نشوء هذه الدولة.

لقد كانت كلمة فلسطين، او الفلسطينيين، من اصعب الكلمات على مسمع الشعب الاسرائيلي. لان مثل هذه الكلمة تذكرهم - ولا يحبون ان يتذكروا - بذلك الشعب الذي كان يعيش على تلك الارض التي اسمها فلسطين، والتي تحولت وتبدلت لتصبح اسرائيل، منسجمين في ذلك مع التعبئة الفكرية العنصرية التي أملتها عليهم

وسائل الاعلام، وحشاها في اذهانهم مخططو الفكر والعقيدة الصهاينة منذ بداية هذا القرن، والتي تقول: «ارض بلا شعب لشعب بلا ارض». وما دامت فلسطين ارض بلا شعب، فلا بد ان ينتهي هذا الاسم لينتهي ايضا كل من ينتسب اليه. ولذلك حاولوا ان يمحوا من القاموس المقروء والمرئي والمسموع مثل هذه الكلمات البغيضة بالنسبة لهم، وهكذا اصبح «نفس الاغيار» جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الصهيونية فكراً وممارسة.

لقد جاء الى فلسطين في مطلع العشرينات يهودي هولندي اسمه «دي هان» وبعد ان امضى بضع سنوات وجد ان امكانية الاستقرار في ارض فلسطين مستحيلة دون التفاهم مع سكانها الاصليين، وبالتالي راح يدعوا الى التفاهم والتعايش معهم ، وانتهى به الحال الى الاغتيال عام ١٩٢٥، حتى لا تتكرر مثل هذه الدعوة وحتى لا يتجرأ آخرون على البوح بها.

وبالمقابل فنحن ايضاً رفضنا وجود اليهود على ارضنا وعندما اعلنوا عن اقامة دولتهم رفضنا الاعتراف بها وبوجودها، وخرج ثلثا شعبنا من ارضه عام ١٩٤٨ وبقي الحال على ما هو عليه. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية. وانطلقت ثورة حركة فتح عام ١٩٦٥ واستمرت الدعوة قائمة لتحرير كامل التراب الفلسطيني.

وكان لا بد من وقفة سياسية.. ماذا لو مددنا ايدينا الى ايدي اليهود لنتفاهم؟. كان لهذا السؤال وقع الصاعقة على رأس الكثيرين.. من الطرفين. وهنا حاولنا ان نبحث عن طرف يتحدث الينا. ويكون له صوت مسموع في المجال السياسي الاسرائيلي ومن اعلى منبر سياسي هناك وهو الكنيست. وقد وصل الى الكنيست اوري افنيري والجنرال متيتاهو بيليد وغيرهما من العرب المتحالفين معهما. وشعرنا ان مثل هذه التجربة مفيدة جداً ولذلك ثابرنا على متابعة الانتخابات في كل دورات الكنيست اللاحقة.

وقد جرت محاولات غير جادة من قبلنا خلال انتخابات الكنيست الثانية عشرة لتوحيد الاحزاب أو عقد اتفاقات بينها، الا أن هذه المحاولات جميعا باءت بالفشل،

وتمسك كل طرف بموقفه، وكانت النتيجة أن حصل راكاح على أربعة مقاعد، وحصل كل من القائمة الديمقراطية والحزب العربي على مقعد واحد، واضاعوا بسبب عدم اتفاقهم على فائض الاصوات مقعدين ذهبت للاحزاب الصهيونية، وفي نفس الوقت أدت الى تفوق الليكود على حزب العمل.

جاءت انتخابات الكنيست الاخيرة في الوقت الذي بدأت فيه مفاوضات مدريد ـ واشنطن على يد حزب الليكود المتطرف، والذي كنا نعرف سلفاً انه لن يتقدم خطوة واحدة صحيحة نحو الحل المنشود.

ولذلك فقد كان اهتمامنا مضاعفا للاستعداد للانتخابات التي اعلن عنها في شهر يونيو/ حزيران ١٩٩٢. وبدأنا جهوداً مضنية مع الاحزاب في الوسط العربي التي ستدخل الانتخابات وتشارك فيها. لأن نجاحها يعكس نفسه على نتائج هذه الانتخابات بشكل رئيسي. واذا كانت النتيجة ايجابية فهذا يعني ان عهداً جديداً سيحل في اسرائيل، ويحكمها حزب العمل وبعض الذين يتحالفون معه كحركة ميرتس المؤلفة من ائتلاف ثلاثة احزاب يسارية لها مواقف متقدمة من القضية الفلسطينية، وقد عزز ذلك المواقف والقرارات الصادرة عن مؤتمر حزب العمل والتي كانت توحي بتطور سياسي ما في موقف حزب العمل تجعله يتميز بوضوح عن حزب الليكود.

ان المعركة الانتخابية في اسرائيل تحتاج الى حسابات دقيقة لان كل صوت له اهميته وبالتالي يجب ان يذهب الى المكان المناسب. ونحن نستطيع ان نؤثر في الوسط العربي الذي، بالاضافة الى انه يكن لنا بعض التقدير، فهو بحاجة لان نقدم له مساعدات، وبخاصة للمتقدمين الى معركة الانتخابات الذين يحتاجون الى امكانات كثيرة لتجاوز الحد الادنى المطلوب للنجاح.

حتى الكنيست الثانية عشرة، كان رقم الحسم في القانون الانتخابي الاسرائيلي حوالي عشرين الف صوت. بمعنى ان القائمة التي تحصل على هذا الرقم تحصل على مقعد واحد. وبعد ذلك يرتفع عدد المقاعد بتضاعف رقم الاصوات التي

تحصل عليها قائمة ما. الا ان القانون تغير. وذلك للقضاء على القوائم الضعيفة التي تضيع الاصوات، واصبح رقم الحسم اربعين الف صوت تحصل القائمة التي تصل اليه على مقعدين في الكنيست واذا لم تحصل عليه تخسر كل شيء.

في الوسط العربي الذي يعد حوال سبعمائة الف انسان لهم اكثر من ثلاثمائة الف صوت، يستطيعون نظرياً ان يأتوا بحوالي أربعة عشر نائباً الى الكنيست. ولكن هذا الرقم محض نظري وذلك لان ثلاثين بالمائة منهم لا يمارسون حقهم الانتخابي، ومثل هذه النسبة تذهب الى الاحزاب الكبرى وبالذات حزب العمل وميرتس والليكود ولحزب وزير الداخلية اياً كان انتماؤه، لانه يملك ناصية الخدمات الاجتماعية التي تقدم للقرى في الوسط العربي. وما تبقى من الاصوات يوزع على الاحزاب العربية او ذات الصبغة العربية مثل الحزب الشيوعي.

شهادة لا بد منها، وهي ان الحكومة المصرية متمثلة بالدكتور اسامة الباز كانت متنبهة مبكراً الى ضرورة تنظيم الصف العربي للحصول على اكبر قدر ممكن من الاصوات والمقاعد، ولذلك ابدى استعداداً لاي مساعدة او عون، للحركة الديمقراطية للسلام والمساواة، والتي تضم الحزب الشيوعي الاسرائيلي وعددا من انصاره. وهذه الحركة تضم عرباً ويهوداً. وهناك الحزب العربي الذي يترأسه عبد الوهاب الدراوشة، والقائمة التقدمية التي يترأسها المحامي محمد ميعاري.

وفي اللقاءات التي تمت مع هذه الاطراف الثلاثة، وحرصاً منا على ان تدخل الانتخابات بقوة، وان لا يكون التنافس بينها على الصوت العربي، وحتى نخلص من المهاترات التي تحصل عادة بين الفئات المتصارعة.

رأينا ان نضع لهم اسساً للعمل:

١ - ان تكتب الاطراف فيما بينها ميثاق شرف بعدم التعدي او الهجوم على بعضها البعض وعدم الدخول في مهاترات اعلامية.

٢ - ان يشكل الحزب العربي والقائمة التقدمية، قائمة انتخابية واحدة.

٣ ـ ان يعقد اتفاق حول فائض الاصوات بين الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة وبين القائمة المشتركة للحزبين.

٤ ـ أن نعمل على اقناع التيار الاسلامي من التيارات المتشددة بضرورة الادلاء بصوتها وعدم المقاطعة، لان المقاطعة تصب في مصلحة الاحزاب الصهيونية.

٥ ـ نتعهد بتقديم الدعم السياسي والاعلامي لها.

وبناء عليه فقد قدم مشروع اتفاق بين القائمة التقديمة والحزب الديمقراطي يحفظ حقوق الحزبين وهو على النحو التالي:

ـ اذا كان رئيس القائمة من حزب أ.

ـ فان قائمة ب تحصل على المقعد الثاني والثالث.

ـ ويكون المقعد الرابع من القائمة أ و من المستقلين وهكذا..

لقد سمحت الاصوات العربية لرابين أن يتجاوز نسبة الحسم ويتفوق بشكل قاطع على اسحاق شامير ويتمكن من تشكيل الحكومة الاسرائيلية، ومع ذلك فان اهمية الاصوات او المقاعد العربية تتلخص في انها كانت تستطيع ان تمنع شامير من تشكيل الحكومة الاسرائيلية ولكنها لا تكمل نصاب اليسار في تشكيل اية حكومة، او بمعنى ادق لا يقبل اي رئيس حكومة في اسرائيل ان يعتمد على هذه المقاعد حتى يحصل على النصاب، لانها تعتبر تاريخياً خارج اطار الاجماع القومي، على الرغم من اهميتها العددية في استكمال النصاب.

بعد ظهور نتائج الانتخابات انهار صف اليمين الذي حكم اسرائيل خمس عشرة سنة، واعلن شامير نيته اعتزال العمل السياسي، ومع اعتزاله نعى لبني اسرائيل النظرية الصهيونية، وتبعه موشيه ارينز الذي اكد اعتزاله محاولاً التملص من السياسات الحمقاء التي اتبعها حزب الليكود في السنوات الماضية، ملقياً باللائمة على شامير، فقد قال:«يجب ان لا تستمر اسرائيل في احتلال كل الاراضي، وان شامير هو السبب في التباطؤ في المفاوضات حول الحكم الذاتي الامر الذي ادى الى

هزيمة الليكود». واضاف ارينز: «لم اكن يوماً مناضلاً في الحركة المؤيدة لاسرائيل الكبرى.. اي التي تضم الاراضي المحتلة».

هذا بالنسبة لليكود، اما باقي الاحزاب اليمينية والدينية فقد سارع معظمها الى التفاوض مع رابين للحصول على مقاعد في وزارته، وبصورة خاصة الاحزاب الدينية مثل«شاس» ويهودات هاتوراة التي تسعى للحصول على مكاسب مالية تغذي بها مدارسها ومؤسساتها الدينية.

في فترة الانتخابات الاسرائيلية الثالثة عشرة وظهور نتائجها، بدأنا نروّج لفكرة القنا ة الخلفية التي يمكن ابتكارها لمساندة مفاوضات واشنطن، ونرى في اماكن اخرى من هذا الكتاب المحاولات التي بذلناها لتحقيق هذه الفكرة، لان التجربة المرة التي عشناها خلال خمس جولات مع الليكود دعت بما لا يقبل التردد الى البحث عن قناة خلفية تطرح فيها الافكار بحرية اكثر دون رقابة او روتين. هذا على الرغم من توقعنا أن فوز العمل وحلفائه سوف يخلق نمطاً جديداً من التفاوض وافكاراً جديدة للتفاوض، الا ان توقعنا لم يكن في محله.

لقد تغيرت الحكومة ولم يتغير الوفد المفاوض، وهذا مؤشر سيء ونذير شؤم. لان الياكيم روبنشتاين الذي فاوضناه في عهد الليكود ظل يفاوضنا في عهد العمل، ومهما حاول ان يغير جلده ويبدل لهجته وافكاره فانه لن يتعاطف مع الجديد، هذا ان جاء بجديد، وحتى لو كان موظفاً ـ وهو كذلك ـ يؤمر فيطيع، فان العامل الذاتي يبقى ذا فاعلية وتأثير مهما حاول ان يتواءم مع افكار رؤسائه الجدد.

اذكر مرة انني التقيت في القاهرة ستيف كوهين وهو من المقربين من شمعون بيريز. وتحاورت معه حول مضمون المفاوضات، واتفقت معه على بعض الافكار الخاصة بالمرجعية القانونية وبتسمية المجلس المنتخب وصلاحياته، وطلبت اليه نقل هذه الافكار الي بيريز فان وافق عليها، فما عليه الا ان يطير الى واشنطن لابلاغ وفدنا والوفد الاسرائيلي بها. لعلها تكون بداية تفاهم حول نقاط بسيطة يبدأ بها الطرفان. وقد اوعزت للدكتور نبيل شعث لقبول هذه النقاط عندما يطرحها عليه

كوهين، وحصل هذا بالفعل، الا انه عندما عرضها على روبنشتاين رفضها باصرار وتفوه بكلمات نابية ضد كوهين، و اعلن انه لا يتلقى تعليماته منه ولا من شمعون بيريز.. وانتهت المبادرة.

كنت اعتقد ان البلدان الراسخة التقاليد والمؤسسات ينتفي فيها العنصر الذاتي او الشخصي. وكنت اتصور ان مثل هذه العناصر موجودة عندنا نحن ابناء العالم الثالث فقط، ولكن، اقولها بكل صراحة، ان العامل الذاتي موجود في كل مكان باشكال مختلفة وبتأثيرات متفاوتة ولا يمكن تجاهله ابداً، وان رسوخ المؤسسات والديمقراطية والحضارة لا تلغيه ولا تتجاوزه.

ومع انعقاد الجولة السادسة التي بدأت في ١٩٩٢/٨/٢٤ ساد في الاوساط العالمية والعربية، جو من التفاؤل، بعد فوز هذا التحالف السياسي، الذي جاء مسلحاً ببرنامج يرتكز على ضرورة الدخول المباشر في المفاوضات السياسية مع الاطراف العربية، استناداً الى قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، وتقديم تنازلات اقليمية على مختلف الجبهات، بما فيها الجبهة الفلسطينية. واعتقدت الاوساط السياسية ان هذا التغيير لا بد له وان يتوافق مع تغيير جوهري في مسار العملية التفاوضية، مما اعطى للجولة السادسة طابعاً مميزاً، خاصة وان الحكومة الاسرائيلية وافقت على استمرارية المفاوضات لفترة زمنية اطول كثيراً عن سابقاتها، كما وافقت على اعادة المفاوضات الى واشنطن بعد ان كان متفقاً على عقدها في روما، الامر الذي يزيد من درجة التفاؤل، باعتبار ان الادارة الامريكية احدى الدولتين الراعيتين، ولها دور مميز في العملية التفاوضية الى جانب انعقادها عشية الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة.

لكن الامور اخذت مساراً مختلفاً، بعد ان اعلنت الادارة الامريكية موافقتها على منح اسرائيل ضمانات القروض، البالغة عشرة مليارات دولار، مع السماح للحكومة الاسرائيلية باستمكال بناء احدى عشر الف وحدة سكنية استيطانية في الارض المحتلة، بما فيها القدس الشريف. وجاءت هذه الموافقة كضربة مبكرة للطرف الفلسطيني، ثم اعادت الانتخابات الامريكية ظلالها على مفاوضات الجولة السابعة

بعد فوز كلينتون برئاسة الولايات المتحدة. حيث توقفت عشرة ايام ثم عادت بعدها الوفود للتفاوض وهي تنتظر ادارة امريكية جديدة بدلاً عن تلك التي رعت العملية السياسية منذ البداية. لقد تصورنا ان تبدل الادارة الامريكية لا يمكن ان يغير نظرة هذه الادارة تجاه القضايا الاستراتيجية والتي تعتبر العملية السياسية في الشرق الاوسط احداها. الا ان الوفد الاسرائيلي استغل المرحلة الانتقالية بين الاستلام والتسليم للمماطلة والتسويف والهروب من البحث الجاد المعمق في قضايا التسوية المطروحة.

وخلال التحضير لهذه الجولة عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعات مطولة، وخرجت بقرار واحد وهو ان يطلب الوفد الفلسطيني التركيز على تطبيق القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ باعتبارهما اساساً لعملية السلام الجارية، وان التسوية الشاملة يجب ان تؤدي الي تنفيذهما بالكامل، مع التأكيد على ان المرحلة الانتقالية هي مرحلة مؤقتة نحو المرحلة النهائية والتي يجب ان تشهد انسحاباً شاملاً للقوات الاسرائيلية، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

لقد كان هذا المطلب الذي اقرته القيادة وفرضته على الوفد، تعبيراً عن موقف تشددي غير جاد تجاه المفاوضات. وقد كان هذا من الاسباب الاخرى التي جعلتنا نفكر جدياً في البحث عن اسلوب تفاوضي آخر غير الاسلوب المتبع حالياً. وهذا ما دعانا الى التفكير في المفاوضات غير الرسمية والتي بدأت فعلاً في هذه الجولة. وقد كان مسار المفاوضات غير الرسمية في عقلنا الباطن هو البحث عن قناة خلفية.

كان هدفنا من هذا النمط من المفاوضات هو التخلص من الرسميات، والابتعاد عن المحاضر التي تكبل المتحدثين والمتفاوضين. ليترك كل شخص يتكلم على سجيته من اجل سبر الاغوار ومن ثم الوصول الى بعض القضايا المشتركة التي تحال الى الجلسات الرسمية اذا اتفق عليها. وهذا يعني بطبيعة الحال ان المسار الرسمي سيستمر ولن ينقطع، الا ان اللجان غير الرسمية ستسير جنباً الى جنب معه.

رحب الجانب الاسرائيلي باقتراحنا ووافق عليه. وشكلت ثلاث لجان غير رسمية تبحث المواضيع التالية:

- المفهوم.

- الارض.

- الاقتصاد وحقوق الانسان.

وقد جاء في محاضر جلسات الجولة السابعة ان لقاءات عدة قد تمت لهذه اللجان، وان الوفد الفلسطيني قد تعامل معها على اساس سبر الاغوار واستكشاف الموقف الاسرائيلي، بخاصة وانها تتناول مواضيع عملية يمكننا من خلالها الاطلاع على طبيعة الموقف الاسرائيلي وحقيقته. وقد ارتكز الموقف الفلسطيني في مجمل اللقاءات غير الرسمية على مواضيع الخطة التفاوضية انطلاقاً من ان الارض كلها لنا، وان المرحلة الانتقالية بداية تحرك لا يمكن عكس مساره الى الوراء، وبالتالي فانها تقود الى المرحلة النهائية التي ستجسد حق تقرير المصير كما تجسد حقنا في التشريع الاساسي والقانوني. وان مجلسنا التشريعي يشمل بنطاقه كل الارض الفلسطينية بما فيها القدس، ونقل كامل السلطة من الاحتلال الى الحكومة المؤقتة التي تسيطر على كل المجالات عدا ما يتفق بشأنه في مجال الامن الخارجي والعلاقات الخارجية. وانطلق الوفد بنظرية تفاوضية تقول، كل شيء لنا.. واذا اردتم فلنناقش الاستثناء. وكان هذا هو الخيط الذي يربط النقاش في مختلف المواضيع.

لقد مضت الجولة السابعة من المفاوضات ولم نلحظ اي تقدم، كذلك فان التجربة التي توخينا ان تغير اسلوب التفاوض لم تنجح، فلم تغير اللجان غير الرسمية منهج العمل ولم تبدل اسلوبه، وكل الذي حصل هو ان الوفدين قسما نفسيهما الى ثلاثة اقسام، وتولى كل قسم موضوعاً من المواضيع الثلاثة، في اطار لقاءات محددة المواعيد والامكنة والاشخاص، حيث يُكتب المحضر وتؤخذ الملاحظات. وهذا يعني ان التغيير المطلوب لم يحصل، وان تجربة اللقاءات غير الرسمية قد فشلت، لان كلا الطرفين لم يستوعب الغاية الاساسية من ورائها.

نتيجة الفشل الذي اصاب المفاوضات بخاصة بعد التعرف الى المواقف

الاسرائيلية التي ترفض ابسط الامور، وهي الالتزام بمرجعية المفاوضات. قررت القيادة تقليص الوفد ليصبح اربعة او خمسة اعضاء فقط تعبيراً عن الاحتجاج على النتائج التي توصلت اليها الجولات السابقة، وعلى الموقف الاسرائيلي المتعنت، واظهاراً لعدم الرضى بعد انقضاء مدة السنة التي تحدثت عنها رسالة الدعوة والتطمينات.

لم تزد الايام التفاوضية في الجولة الثامنة عن ستة ايام، وذلك بسبب العطلة التي طلبها وفدنا بمناسبة مرور خمس سنوات على انطلاقة الانتفاضة، وقد تجاوبت الوفود العربية مع هذه المناسبة وتوقفت جميع المسارات. كذلك فقد جرى تعطيل آخر في نهاية الجولة عندما اقدمت السلطات الاسرائيليةيوم ١٧/١٢/١٩٩٢ على ابعاد اربعمائة وخمسة عشر فلسطينياً من حركة حماس الى الحدود اللبنانية. وبهذا انتهت الجولة الثامنة بهذا الجو الساخن الذي خيم عليها واثر على استبعاد كل المواضيع الاساسية التي بحثت في هذه الجولة. كذلك فقد كانت هذه المسألة ضمن جدول اعمال اللقاءين اللذين وقعا مع الرئيس بوش والخارجية الامريكية. واستنفر الوفد لمتابعة مناقشات مجلس الامن لضمان الموافقة على القرار ٧٩٩ الخاص بعودة المبعدين الى مرج الزهور في جنوب لبنان.

انتهت الجولة الثامنة، وعادت الوفود من غير تحديد موعد لقاءات المستقبل. وكان واضحا ان الاستراحة ستكون طويلة، أي اننا سنمر بفترة فراغ لا يعرف أحد مداها. وهذا يعني ان الجمود سيؤثر على مجمل الاوضاع في الشرق الأوسط وتشعر كل شعوب المنطقة بانها دخلت مرحلة صعبة لا يستطيع أحد ان يتكهن بنتائجها، بينما الانتفاضة مستمرة والتوتر يشتد يوما بعد يوم.

ان مثل هذا الحال بمجمله وتفصيلاته لم يكن خافيا على القيادة الاسرائيلية، والتي كانت تشعر بالقلق ايضا كغيرها، ولكن المشكلة لدى هذه القيادة لا تختلف كثيراً عن المشاكل التي نعاني منها. حيث ان الخلاف بين رابين الممسك بزمام المفاوضات الثنائية وبيريز الممنوع من متابعة هذه المفاوضات والممسك بزمام المفاوضات المتعددة الأطراف، لم يكن خافيا على احد.

ومن جهتنا وجدنا ان مفاوضات واشنطن ستصل الى مازقها، فارسلنا الى رابين وبيريز نطلب منهما فتح قنوات خلفية تنقذ مفاوضات واشنطن من أزمتها، جوبهنا برفض رابين لهذه الفكرة، ولم تكن محاولة واحدة، فقد وسطنا المصريين كما وسطنا الروس.

منذ كان الاتحاد السوفييتي قائما ومنذ المبادرة الفلسطينية ١٩٨٨، شكلنا مع السوفييت لجنة تنسيق مشتركة تجتمع شهريا اما في موسكو او في تونس، وقد استمرت هذه اللجنة تعمل حتى عندما انتهى الاتحاد السوفييتي وتحول الى جمهورية روسيا الاتحادية.

وعلى الرغم من تراجع الدور الروسي وتدني اهميته العالمية بسبب معاناته الاقتصادية والاجتماعية والمالية الداخلية، فقد حافظنا على وتيرة العلاقة مع روسيا وتعاملنا معها بكل جدية كراع ثان للمفاوضات الثنائية والمتعددة، وحيث ان روسيا هي الجهة الوحيدة التي لها علاقات مباشرة ورسمية بالمفاوضات وتتحدث معنابشكل رسمي، فقد كنا نحاول ان ننقل عبرها والى الآخرين امريكان واسرائيليين، ما نريد ان نقوله لهم، وكان الروس يحاولون ان ينقلوا بامانة كل ما يسمعونه ويبذلون جهدا لاقناع الاطراف المعنية به.

وقد طلبنا منهم ان يتحدثوا مع الاسرائيليين عن قناة خلفية يكون مقرها موسكو ويحتضنها الروس ويرعوها.. وقد بذلوا في هذا جهدا كبيرا وكان جواب بيريز: «ما هو موجود يكفي». ولما كان الطلب قدم في اكثر من مناسبة فقد جاء جواب بيريز في الوقت الذي كانت قناة اوسلو قائمة.. الا ان الرو س فهموا ان ما يجري في واشنطن كاف.. بطبيعة الحال شكرت جهودهم ولم اعلق على الجواب.

تمثلت المواقف الامريكية في استمرار السياسة الامريكية تجاه عملية السلام، وموقفها الثابت من رسائل الدعوة والتطمينات. وان هدف العملية التفاوضية اكساب السلطة للشعب الفلسطيني، وانهاء الاحتلال الاسرائيلي، واقامة علاقات جديدة بين الشعبين. وان المرحلة الانتقاليةهي جزء عضوي من عملية السلام، وقد وضع تصورها في القرارين ٢٤٢و ٣٣٨، كجزء من تسوية شاملة، وان التسوية ككل

تقوم على اساس ٢٤٢و ٣٣٨. كما كانت تدعو الى التركيز على اهمية السلطة المنتخبة، لأن الانتخابات هي طريقة عملية نحو اكتساب السلطة السياسية، والى عدم الخلط بين الوظيفة التشريعية والسلطة التشريعية.

وخلال اللقاءات مع الخارجية الامريكية، كانت تبحث قضايا خارج نطاق التفاوض، مثل الممارسات الاسرائيلية التعسفية في الاراضي الفلسطينية المحتلة، وأثر ذلك على طاولة المفاوضات ومجمل العملية السياسية.

امام هذه الصورة القاتمة بكل تفاصيلها أقدم شمعون بيريز على مغامرة إرسال إثنين من رجاله ليتصلا بوفد المنظمة للمفاوضات المتعددة الأطراف في لندن، وليفتح معه حواراً غير رسمي، بعد ان قدم الرجلان نفسيهما على انهما أكاديميان يرغبان في المساعدة لدفع عملية السلام الى الامام.. ومن هنا جاءت أوسلو.. في فترة الاستراحة الطويلة، لتأخذ الوقت الكافي حتى يمتحن كل طرف الطرف الاخر بعيداً عن أعين واشنطن والمتفاوضين فيها ودون أي التزام مسبق. ان فترة الاشهر الخمسة التي فصلت بين الجولة الثامنة والجولة التاسعة، كانت كافية لعمليات جس النبض وسبر الاغوار واستكشاف مواقف الاطراف ونواياها، وكان ما كان. وجاءت الجولة التاسعة من مفاوضات واشنطن في الوقت الذي كنا قد قطعنا أكثر من اربعة أشهر في مفاوضات مكثفة ومعمقة في أوسلو.

وكان شهر آب/ اغسطس ١٩٩٣ حاسما، ففيه وصلت الفاوضات الى مأزق خطر عندما انعدمت اللغة المشتركة بين الفلسطينيين والاسرائيليين وعجزت المشاريع الامريكية عن ان تقدم أية افكار من شأنها ان تقرب بين الطرفين، وأصبحت الصورة قاتمة تماماً على جبهة واشنطن، وبات الامريكان عاجزين عن تحريك المسائل بأي اتجاه، بعد ان فشلت زيارة كريستوفر الى المنطقة، حيث لم يتمكن من تسويق المسودة الامريكية نظراً للهوة السحيقة التي تفصل الأطراف عن بعضها البعض. وبالمقابل كانت أوسلو تراوح مكانها امام مجموعة من المعضلات التي كادت ان توقف هذه القناة. وقد خيل الينا ان مسيرة السلام برمتها أصبحت في مهب الريح، لأننا بدأنا نفقد الأمل من كلا القناتين، وشعرنا اننا وصلنا الى الفشل الكامل.

في اسرائيل كانت تجري معركة صامتة بين مساري واشنطن وأوسلو، وكان مصدر القرار - رابين - لا زال حتى زيارة كريستوفر يعتقد انه يجب ان يعول على قناة واشنطن لأن اخطارها أقل من أوسلو، ولانها تجري بين احضان الراعي الامريكي، ولأنها تسير حسب شروط مدريد، تلك الشروط التي وافق عليها الليكود واستمر بها حزب العمل. وأخيراً لأن واشنطن تستبعد المنظمة من حيث الشكل على الأقل وتتعامل مع فلسطينيي الداخل.

لقد بلغت هذه المعركة اوجها ابان الجولتين التاسعة والعاشرة، عندما تدخل الامريكان بمشروع بيان مشترك في الجولة التاسعة، ومسودة للعمل بها في الجولة العاشرة. كما كنا مقتنعين بأن مثل هذه المشاريع، لا يمكن ان تصل بالمفاوضات الى ما نبغيه منها. كنا نريد ان يقتنع الاسرائيليون بهذا، واعتقد انهم اخيرا وصلوا الى هذه القناعة، وتبين لهم ان الامل في الوصول الى حل، موجود في اوسلو، بخاصة وان المتفاوضين وضعوا ارضية صلبة له، وبقي ان يتابعوا مجموعة من النقاط الاخرى، التي يستكمل بها مشروع اعلان المبادىء ويصبح جاهزا للتوقيع. ولكن هذا لا يعني ان اي طرف - لو اراد - قادر ان يعطل هذا المشروع من اجل نقطة واحدة قد تكون اساسية وقد تكون شكلية اذا لم تتوفر لديه النية الصادقة والرغبة الاكيدة في التوصل الى حل، بخاصة اذا كان يأمل بوجود خيار آخر امامه، اما وان الخيار قد انتهى، وان الرغبة متوفرة لدى الطرفين، فقد تجاوزا مشاريع واشنطن واتجها الى اوسلو.

لم تكن النظرة العربية للمفاوضات المتعددة الأطراف، بنفس الحماس والرغبة والاندفاع للمفاوضات الثنائية. وقد وقف السوريون ومن بعدهم اللبنانيون موقفاً متصلباً من المفاوضات المتعددة الأطراف، ورفضوا المشاركة بها دون اسباب واضحة او محددة، وحاولوا ان يحشدوا لموقفهم تأييداً عربياً واسعاً، فلم يستجب لهم احد، الا انهم راحوا يحثون الفلسطينيين على الرفض حتى يشكلوا جبهة اوسع تجعل موقفهم اقوى.

تمثلت المشاركة الفلسطينية في أعمال مجموعة العمل، بطرح الموقف

الفلسطيني في كل مجموعة عمل من خلال الحديث عن المبادىء الى حين استطلاع آفاق المفاوضات الثنائية ومدى تحقيق انجاز فيها يسمح بالتقدم في المتعدد. بينما تمثل الموقف الاسرائيلي بالسلبية والدفاع من خلال تغيبهم ومقاطعتهم لأعمال مجموعات العمل للتنمية الاقتصادية واللاجئين، وبدأت مجموعات العمل الستة اجتماعاتها في الفترة ما بين ١١ ـ ١٩٩٢/٥/٢٧ في كل من بروكسل وواشنطن وفيينا وكندا وطوكيو ولشبونة، وتناولت موضوعات حيوية وهامة من مواضيع الصراع الفلسطيني الاسرائيلي والصراع العربي الاسرائيلي. وهذه الموضوعات هي المياه واللاجئين والتنمية الاقتصادية والبيئة والأمن وضبط التسلح، ولجنة التوجيه.

لقد كان تواجد منظمة التحرير الفلسطينية في عمل المجموعات بارزا، حيث ترأس الوفود الفلسطينية الى هذه المجموعات مسؤولون فلسطينون بارزون، يحتلون مواقع متقدمة في أجهزة المنظمة، كما حصل في مجموعتي التنمية الاقتصادية واللاجئين. وعندما حرمنا من المشاركة في مجموعة الأمن وضبط التسلح، أرسلنا وفداً الى تلك الاجتماعات. وبالرغم من انه لم يدخل قاعة الاجتماعات، إلا أنه أجرى اتصالات مع الوفود الأخرى المشاركة، بما فيها الوفد الأمريكي، وذلك لشرح مخاطر استبعاد الوفد الفلسطيني وأهمية مشاركته في هذه المجموعة.

توزعت اجتماعات مجموعات العمل في الجولة الثانية للمفاوضات المتعددة الاطراف في ست عواصم عالمية، خلال الفترة ما بين ١٩٩٢/٩/١٨ حتى ١٩٩٢/١٢/٤. وأثناء انعقاد لجنة الامن وضبط التسلح في موسكو ما بين ١٨ ـ ١٩٩٢/١١/١٩، حيث كان مقرراً، استبعاد الطرف الفلسطيني من اجتماعات هذه اللجنة، بحجة انها مقتصرة على الدول، والفلسطينيون لا يشكلون دولة مستقلة، ابلغناالامريكان أثناء انعقادها، بأنهم على استعداد لقبولنا فيها وقبول اعضاء من الخارج، اذا وافقنا على تجميد حضور رئيسي لجنة التنمية الاقتصادية(يوسف الصايغ) ولجنة اللاجئين(الياس صنبر)، بحجة ان هذين الشخصين عضوان هامان

في منظمة التحرير الفلسطينية، وأن وجودهما في اللجنتين يحول دون حضور اسرائيل لها.

وما لبس الامريكان ان سحبوا هذا العرض، قبل أن نبدي رأيا فيه سواء اكان ايجابيا أو سلبيا. وعند زيارة عمرو موسى وزير خارجية مصر لاسرائيل، تحدث في هذا الأمر مع نظيره شمعون بيريز، فوضع الاخير ثلاثة شروط، تحضر بموجبها اسرائيل اجتماع لجنتي التنمية الاقتصادية واللاجئين، ويسمح للفلسطينيين بالحضور من الداخل والخارج، والشروط الثلاثة هي:

- ان لا يكون ضمن اعضاء الوفد الفلسطيني أشخاص من القدس.

- أن لا يكون ضمن أعضاء الوفد الفلسطيني أشخاص من المجلس الوطني.

- أن يخرج الصايغ وصنبر من اللجنتين كرئيسين لها، ويبقى اسماهما ضمن أعضاء الوفد.

وبناء على هذه الشروط، تم بحث الموضوع في القيادة الفلسطينية، وأرسلت الرسالة التالية بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٢، الى الوزير عمرو موسى، لكي يبلغها بدوره الى شمعون بيريز.

بدون إشارة الى ما تم بحثه في واشنطن بين الوفد الفلسطيني المفاوض والادارة الامريكية(دان كيرتزر)، حول المشاركة الفلسطينية في لجان المتعددة الاطراف، يتمثل عرضنا فيما يلي:

١ - ان يتغيب رئيسا لجنة التنمية الاقتصادية واللاجئين لجولة واحدة فقط.

٢ - مقابل ذلك يشارك الجانب الفلسطيني في جميع لجان المتعددة الاطراف الستة، بما في ذلك لجنة الأمن وضبط التسلح.

وقد أرسلت هذه الرسالة موقعة من أبي عمار لسفير منظمة التحرير الفلسطينية في مصر سعيد كمال، ثم جاء جواب سعيد كمال على لسان السفير نبيل فهمي يوم ٢٢/١٠/١٩٩٢ يقول، أن شمعون بيريز، أفاد بأن اسرائيل ستحضر

المفاوضات المتعددة الاطراف لهذه الدورة فقط وأنهم سيناقشون موقفهم للدورة التالية على ضوء الوضع المستجد، وبناء على هذه الرسائل المتبادلة، تم الاتفاق على صيغة الحضور الفلسطيني وحضر الاسرائيليون لجنة التنمية الاقتصادية التي سبق أن قاطعوها في الماضي.

وخلال هذين اليومين جرت اتصالات ولقاءات هامة مع الادارة الامريكية، أهمها اللقاء الذي تم في وزارة الخارجية الامريكية بين جيريجان وحنان في يوم ٢١/١٠/١٩٩٢. والذي تم فيه بحث جوهر مسألة المشاركة الفلسطينية في المفاوضات المتعددة الاطراف، وهذا نصه:

جيريجان: لقد سمعنا أشياء مثيرة جدا للاهتمام من الروس حول مشاوراتهم مع قادة فلسطينيين في موسكو.

حنان: هل تقصد أبا مازن.

جيرجيان: نعم، ابي مازن، حول جوهر مسألة المشاركة الفلسطينية في المتعدد، نريد ان نسمع عما يحدث، توجد تنويعات عدة على لحن، اذا كان القصد ارباك الراعيين فقد نجحتم في ذلك.

حنان: لا أعلم ان كنت تريد منا اجابة على هذا الان، أو تريد منا تأجيل هذا(الموضوع) لوقت لاحق.

جيرجيان: آمل أن يكون عندكم موقف.

حنان: عندنا موقف، لقد ناقشنا هذه المسألة، ان كان ذلك من خلالكم، أو في أماكن أخرى، فقد أثيرت هذه المسألة، نحن على وشك تسوية المسألة، لدينا نص يختلف عما جاءنا من عمرو موسى، مسألة لمرة واحدة فقط«تبقى».

جيرجيان: هل هذه نقطة ستستمرون في الاصرار عليها؟

حنان: نعم، ولكن يمكننا مناقشة هذا في وقت لاحق اليوم.

جيرجيان: (بعد الحديث عن الشرطة)، الأمن مسألة هامة، لقد ناقشنا هذا من

قبل، وبعد مدريد. لدينا اسباب تدعونا للاعتقاد بأن الاسرائيليين على استعداد لمناقشة هذه المسألة معكم، وفي هذا الخصوص، تحدثنا مع جماعتكم في القدس حول تدريب الفلسطينيين على مستوى متقدم من الادارة العامة، ونخطط للدفع لهذا الاتجاه في باريس كجزء من مجموعة العمل حول التنمية الاقتصادية، وثنائيا، بين الولايات المتحدة والفلسطينيين في حال النجاح، سيكون عليكم البدء بالاضطلاع ببعض المسؤوليات، وأنتم لا تمتلكون حاليا البنية لاستيعاب ذلك، رجوعا الى المتعدد، أرجو ان تجعلوا المسائل واضحة.

حنان: حول المتعدد، في مناقشاتهم مع عمرو موسى، قالوا(أي الاسرائيليين) أن هناك شخصين كلاهما اعضاء في المجلس الوطني يجب الا يكونوا في الاجتماعات، وشخص ثالث(غير مسمى) غير مقبول، هذه مسودة غير رسمية. (وقرأت حنان عشراوي من المسودة غير الرسمية التي تتحدث عن عمل فلسطينيين من خارج الاراضي المحتلة في جميع مجموعات العمل). لقد وافقت جماعة باريس على هذا. جماعتنا لا يزالوا قلقين من الصياغة الغامضة، لقد فكرنا، طالما أن(الموضوع) يتواصل، فلا حاجة لاجابة فورية، الامن ـ نزع السلاح ـ المياه.

جيرجيان: موقفكم هو أن تغيب اعضاء المجلس الوطني سيكون لمرة واحدة فقط.

حنان: نحن نرفض الاشارة الى المجلس الوطني على الاطلاق، نحن نسعى لايضاح أننا لن نقبل أي شروط مسبقة، ونحن نقول لا توجد شروط مسبقة.

كرتسر: يوم الاثنين تجتمع مجموعة البيئة، والخميس الاقتصادية، لديكم فلسطينيين من الشتات، بما فيهم أعضاء من المجلس الوطني، والاسرائيليون لم يطلعونا بعد(على الصيغة؟). لقد قلنا للاسرائيليين أننا لن نلعب دور الشرطي(لتنفيذ) اتفاق لا نعرف محتواه، ابتداء من الاثنين، في مجموعة البيئة، اذا جاء فلسطينيون من الشتات لن نسمح لهم بالدخول، وصولكم الى اتفاق سيكون امرا عظيما.

حنان: قد نعلم اليوم أو غداً، توجد مشكلة، هل أعلن بيريزأنهم سيذهبون لباريس؟

كرتسر: ليس لديهم اجابة حول أعضاء المجلس الوطني في الغرفة، لقد قلنا لهم، اذا جاء يوسف صايغ، لن نرمي به خارج الغرفة.

حنان: سنحاول تسوية المسألة، فكرة. لمرة واحدة قد تشكل مشكلة، لن نتكلم عن مسائل شاملة، مناقشاتنا تعاطت فقط مع يوسف وايلي وذكروا شخصاً ثالثا.

شهدت اوتاوا العاصمة الكندية اجتماعات مجموعات العمل حول اللاجئين، خلال الفترة ما بين ١١ ـ ١٢/ ١١/ ١٩٩٢. وقد اعترض رئيس الوفد الاسرائيلي على وجود الدكتور محمد الحلاج، نائب رئيس الوفد الفلسطيني في قاعة الاجتماع، وطالب بسحبه بحجة أنه عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، ونظرا لتمسك الجانبين بموقفهما، قاطع الوفد الاسرائيلي اجتماعات المجموعة، وألقى الدكتور الحلاج كلمة الوفد الفلسطيني، واتبعها بمؤتمر صحفي قال فيه ردا على أحد الاسئلة: «نعم لقد شاركت في اجتماعات سابقة للمجلس الوطني الفلسطيني، وذلك أمر معروف وليس سرا، كما أنني لم أستقل أو أفصل منه، واذا دعيت لاجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني القادمة، فانني سأشارك فيها». وبناء على اقتراح امريكي لايجاد مخرج يؤدي الى مشاركة اسرائيل في أعمال هذه المجموعة، ومفاده ان يستنتج رئيس الوفد الامريكي في قاعة الاجتماعات، بأن عضوية الحلاج في المجلس الوطني الفلسطيني قد انتهت، وأن يرد الحلاج بأنه قد شارك في الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني، وأن عضويته كانت لتلك الدورة، وأن ذلك لن يحول دون مشاركته في دورات المجلس الوطني الفلسطيني في المستقبل، اذا ما دعي. بناء على ذلك الاقتراح شاركت اسرائيل في اجتماعات اللجنة في يومها الأخير، وهذا نص الصيغة التي تم بموجبها(حل موضوع اشتراك اسرائيل في مجموعة العمل حول اللاجئين).

الامريكي: بعد مناقشات موسعة مع الوفود، يسرنا ان الوفد الاسرائيلي

والجانب الفلسطيني في الوفد الفلسطيني ـ الاردني المشترك يحضران هذا الاجتماع.

لقد فهمت، استنادا الى هذه المشاورات، أن عضوية الدكتور الحلاج في المجلس الوطني الفلسطيني قد انقضت مدتها (Lapsed) في نهاية الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني في ١٩٩١، وبالتالي هو ليس حاليا عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني.

الحلاج: كما قال الراعي ـ لقد حضرت الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني ووفقا للطريقة التي يعمل بها المجلس الوطني الفلسطيني، كانت عضويتي لتلك الدورة ـ وهذ لا يحول دون (Preclude) مشاركتي في دورات مقبلة للمجلس الوطني الفلسطيني.

الاسرائيلي: استنادا الى ما سمعته من الراعي بأن عضوية الدكتور الحلاج قد انقضت مدتها بعد المجلس الوطني الفلسطيني الأخير، يسر اسرائيل أن تحضر الاجتماع اليوم.

ومع توقيع اعلان اتفاق المبادىء، تكون مرحلة جديدة قد بدأت وهي بلا شك ستعكس نفسها على كافة اشكال اللقاءات التي تليها، ويصبح وراءنا كل ما جرى في المفاوضات المتعددة الاطراف التي انطلقت بعد اجتماعات موسكو. حيث شاركنا في كل اللجان فيما بعد، وتطور التمثيل الفلسطيني ليشمل اعضاء من الخارج وممن لهم صفة تمثيلية في منظمة التحرير، وتمكنت وفودنا من طرح مختلف القضايا التي تهم الشعب الفلسطيني، وفي غمرة التطور الايجابي للمفاوضات المتعددة والمكاسب التي تحققت والخسائر التي جبهت ومنعت، نسي الكثيرون ممن عارضوا اسباب معارضتهم.

الفصل السابع

الدور للترويج

قد يبدو غريباً ومستهجناً ان يقال بان الصغير يستطيع ان يفعل المعجزات التي يعجز عنها الكبير. فاذا اردنا ان نذكر اسم النرويج كاحدى الدول المؤثرة في العالم لن نجد لها مكاناً بين المؤثرين. ولن نجد لها ذكراً بين الفاعلين اصحاب الاسماء والقدرات والنفوذ في النظام العالمي الجديد او القديم. ومع ذلك فقد استطاعت النرويج ان تفعل ما لم يقدر عليه العمالقة. وان تحقق ما لم يحققه العظام.

ونحن نسجل احداث أوسلو كوثيقة تاريخية تركت بصمات بارزة على اهم معالم القرن العشرين، لا بد ان نعطي هذا البلد الصغير حقه كاملاً في ابراز دوره الايجابي والفعال للوصول بهذه الوثيقة الى حديقة البيت الابيض.

لم يكن اختيارنا... ولا اعتقد انه اختيار الاسرائيليين، ان تكون اوسلو مقراً سرياً لقناة خلفية لمفاوضات تجري بيننا وبينهم. وانما كانت مبادرة نرويجية اتجهت اولاً نحو الطرف الاسرائيلي الذي قبل بها من حيث المبدأ. ثم تم تدبير اللقاء الذي حصل في لندن حتى حدث التفاهم بين الطرفين، لنعرف بعد ذلك ان النرويجيين لعبوا الدور باتقان لجمع الخصمين المتنازعين على أرضهم. لكن فكرة القناة الخلفية من حيث المبدأ لم تكن حديثة على اسماع الاسرائيليين او اسماعنا. فقد سبق ان طرقت بوسائل مختلفة وعبر جهات مختلفة مثل مصر والروس. ولكنها لم تنضج في ذلك الحين، الى ان التقطها النرويجيون واشتغلوا عليها وحققوها.

لقد كانت مهمة صعبة تطلبت من الاطراف الثلاثة اقصى درجة من السرية المطلقة، بحيث فرضت على الاسرائيليين والفلسطينيين ان تكون تحركاتهم محاطة بالكتمان الشديد . لكنها حمّلت النرويجيين مسؤولية اكبر في ضبط هذه التحركات على ارضهم، حتى لا تلفت انظار السفارات الاجنبية ووكالات الانباء والصحافة والمخابرات الدولية. وهي مهمة تبدور مستحيلة، الا انها نجحت، حيث اتبع النرويجيون سياسة الانتقال من مكان الى مكان. فلم يقع اجتماعان متواليان في

مكان واحد، او حتى في مدينة واحدة. كذلك فلقد حصروا عدد المسؤولين عن هذه العملية. واحاطو انفسهم بسياج من الضباب يحول دون تسرب الاخبار الى آخرين عاملين في الخارجية النرويجية او في غيرها.

لا يكفي ان يتبى بلد ما سياسة ما حتى يكتب لهذه السياسة ان تنجح. وهذا الامر وان كان ينطبق على دول العالم الثالث بشكل فاقع فاننا لا نستطيع ان ننفيه عن باقي دول العالم الثاني او الاول. لان العنصر الانساني الذاتي، يلعب دوراً يكاد يكون حاسماً في تقرير هذه السياسة وتطبيقها.

ومن حسن حظنا ان الطاقم الذي تولى رعاية المفاوضات في النرويج كان يتمتع بدرجة عالية من الحماسة والاهتمام والاندفاع. وقد توفرت لديه رغبات عميقة في التوصل الى النجاح. وربما كان الدافع عند البعض، البحث عن رصيد سياسي وسمعة دولية ، ولكن هذا لا يكفي أبداً لتبرير الجهد الذي بذله هذا الطاقم. ذلك الجهد الذي غير طبيعية حياة هؤلاء الاسكندنافيين، الذين تعودوا على نمط من العمل والروتين، يختلف تماماً عما نحن فيه. الا انهم سرعان ما تواءموا مع عاداتنا وتقاليد عملنا وسايروا ظروفنا، بحيث اصبحوا يعملون بالليل ويربطونه احياناً بالنهار من اجل متابعة عملية المفاوضات . ولذلك فانه لا يكفي ان نعزوا سبب هذا الاهتمام للبحث عن رصيد سياسي او سمعة دولية للدولة او للاشخاص، وأنما نشعر بدافع ذاتي ورغبة صادقة لتحقيق عملية السلام في الشرق الاوسط. وكثيراً ما كان يصاب المسؤولون النروجيون بالاحباط وخيبة الامل عندما تصل المفاوضات على ارضهم الى طريق مسدود. ألا انهم لم يفقدوا الامل ولو للحظة واحدة بنجاحها.

وهكذا نلاحظ ان الشرطين الاساسيين اللذين يضمنان نجاح اي عمل قد توفرا في النروج. وذلك عندما نقول بان سياسة الدولة تتبنى مثل هذه القضية، وقدر لها اشخاص كرسوا انفسهم من أجلها وفي سبيل نجاحها برغبة وحماسة. ولهذا نراهم قد تجاوزوا دور المضيف الذي يهيىء اسباب الراحة والسرية التامة للمتفاوضين الى التدخل المباشر بين المتفاوضين من اجل تقريب وجهات النظر وتقديم المقترحات والبدائل والسيناريوهات، وتقمصوا دور الشريك الكامل في

المفاوضات بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى. ولم يقتصر دورهم على حدود بلادهم بل تجاوزوها، كلما كانوا يحتاجون للانتقال بين تل أبيب وتونس وواشنطن، لكي يحافظوا على قوة الدفع والاستمرارية، ومن اجل ان يطلعوا بشكل ميداني على افكار قيادات المتفاوضين ومحاولة اقناعهم، بما يحمله وكلاؤهم على الطاولة.

ولما كان وزير الخارجية يوهان يورغان هولست، هو الذي يتربع على رأس الطاقم المكلف بهذه المهمة، فقد ظهر وكأن وزارة الخارجية بكاملها أصبحت مكرسة لهذا العمل، لان الوزير لم يكتف بمن لديه من كبار الموظفين الاكفاء، بل كان يمارس بنفسه متابعة المفاوضات والاطلاع على مجرياتها والاتصال بالاطراف المعنية والسفر اليها للالتقاء بها دون ان يلفت الانتباه الى حقيقة مهمته. ودون ان تكتشف وسائل الاعلام او المخابرات الدولية اسباب سفره ودوافعها. فقد كان ذكياً في اختراع الاسباب لذر الرماد في العيون.

لقد استطاع المسؤولون النرويجيون ان يهيئوا الاجواء المناسبة للمتفاوضين. ليس فقط من اجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين. وأنما من اجل خلق اجواء وعلاقات انسانية بينهما من شأنها ان تساعد على بدء مرحلة التعايش والتفاهم، لتنطلق هذه المرحلة من اوسلو وتعكس نفسها في المستقبل على الارض المحتلة.

وعلينا ان نلاحظ بأن المفاوضات ليست حوارا سياسياًجافا، وانما هي خليط من مختلف المصالح والمشاعر والاحاسيس والعواطف، تنصهر كلها في بوتقة واحدة. وهي اما ان تؤدي في النهاية الى تفاهم كامل او الى تنافر شامل.واذا جردنا المفاوضات من العامل الانساني تصبح بلا روح حتى لو تمت من خلالها اتفاقات، لان هذه الاتفاقات تبقى بحاجة الى ما يساندها ويدعها ويعمقها. وبلا ادنى شك فقد كانت هذه مهمة الطاقم النروجي الذي اداها بنجاح.

ودرجة الحماسة ومستوى الرغبة في الوصول الى تحقيق النتائج، لم تكن متفاوتة بين الوزير وبين موظفيه الذين شاركوه تحمل المسؤولية ومتابعة العملية.

وبالتالي لم يكونوا يجاملون رئيسهم او يسايرونه في هذا الامر، بل كانوا يشاركونه نفس الحماسة والرغبة الصادقة.

تيري لارسون وزوجته «منى» مديرة مكتب الوزير، نموذج لهؤلاء العاملين الصادقين في وزارة الخارجية، والذين اعتبروا نجاح المفاوضات نجاحاً شخصياً وعائلياً لهم. ولا انسى ان لارسون هذا بكى في احدى المرات، عندما شعر ان الاخفاق يحف بالعملية وأنها لن تنجح. لا اعتقد انه بكى لان مهمته ستفشل، بل لان عملية السلام التي يؤمن بها ويعمل من اجل تحقيقها في طريقها الى الفشل... هذا هو العامل الانساني الذي اضفى جواً آخر على المفاوضات اسهم في تحقيقها، ويعود الفضل فيه لهؤلاء النروجيين.

لقد تجاوز جو المفاوضات الدبلوماسيين النروجيين الى بيوتهم وعائلاتهم وأطفالهم، حتى عاش هؤلاء وعايشوا المتفاوضين والمفاوضات، واحسوا انهم يصنعون من حيث لا يعلمون الكثير او ربما القليل، يصنعون لحظات حاسمة من التاريخ، وقد ظهر هذا في عيونهم ونظراتهم وطريقة استقبالهم للضيوف، وحرارة الترحيب بهم.لانهم استطاعوا ان يستضيفوا الخصمين معاً في بيوتهم في جو عائلي خال من الرسميات والبروتوكول وتعقيداتهما. وتركت مثل هذه اللمسات الانسانية اطيب الاثر في نفوس الجميع. وضاعفت من حماستهم للوصول الى اتفاق.

لقد ادخل الوزير هولست الى المستشفى مرتين اثر ازمة حادة ولم تمنعه معاناته الصحية من تمتعه ومن تمتع رفاقه من استمرار متابعتهم لعملية السلام حتى بعد التوقيع،ومن اجل التطبيق. ولم تقتصر مسؤوليتهم الادبية والسياسية على الاحتفال بتوقيع الاتفاق في واشنطن، بل تجاوزته الى حث الطرفين على ازالة كل عقبة تقف في طريق التطبيق.

اذا كان الفلسطينيون والاسرائيليون اهل فرح حديقة البيت الابيض. اذا كان كلينتون وادارته وزعماء بلده السابقون والحاليون رعاة هذه الفرحة والفرح. فان

هولست كان العراب الذي ينظر اليه الجميع بالاعجاب والتقدير والحسد احياناً، وكثيرون تمنوا لو كانوا مكانه، وادوا مهمته.

قال احد الاخوة مرة: «ينص الميثاق على ان الفلسطيني هو المولود لابوين عثمانيين، فهل ستقتصر الجنسية الفلسطينية على أولئك المتحدرين من اصول فلسطينية؟. فأجبت: «بعد هذا العناء الطويل الذي شاركت فيه شعوب وافراد من العرب وغير العرب، وضحى هؤلاء بأنفسهم ووقتهم وأموالهم. لا اعتقد انه يمكن قصر الجنسية الفلسطينية على المتحدرين من اصل فلسطيني. لان الفلسطينية. أصبحت انتماءاً والتزاماً اكثر مما هي سلالة وأجيال. وبناء عليه فان الدول والشعوب والاشخاص الذي قدموا للثورة الفلسطينية خدمات لا تنسى،وضحوا من اجلها تضحيات ستبقى محفورة في عقول الاجيال، ان لهؤلاء علينا حقاً، نقدم لهم بعضاً منها باشكال مختلفة تعبيراً عن الوفاء والعرفان بالجميل والامتنان، والا فاننا سنوصف بالجحود والتنكر لهم ولجهودهم وتضحياتهم. لن اقوم بتعداد هؤلاء او بحصرهم فهي ليست مهمتي، ولكنني اكتفي بما جاء في السياق، واترك لمن سيتولى المسؤولية الاهتمام بما يفرضه الواجب.

كتب وزير خارجية النرويج بعض الرسائل، وتلقى اجوبة على بعضها. ونحن نحتفظ بنسخ مما كتب وتلقى، وقد جاءت هذه الرسائل في سياق مفاوضات اوسلو وفي خدمتها. وهكذا فهو لم يكتف باستضافة المتفاوضين وتهيئة كل اسباب النجاح لهم. ولم يقف عند التنقل المستمر بين اوسلو وتل ابيب وتونس وواشنطن، بل عزز هذا كله بالرسائل لتكون وثائق تاريخية شاهدة على ما قام به باسمه وباسم بلده.

بتاريخ ١٦/٧/ ١٩٩٣ وصل السيد يوهان يورغن هولست وزير خارجية النرويج الى تونس على رأس وفد رسمي رفيع لزيارة الجمهورية التونسية. وقد استغل هذه المناسبة من اجل ان يجري لقاء مع عرفات للتباحث حول قناة اوسلو. وحيث انه لا بد ان يزوره رسمياً سيرافقه عدد من موظفيه الذين لا يعرفون شيئاً عن قناة اوسلو، وفي نفس الوقت سيكون مع عرفات آخرون لا يعرفون شيئاً ايضاً. تم ترتيب لقاءين، الاول يحضره الجميع والثاني يلتقيان منفردين، جرى

اللقاء البروتوكولي لمدة عشرين دقيقة، ثم انفرد الاثنان. وبعد انتهاء الاجتماع كتب هولست رسالة مفصلة الى شمعون بيريز، حملها تيري لارسون وزوجته منى فور انتهاء الاجتماع.

وقد لاحظ هولست أن عرفات كان استعراضياً في الجلسة العامة حينما كان يخاطب زملاءه أكثر مما يخاطب الجانب النرويجي. إلا أن الحديث أخذ منحى آخر عندما انفرد الاثنان، لانهما تطرقا بشكل مفصل الى قناة اوسلو واهمية استمرارها ودعمها حتى تصل الى تحقيق النتائج الايجابية بما في ذلك استمرار المحافظة على سريتها حتى لا تنفجر. وقد تطرق الحوار الى تفاصيل مختلفة تتعلق ببنود اعلان المبادئ، وبخاصة النقاط الخلافية التي لا زالت معلقة. لذلك حاول هولست ان يقدم صورة مشجعة عن لقائه بعرفات، حتى يطمئن بيريز الى نوايا خصمه ورغبته الحقيقة في تحقيق السلام (١).

وفي ١٩/٧/ ١٩٩٣ حمل تيري لارسون الرسالة الجوابية من بيريز، الذي عبر عن امتنانه لجهود هولست وللمداولات التي اجراها لارسون في تل ابيب، ويبدو ان هذه الرسالة حفّزت بيريز والحكومة الاسرائيلية على متابعة قناة اوسلو، والسرعة في البحث عن حلول للعقبات التي لا زالت تعترض طريق هذه المفاوضات. مؤكداً على ضوء توضيحات رسالة هولست ومناقشات لارسون بان اختراقاً تاريخياً سيقع، مشيراً الى انهما سيلتقيان في شهر اغسطس/ آب (٢).

بقي الوزير هولست في تونس بانتظار عودة مبعوثيه الى تل ابيب، ليسمع منهما انطباعات الاسرائيلين على رسالته وكذلك ملاحظاتهم حول مجمل ما يجري في اسلو. وعندما عاد المبعوثان جلس الفريق ليقيّم كل ما توفر لديه من معلومات، ثم سطّر هولست مجموعة من النقاط بتاريخ ٢٠/ ٧/ ١٩٩٣ ليثيرها في اجتماعه الثاني مع عرفات. وهذه ابرز النقاط:

١ ـ التسريبات التي جرت في بعض الصحافة الاسرائيلية والغربية حول قناة اوسلو، والاساليب التي اتبعت لنفيها واثارة الضباب حولها.

٢ ـ تحبيذ الاسرائيليين لقناة اوسلو ورغبتهم في استمرارها على ان لا يطول الزمن اكثر من اللازم. ويرون فيها الامل الوحيد والاخير في آن معاً.

٣ ـ يرغب الاسرائيليون بان تكون الجولة القادمة هي الجولة الحاسمة في اوسلو.. وهذا رأي رابين والحكومة الاسرائيلية المصغرة.

٤ ـ يبدي الاسرائيليون بعض المرونة حول «اريحا».

٥ ـ ان الهاجس الاسرائيلي هو الامن، ولذلك فهم مستعدون لمنح السلطة الفلسطينية كل التسهيلات لبناء قوة بوليس قادرة ومتمكنة.

٦ ـ القدس من القضايا الحساسة جداً، ولذلك يفضل تأجيل بحثها الى المرحلة النهائية مع قضايا اخرى.

٧ ـ ابدى الاسرائيليون الاستعداد لبحث قضايا اقتصادية في اطار اعلان المبادئ.

٨ ـ يركز على بناء الثقة بين الطرفين، وفي اعتقاده ان تطبيق المرحلة الاولى، سيغير كثيراً من القناعات عند الطرفين.

٩ ـ ليس للنروج اي مصالح خاصة ودورها هو التسهيل، ويعتقد ان انجح المفاوضات هي التي تجري مباشرة بين المتخاصمين.

١٠ ـ الاتفاق بحاجة الى شجاعة قيادية.. ويرى هولست انها متوفرة لدى عرفات، وانه قادر على اضفاء الشرعية على اي اتفاق في اوساط الشعب الفلسطيني.

١١ ـ يرى ان النزاعات التي يطول الزمن عليها، تصبح الرموز والشعارات فيها عقبات يصعب ازالتها، وينصح باللجوء الى استعمال بعض التعابير التي تعطي تطمينات للطرف الاخر.. ثم ينتهي بالاشارة الى ضرورة الحديث عن الميثاق الذي يرتعب الاسرائيليون من كثير من بنوده، ويحبذ ان يكرر عرفات تصريحات حول ان الميثاق قد تجاوزه الزمن. (٣)

غادر هولست تونس الى باريس وكتب يوم ١٩٩٣/٧/٢١ رسالة اخرى الى بيريز، وقد تضمنت هذه الرسالة ملاحظات عدة سواء حول لقائه بعرفات او بمقترحات تتعلق باستمرارية القناة ونجاحها.

وقد كرر فيها تلك النقاط التي اثارها في اجتماعه بعرفات. ثم نقل عنه النقاط التالية:

- يعتبر الوصول الى اتفاق اختراقاً تاريخياً.

- وعد بمنع التسريبات التي سبق وان قام بها د. نبيل شعث.

- شدد على مشروع غزة - اريحا شارحاً بالتفصيل وجهة نظره واهمية هذا المشروع لتسويق اعلان المبادئ.

- تحدث عرفات عن علاقاته مع الاردن.

- يعتقد عرفات ان الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي سيفتح الطريق لاتفاقات اخرى مع سورية ولبنان والاردن.

- ركز على حاجته لقوات امن قوية للسيطرة على الموقف في الاراضي المحتلة.

- قبل عرفات فكرة بيان مشترك حول النقاط المتفق عليها، الا ان ابا علاء اعترض وطالب بضرورة الوصول الى اعلان مبادئ.

- قَبِل عرفات بشيء مبهم عن القدس، وعبر عن تفهمه لحساسية الموقف الاسرائيلي نحوها. كما طالب بان يتضمن اعلان المبادئ اشارة ما الى الاماكن الدينية.

- ابدى عرفات رغبته بسرعة الوصول الى اتفاق وذلك بسبب سوء الاوضاع في الاراضي المحتلة، مؤكداً ان السلام ضروري للطرفين، وأن الاسرائيلين والفلسطينين يجب ان يتعلموا العيش سوياً.

- اكد عرفات استعداده لان يكرر قوله حوله انتهاء مفعول الميثاق، الذي سبق ان

قاله في جنيف. وقدم ادلة حول هذا الموضوع من خلال مؤشرات كثيرة منها الاعتراف بدولتين والقبول بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨.(٤)

ان هذه الاتصالات المكثفة التي اجراها الوزير هولست قد تمت قبل شهر واحد فقط من توقيع اعلان المبادئ في اوسلو. وقد ساهمت هذه الاتصالات في حث الطرفين على سرعة انجاز مهمتهما، كما ساهمت في تقريب وجهات النظر. لعبت الامانة في نقل الافكار وفي اختيار المواضيع التي يطرحها مع الجانبين دوراً هاماً في وضع اساس للثقة المتبادلة ومن ثم تعزيز هذه الثقة، التي تعتبر ركناً هاماً ورئيسياً في اطمئنان كل طرف الى نوايا واهداف الطرف الثاني.

كنا قد اشرنا في موضع آخر الى ان الوزير هولست استغل وجود وزير خارجية اسرائيل في ستوكهولم بالسويد وانتقل اليه وكان ذلك في ١٩٩٣/٨/١٧. ومن هناك اجرى اتصالاً معنا وكان يتوسط في الحديث بين الطرفين. ذلك الحديث الذي استمر من الساعة العاشرة مساء حتى الساعة الخامسة صباحاً، حيث انجز كل النقاط الخلافية التي كانت عالقة.

ولم تتوقف مهمته عند التوقيع على اعلان المبادئ، بل تابعها للوصول الى الاعتراف المتبادل، الذي احتاج الى اسبوعين تقريباً لانجازه، والذي تطلب منه التنقل المستمر بين اوسلو وباريس وتونس وتل ابيب، حتى تم التوقيع عليه يوم ١٠/ ١٩٩٣/٩.

كل من تابع عملية السلام والتوقيع عليها في البيت الابيض اعتقد ان مهمة الوسطاء والرعاة وفي مقدمتهم النرويج قد انتهت، لانهم تمكنوا ان يوصلوا الطرفين المعنيين الى الاتفاق، وبالتالي فان كل القضايا المتعلقة بالتطبيق هي شأن من شؤونهما، وهذا ما اكده مراراً الامريكان، عندما كان يطلب منهم التدخل لازالة بعض العقبات، وكانوا يصرون على ان هذا شأن المتفاوضين ويرفضون التدخل.

اما الوزير هولست فقد كان يراقب بدقة واهتمام الاجتماعات التي تجري في طابا ولقاءات القمة التي وقعت في القاهرة بين عرفات ورابين، تلك الاجتماعات

واللقاءات التي كان مصيرها الفشل، الامر الذي اصبح يهدد الاتفاق نفسه، مما جعل هولست يتحرك في محاولة لانقاذ العملية برمتها.

وفي الساعة الثانية من صباح ١٩٩٣/١٢/٢٠ اتصل بي في بيتي من وزارة الخارجية النروجية لابلاغي ان الوزير هولست يريد التحديث اليّ. وبالفعل تكلم الوزير بصوت متهدج متعب لانه كان في ذلك اليوم قد خرج من المستشفى اثر ازمته الاولى، وطلب اليّ الموافقة على عقد اجتماع في اوسلو مع بيريز لانقاذ الاتفاق. وقد الح علي للموافقة الى درجة خجلت منه وخجلت من نفسي.

وفي الساعة الرابعة من صباح ١٩٩٣/١٢/٢٢ اتصل بي تيري لارسون وكنت آنذاك في فندق ريجنسي في الرباط، ليبلغني ان الوزي ادخل مرة اخرى الى المستشفى بسبب الارهاق،ولكن المساعي التي بدأها لعقد لقاء في اوسلو، لا زالت مستمرة ويتمنى ان تتحقق.

وبالفعل لم تتوقف مساعي النرويج حتى تحقق اللقاء الفلسطيني الاسرائيلي في مدينة ساليزبورغ، وجرى بحث العقبات التي تقف في طريق تطبيق الاتفاق، ولم يصل المجتمعون الى نتيجة. فقرروا ان يتابعوا لقاءاتهم في باريس ثم في القاهرة، حيث اجتمعت لجنة المتابعة المشتركة بكامل اعضائها. ومع ذلك لم تصل الى اتفاق نهائي، بل وصلت الى افكار تصلح ارضية للبناء عليها.

وللمصادفة الغريبة وانا اكتب هذا الفصل وأضع لمساته الاخيرة، وفي يوم ١٣/ ١/ ١٩٩٤ تنقل وكالات الانباء نبأ وفاة وزير خارجية النروج يوهان يورغن هولست عن عمر يناهز السادسة والخمسين. (٥)

في ١٩٩٣/٩/١٣ حضر توقيع الاتفاق الذي شارك في صنعه ورعاه في حديقة البيت الابيض. وفي ١٩٩٤/١٢/١٣ كان ينتظر ان يطبق هذا الاتفاق بعد ان بذل جهوداً خارقة من اجل ذلك. وفي ١٣/ ١/ ١٩٩٤ فارق الحياة، تلفه الحسرة والاحباط.

وصلني الخبر فارتج عليّ، وتوقفت عن الكتابة، حيث فرّت مني كل الكلمات والافكار التي يمكن ان اقولها عنه وبحقه. وتجمدت كل احاسيسي عن العمل، لأن الخسارة فاقت التعبير ونابت عنه العبرات.

(١،٢،٣،٤،٥) النصوص مرفقة بالملحق.

الفصل الثامن

قناة اوسلو

بصراحة تامة.. إن القائد الفلسطيني الذي يريد ان يقدم على الدخول في مسار تفاوضي سري، سيوصم بانه يقوم بعمل انفرادي وسيواجه برفض عربي وفلسطيني عنيف، ليس لانه انفراد بالموقف فحسب، بل لانه خروج على المألوف في التعامل مع القضية الفلسطينية التي تعودنا على ان تكون قضية تهم الجميع من حق الجميع ان يدلوا بدلوهم فيها وان يشاركوا في حلها، ان هذا القائد او المسؤول الذي يقدم على هذا العمل بحاجة الى جرأة وحماية وحصانة من نوع فريد، وإلا فان احداً لا يقبل ان يخوض مثل هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر.

لقد حصلت تطورات ايجابية هامة على الوضع الفلسطيني باتجاه الاستقلالية والبعد عن المؤثرات الجغرافية السياسية، تلك المؤثرات التي كثيراً ما جعلت القيادة الفلسطينية تخسر كثيراً من الفرص التاريخية، نتيجة للقيود التي فرضتها تلك المؤثرات. اضافة الى ذلك فان اعتبار فلسطين هي قضية العرب والمسلمين جميعاً، هذا الاعتبار، اتاح الفرصة لكل طرف عربي او مسلم ان يدعي بحصة ما تكبر او تصغر حسب نفوذ هذا الطرف، في رسم القرار الفلسطيني.

ان هذه التطورات التي سنشير اليها لاحقاً لم تمنع - بعد اعلان اتفاق اوسلو - اطرافاً عربية واسلامية من ان تصب جام غضبها الشديد على الفلسطينيين الذي فرّطوا بحقوق العرب والمسلمين في فلسطين. ولو لم تحصل التطورات الايجابية الهامة على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية لكانت ردود الفعل اشد وافعل، ولما كنا خضنا هذه التجربة، وتجرأنا على توقيع الاتفاق. فقد كان من ابرز هذه التطورات، الانتقال من بيروت اثر اجتياح اسرائيل، لقد ادى وجودنا على بعد آلاف الاميال الى صفاء الرؤية لدينا نحو مجمل القضايا الخارجية والداخلية، فانكبت القيادة على اعادة حياكة نسيجها الداخلي، بما يضمن لها الاستقلالية في الموقف والقرار. وفي نفس الوقت الالتفات الى خطوط الضوء المتناثرة في الآفاق والمنبعثة

من الارض المحتلة، للامساك بها وضبط اللحظة التاريخية، التي لاحت من هناك لوضع ملامح الحل السياسي للقضية الفلسطينية.

كسبت منظمة التحرير الفلسطينية معركة الحفاظ على الشرعية بالاغلبية المطلقة. ولكن ذيول المسألة بقيت قائمة لأن الاطراف الاخرى لم تستسلم واصرت على الطعن بالشرعية وتمسكها بالقديم. وجاءتها فرصة مواتية بتوقيع الاتفاق الاردني - الفلسطيني والذي سمي باتفاق عمان في (١٠ شباط ١٩٨٥) والذين صوّروه على انه تسليم للاردن بالقرار الفلسطيني والسعي نحو امريكا للبحث عن حل سلمي معها.

ولم يتفعّل الاتفاق الاردني - الفلسطيني ولم يتمكن هذا الاتفاق من الوقوف على قدميه، حيث ساهم الامريكان في افشاله، مما جعل امريكا تطالب بمزيد من التنازلات، الامر الذي ادى الى تجميده.

وانعكس هذا التجميد على العلاقة الاردنية - الفلسطينية والتي كادت تنفجر باعلان حكومة الاردن فك الارتباط مع الضفة الغربية، الا اننا تمكنا من تطويق هذا الانفجار عندما عالجناه كلانا، بمنتهى الحكمة وبعد النظر.

بداية البداية:

على هامش الاجتماع الذي عقد يوم ٣/ ١٢/ ١٩٩٢ في لندن للجنة القيادة الخاصة بالمفاوضات المتعددة الاطراف، طلب كل من فيصل الحسيني وحنان عشراوي وعفيف صافية ممثل المنظمة في لندن، طلبوا من ابي علاء اللقاء مع يانير هيرشفيلد عضو حزب العمل والاستاذ في جامعة تل ابيب والذي يقدم نفسه على انه مستشار لكل من شمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلي ونائبه يوسي بيلين.

وقد تم اللقاء فعلاً ولم يحضره إلا عفيف صافية حيث انشغل فيصل وحنان. وكانت المرة الاولى التي يجلس فيها ابو علاء وجهاً لوجه مع مسؤول اسرائيلي. فهو على الرغم من انه يقود المفاوضات متعددة الاطراف والاطقم الخاصة بها، إلا

انه وحسب الاتفاق لا يحضر اللقاءات او الاجتماعات لانه له صفة رسمية في منظمة التحرير الفلسطينية، كذلك فان الطرف الاسرائيلي يمنع اي عضو من اعضاء وفده ان يلتقوا بممثلي المنظمة، وهذا ما ينطبق ايضاً على نبيل شعث الذي يشرف على الوفد في واشنطن في المفاوضات الثنائية، حيث لا يسمح له ان يلتقي مع الوفد الاسرائيلي.

وابو علاء عضو في لجنة متابعة المفاوضات بصفته مشرفاً على المفاوضات المتعددة التي لها صفة التخصصية الفنية، وهو يصب كل اهتماماته بها، الا انه لم الماماً كاملاً بما يجري في المفاوضات الثنائية بحكم وجوده في هذه اللجنة، ولكن لا نستطيع ان نقول بانه متعمق باعمالها وتفاصيلها، بخاصة وانه تغلب على صفة اعماله في المنظمة او حركة فتح التخصص الاقتصادي والمالي وما يتفرع عنهما، وهو مكتف بما يقوم به، لأن لجان المتعدد كثيرة وتستغرق جهداً كبيراً لادارتها وتنظيمها وترتيب الدراسات والكوادر اللازمة لها.

لم يكن اللقاء مع هيرشفيلد يحمل طابعاً اقتصادياً او يتعلق بالمفاوضات المتعددة الاطراف، وانما انصب الحديث بشكل مباشر على القضايا السياسية الخاصة بمفاوضات واشنطن، وقد حاول هيرشفيلد ان يعطي الانطباع عن ان اللقاء غير رسمي وانه يتحدث كرجل اكاديمي لا يلتزم بشيء، ولا يلزم احداً بشيء، وانه وان كان قريباً من المسؤولين الاسرائيليين إلاّ انه غير مخوّل وحديثه غير ملزم.

عاد ابو علاء الى تونس وقدم تقريراً مقتضباً لأبي عمار فأحاله عليّ، لنقوّم الموقف ونتخذ القرار المناسب بهذا الشأن، وعندما قرأت التقريرلمعت في ذهني خاطرة تقول بان باباً يفتح لحوار سري، وان هذا الرجل لا يمكن ان يتصرف من ذاته ولا بد ان مكلف من رئيسيه بيريز وبيلين، وانه مرسل لسبر الاغوار وجس النبض، وان هذا الطرف في الحكومة الاسرائيلية يريد ان يفتح قناة غير قناة واشنطن، لاننا نعرف تماماً ان تقسيم العمل في حكومة اسرائيل، ترك لبيريز الاشراف على المفاوضات المتعددة الاطراف بينما احتفظ رابين لنفسه ولمستشاريه الخصوصيين الاشراف المباشر على المفاوضات الثنائية. كنت اعرف سلفاً ان

الدخول في حوار او مفاوضات جانبية مع طرف غير مخوّل رسمياً في الحكومة الاسرائيلية امر محفوف بالمخاطر لانه بالاضافة الى انه لا يلزم هذه الحكومة، فإنه ربما يؤدي الى ردود فعل سيئة ويعتبر لعباً على الحبال وعلى التناقضات الداخلية ويشعل اوار الحر ب والتنافس بين طرفي هذه الحكومة مما يدمر كل شيء.

طلبت من ابي علاء ان يعطيني الفرصة لمزيد من دراسة التقرير الذي قدمه لنا عن لقائه مع هيرشفيلد، حتى اتمكن من اتخاذ القرار المناسب الذي يؤدي الى اقل الخسائر.

في يوم ٧/ ١٢/ ١٩٩٣ التقينا ابو علاء وانا لنناقش الامر بشكل نهائي، ونتخذ القرار الذي كان بالموافقة على متابعة الحوار في النروج حسب اقتراح هيرشفيلد. وذلك ضمن الرؤية التالية:

ان اقتراح النروج دليل على الجدية وذلك لابعاد الحوار عن عيون الصحافة ووسائل الاعلام بالاضافة الى ان مثل هذه البلاد (النروج، السويد، الدانمارك) لا تشكل اية حساسية للامريكان، بل ربما تكون معتمدة من قبلهم، لان طموحات هذه البلاد قليلة وتاثيرها السياسي ضعيف، ومصداقيتها عالية، وقد سبق للامريكان ان اعتمدوا السويد في فتح الطريق لحوار امريكي فلسطيني عام ١٩٨٨، حيث التقى خالد الحسن مع ريتا هاوزر (يهودية امريكية) وعدد من اليهود الامريكان، وأدى هذا اللقاء الى لقاء اخر مع ابي عمار، ثم تبين ان هؤلاء مخولون رسمياً من الحكومة الامريكية لاجراء الحوار برعاية حكومة السويد.

ان اقتراح النروج من قبل الطرف الاسرائيلي يؤكد ان الموضوع قد بحث معه بشكل مسبق، وهذا يعني ان هيرشفيلد لم يأت الى لندن لعقد اجتماع طارئ وغير محسوب ومرتب مسبقاً، بل انه جاء بناء على سابق اصرار وتصميم وتقرير، وان حكومة النروج تسترق السمع بانتظار موافقتنا لبدء الحوار على اراضيها.

لا نستطيع ان نصدق بان هيرشفيلد مجرد استاذ جامعي يبحث عن الحقيقة، فلقد كانت لدينا معلومات كاملة حوله، وقد تعودنا على مثل هذا النمط من

الاتصالات التي تبدأ بهذا الشكل حتى لا تشكل التزاماً لمن يقف وراءها، بخاصة وان اللقاء يتم مع منظمة التحرير الفلسطينية بشكل مباشر، وهذا بحد ذاته لو كشف امره لأسقط حكومة رابين. ولذلك فان هيرشفيلد بقوله انه مجرد اكاديمي، انما ليحمي نفسه ويحصنها ويحمي من يقف خلفه.

اما بالنسبة لنا فان الامر يخلو من اية مخاطر، فنحن لن نخسر شيئاً، لان الحوار معنا ان اثمر نتائج فهذا ما نسعى له، وان كان مجرد «دردشة» فلن يضيرنا ابداً.

ان الاسرائيليين لا يثقون بقدرتنا على حفظ الاسرار، ولذلك علينا ان نحيط الامر هذا بالكتمان التام والسرية الكاملة، وهذا يقتضي بالدرجة الاولى قطع كل الخيوط التي اطلعت على اللقاء الاول والايحاء لها ـ ان سألت ـ بان المسألة غير جادة وبأننا اتخذنا قراراً بعدم المتابعة، وان لم تسأل فعلينا السكوت والصمت.

وفي تونس يجب ان لا يعرف احد على الاطلاق بهذا الامر، ولا بد ان يقتصر علينا ثلاثتنا ـ ابو عمار، ابو مازن، ابو علاء ـ وقد رحب ابو علاء بهذه السرية لانها التجربة الاولى له في لقاء الاسرائيليين، ولأنها محفوفة بالمخاطر ولانه في نفس الوقت يتصف بالكتمان.

تجنب الاتصال بمكتبنا في اوسلو وعدم اشعار العاملين فيه بوجود وفد فلسطيني. واذا صدف وعرفوا فلا بد من الحديث عن متابعة المفاوضات المتعددة الاطراف.

كذلك لا بد من تجنب اطلاع كل الممثليات الفلسطينية في الطريق الى اوسلو مثل جنيف، روما، باريس، ولندن. والاهم من هذا تجنب الاحتكاك بالعاملين بمكتب المنظمة في تونس الذين يستقبلون ويودعون القادمين والمغادرين، ولا يخلو مطار تونس منهم ليلاً ونهاراً. ولا بد من اختراع الاسباب الجاهزة والقصص المقنعة والمرتبة لمواجهة اي مصادفة او سؤال طارئ؟

عندما ابدى ابو علاء تخوفه من ان يكون وحده في الحوار مع الاسرائيليين،

اقترح ان يكون معه حسن عصفور ليتساعد على المواجهة، بخاصة وانه يعمل سكرتيرا للجنة الخاصة بهذه المفاوضات. ولما كان لا يتقن اللغة الانكليزية لا بد ان يكون معهما من يتقنها حتى لا يقعا في مطبات اللغة. لان البحث سيكون سياسياً وقانونياً في آن معاً. وهنا لا بد من الاشارة الى ان حسن عصفور ينتمي الى حزب الشعب (الحزب الشيوعي الفلسطيني) وهو عضو في لجنته المركزية. الا انني كنت مطمئناً تماماً الى اخلاصه في عمله والى انه لا يمكن ان يخلط بين ولائه التنظيمي وولائه الوظيفي، وبالتالي فقد كنت متأكداً من انه لن يفشي اسرار هذه القناة ولو ادي ذلك الى فصله من الحزب.

وقع الاختيار على السيد ماهر الكرد[1] ليكون ثالث اعضاء الوفد حيث يتقن اللغة الانكليزية، وقد عمل مستشاراً اقتصادياً في دائرة ابي علاء، ثم انتقل للعمل مع ابي عمار.

انتقلنا بعد ذلك الى مضمون المفاوضات حيث تساءل ابو علاء... والآن ماذا سنقول؟ وما هي النقاط التي سنتحدث بها وعنها؟ انني لست بالصورة الكاملة لآفاق المفاضاوت الثنائية.

قال هذا من قبيل الاحساس بثقل العبء وعظم المسؤولية التي تلقى على عاتقه لاول مرة، والخوف من الفشل. الا انه في نفس الوقت كان يتمتع بثقة عالية بنفسه وقدرته على النجاح اذا كان التحضير جيداً، والمادة التي سيحملها مقنعة ومنسجمة مع الشرعية، وليست بعيدة عن الواقع.

الوثائق:

عكفْتُ على دراسة الوثائق التي تبادلها الفريقان الفلسطيني والاسرائيلي في

---

(١) لم يكمل ماهر الكرد مسيرة مفاوضات اوسلو،فقد وقع خلاف بينه وبين ابي علاء واستبعد واستعيض عنه بشخص آخر هو «محمد ابو كوش». وقد احضرت الكرد الى مكتبي وحذرته من افشاء اي من المعلومات التي لديه وطلبت منه تسليمي الوثائق فسلمها، وقد تبين أنه حافظ على السر، وكان محل الثقة التامة، ونال بذلك كل التقدير والاحترام.

مفاوضات واشنطن، ثم وضعتها جانباً لأنها قد غلبت عليها الحرفية السياسية وراعت الشكليات اكثر مما راعت المضمون، وقد حاول كلا الطرفين ان يبرز براعته في الصياغة وان يبذل قصارى جهده، لكي يكون الاكثر بلاغة في تفنيد حجج الطرف الآخر، اضافة الى القيود التي كان يشعر كل فريق بها والالتزام في حدودها.

من هنا كان لزاماً علينا ان نفكر بأسلوب آخر لقناة اوسلو، اسلوب يدخل مباشرة الى المضمون والى اطار اعلان المبادئ، والتخلي عن فكرة اجندة العمل المشترك، التي كان وفدنا في واشنطن يتمسك بها، والتي كان يعتقد انه لا بد ان يتم الاتفاق عليها، لكي يبدأ بداية صحيحة. وحتى الجولة التاسعة لم يتمكن من الوصول للاتفاق حولها.

بعد مضي اكثر من سنة على مفاوضات مسار واشنطن، التي اتسمت بالجمود، وجدْتُ انه لا بد من بحث اسلوب آخر للمفاوضات. ووضعت افكاراً يمكن ان تكون اساساً لاعلان مبادئ، واخفيت هذه الافكار حتى يتم بحثها مع وزارة الخارجية المصرية. وبعد ان بحثناها سوياً وجرى عليها بعض التعديلات، طلبت من عمرو موسى ان يعرضها على الاسرائيليين لمعرفة رأيهم فيها، الا ان هذا لم يحصل، واكتفيت برأي المصريين واحتفظت بها للوقت المناسب. وقد تألفت هذه الافكار من عشر نقاط، كانت اولاها نقطة تتعلق بالمرجعية (٢٤٢، ٣٣٨) وقد اقتبستها من اقوال ادوارد جيرجيان الذي كان قد اجتمع بوفدنا إبان وجوده في واشنطن، حيث تعرض وفدنا هناك الى موقف الوفد الاسرائيلي من هذه النقطة بالنقد الشديد، الامر الذي جعل جيرجيان يقترح صيغة، وجدتها مناسبة ومقبولة، ولذلك طلبت من وفدنا ان يتبناها امام الوفد الاسرائيلي، وفي نفس الوقت وضعتها كبداية لافكار اعلان المبادئ.

كذلك حاولت ان اجس نبض وفد يهودي امريكي قدم لزيارتنا مؤلف من ثلاثة اشخاص وهم ستيف كوهين، ودان ابراهام، واوين اوين، وهم من اليهود الذين تربطنا بهم علاقات قديمة تعود الى سنوات، ومن المقربين الى شمعون بيريز وزير خارجية اسرائيل، ويقومون بزيارات منتظمة الى المنطقة ويزوروننا في تونس او

يلتقون معنا في القاهرة، ويزورون شمعون بيريز ومجموعته في تل ابيب. وكثيراً ما كان ستيف كوهن ينقل افكاراً بين تل ابيب وبيننا.

عرضت هذه الافكار بصورة غير مباشرة على هذا الوفد لأستمع الى وجهة نظره، فابدى اعجاباً شديداً بها، وقال انها تصلح لكي يبدأ بها ويبني عليها وبخاصة نقطة المرجعية والامن والكونفدرالية. وقد حاول ان يحصل على نسخة مكتوبة من هذه الافكار، لكنني تمنعت ووعدته بان ارسلها له في وقت لاحق، بعد ان تنتهي وتصبح في صيغة نهائية ومترجمة الى الانكليزية.

وهكذا فقد التقينا ثلاثتنا (ابو علاء، حسن، وأنا) قبل سفر الوفد الى أوسلو بثمان واربعين ساعة، لنضع ملامح ما نريد أن نقول من افكار وآراء ومقترحات، وقد كتبتُ جميع هذه الافكار، وتزود الوفد ببعض محاضر وفد واشنطن للاستئناس بها. وظلت الوثيقة التالية هي الاساس من اجل الوصول الى اعلان مبادئ:

1- The objective is reach a just, Lasting and comprehensive peace settlment, through direct negotiations based on security council resolutions 242 and 338. The negotiations between the Palestinians and Isreal will be contucted in phases, which are however an integral whole.

٢ - نطاق السلطة الانتقالية الفلسطينية تشمل الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، ويتم الاتفاق على بحث الاستثناءات الادارية خلال المفاوضات، على الا تخل هذه الاستثناءات بولاية القرار ٢٤٢، ٣٣٨ ومبادئ القانون الدولي.

٣ - تمارس السلطة الانتقالية الفلسطينية كافة السلطات التي يتفق على نقلها إليها. (مع الاخذ بعين الاعتبار اجراء مراجعة للقوانين المرعية)

٤ - يتم اختيار السلطة الانتقالية بالانتخاب العام والحر المباشر من قبل جميع السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية، بما فيها القدس وقطاع غزة حسب احصائيات ١٩٦٧/٦/٤.

٥ـ تتولى جهات دولية يتفق عليها مراقبة عمليات الانتخاب ونقل السلطة.

٦ ـ تنشأ لجنة ثنائية لبحث القضايا المشتركة ولفض المنازعات (من السلطة الانتقالية الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية)

٧ ـ تشكل لجنة تحكيمية، تحال اليها كافة الامور المختلف عليها من لجنة فض المنازعات، في حالة تعذر التوصل الى حل لها، وذلك من راعيي المؤتمر ومصر والاردن والامم المتحدة، ويضم اليها ممثلان عن السلطة الانتقالية وحكومة اسرائيل، او اطراف اخرى يتفق عليها.

٨ ـ ان قضايا الامن في مفهومها الاستراتيجي والمستقبلي، بما تعنيه من تجسيد لافكار التعايش السلمي في المنطقة تتطلب دراسة منطلقة من توفر النوايا الحسنة لدى كافة الاطراف، والرغبة الصادقة في البحث عن المصالح المشتركة، بما يعطي الامن مفهوماً ايجابياً يجعل الجميع حريصين عليه.

٩ ـ يبدأ الطرفان ببحث المرحلة النهائية بعد سنتين من تطبيق المرحلة الانتقالية او حسب الاتفاق ايهما اقرب، وفي كل الاحوال نبدأ في موعد لا يتعدى بداية السنة الثالثة من هذه المرحلة.

١٠ ـ ودون الاجحاف بالمرحلة النهائية، يتم بشكل غير رسمي دراسة امكانية انشاء اتحاد كونفدرالي للبحث في افضل السبل والوسائل المناسبة لاستقرار المنطقة واشاعة السلام.

اللقاء الاول:

بدأ اللقاء الاول يوم ٢٠/ ١/ ١٩٩٣ وانتهى في ١٩٩٣/١/٢٢، واختار النروجيون مدينة ساريسبوغ التي تبعد حوالي مائة كيلومتر عن أوسلو لتكون بداية اللقاء الفلسطيني ـ الاسرائيلي، وقد حضر اللقاء الأول عن الجانب الاسرائيلي يانير هيرشفيلد ورون بونديك. ولم يوضح الاثنان مدى علاقتهما بالخارجية الاسرائيلية، ولكنهما ألمحا الى ان علاقة ما تربطهما بنائب الوزير يوسي بيلين الذي

شجعهما ودفعهما لعقد مثل هذا اللقاء، وعلى الرغم من هذه البداية الضعيفة، إلا انني دفعت وفدنا للاستمرار والاهتمام، لأن كل البدايات تكون على هذا النحو.

وحيث انها كانت البداية، بما تحمله من رهبة اللقاء، والخوف من المجهول، ويبدو ان كلا الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي حديث العهد بمثل هذه المفاوضات، وحيث ان وفدنا يجلس وجهاً لوجه مع الاسرائيليين، ونظراً لعظم المسؤولية، فقد كتب ابو علاء قبل ان يغادر تونس كل ما عليه ان يقوله. وترك مسألة الترجمة ـ وهو يقرأ بالعربية ـ لماهر الكرد. وقد أحسن أبو علاء صنعاً في الحديث بداية باللغة العربية، حتى لا يترك أي مجال للبس والغموض والابهام لدى الطرف الاسرائيلي، وحتى يتمكن من ان ينقل الرسالة بامانة وبشمولية وبوضوح.

ولكن على ما يبدو فإن الوفد طرح كل الافكار في الجلسة الاولى، واعتبرها كجولة في الافق ليرى انطباع الوفد الاسرائيلي وردود فعله عليها، وبحكم المهنة فقد تطرق ابو علاء الى القضايا ذات الطابع المتعدد بحكم مسؤوليته ومتابعته لوفودنا في المفاوضات المتعددة الاطراف.

وبطبيعة الحال لم يكن هناك تركيز على اية نقطة من النقاط المثارة. كما لم يحصل اي تعميق لأية نقطة، لأن الجلسة الأولى كانت اقرب للتعارف منها الى المفاوضات، وبالتالي فإن التقويم الذي وقع في نهاية الجولة الاولى لم يكن للنقاط المثارة، وانما للجو الذي ساد هذه المحادثات، ودراسة تحليلية لآراء الاسرائيليين.

جعلتنا دراسة المحضر بعناية نستنتج نقطتين هامتين، أولاهما: ان بونديك وهيرشفيلد ليسا بعيدين عن وزارة الخارجية وانهما ليسا مجرد باحثين في المعاهد الاسرائيلية، والثانية ان يوسي بيلين عضو الكنيست ونائب وزير الخارجية الاسرائيلي يدعمهما ويمنحهما تأييده وثقته، وقد أكدت لنا مصادرنا في الارض المحتلة ذلك بعد اتصال سريع معها.

صحيح ان وزن يوسي بيلين لا يعطي اية قناة ثقلا تجعلها قادرة على الاقلاع. ولكنه مؤشر هام الى وجود شمعون بيريز على الخط، غير ان مثل هذا الوجود لازم

وغير كافٍ للاطمئنان.. ومع ذلك سرنا بحماس في هذه القناة. ونثبت هنا المحضر الاول لأهميته:

الجولة الأولى: محضر اللقاء في ٢١/١/ ١٩٩٣ مدينة سايسبورغ:

الحضور من الجانب الاسرائيلي: يانير هيرشفيلد، ورون بونديك.

الحضور من الجانب الفلسطيني: ابو علاء، حسن عصفور، ماهر الكرد.

ابو علاء: نمر في مرحلة مصيرية وهامة تحتاج الى قدر كبير من الشجاعة والاقدام، وكلانا نحن الطرفين بحاجة الى استثمار هذه الفرصة، ولا يخفي عليكم انه إذا فوتناها فهذا يعني مزيداً من الحروب والمعاناة لشعبينا. بالنسبة لنا نحن جادون ونوايانا طيبة، لقد تم اتخاذ القرار الحاسم من جانبنا بالوصول الى السلام. ان حالة الاحباط التي جاءت نتيجة تعثر مفاوضات واشنطن ساعدت المعارضة عندنا لتؤكد وجهة نظرها، ولا اكتمكم فإن حالة الاحباط هذه تعود الى ثلاثة اسباب:

الاول: طبيعة السياسية الاسرائيلية المتوترة والخشنة والتي نرى انه آن الأوان لكي تهدأ.

والثاني: لم تحقق كل المفاوضات اية نتائج ايجابية، بل نشعر بالعكس انها ذات نتائج سلبية.

والثالث: تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمالية في الاراضي المحتلة.

بيدكم إزالة هذه الاسباب ما دامت النوايا صادقة، لقد مررنا بمرحلة صعبة بعد حرب الخليج، لقد أسيء تفسير موقفنا وان كنا قد بالغنا فيه، ولا نخجل من الاعتراف بذلك. الا اننا في هذه الايام بدأنا شيئا فشيئاً نستعيد علاقاتنا مع البلدان العربية. فقد قام أبي مازن بزيارة كلا من قطر والسعودية وعمان. وبطبيعة الحال فإن زيارة ابي مازن مدعومة من قبل القيادة، فقد صدر عن هذه القيادة بمختلف أطرها ما يؤكد ذلك، وأستطيع القول ان علاقاتنا مع اوروبا والدول الاسكندنافية

واليابان في حالة تقدم، أما بالنسبة لامريكا فبعد ان توقف الحوار فانه لم يُستعاد، رغم ان لدينا وعوداً بذلك، اعتقد ان استعادة الحوار مع امريكا سيساعدنا كثيراً في مفاوضاتنا.

لقد برهنا عن صدق توجهنا، عندما قبلنا ان ندخل الى مدريد بشروط مجحفة، وسنظل ملتزمين بالعملية السلمية ما دام هناك امل في تحقيق نجاح، وسنظل نناضل من داخل العملية لتحسين شروط مشاركتنا فيها، ولكن اعتقد انكم توافقوننا باننا في واشنطن قد وصلنا الى مفترق طرق بعد مفاوضات دامت خمسة عشر شهراً، مع العلم ان رسالة الدعوة والتطمينات تشير الى سنة من المفاوضات يتبعها تطبيق حكم ذاتي انتقالي في الاراضي المحتلة، فقد حاولنا جهدنا ان نقدم مقترحات وحلولاً كثيرة لردم الهوة التي بيننا الا اننا لم ننجح، وقد اصبحنا نعتقد ان المعارضة بما تقدمه من حجج وبراهين على ضرورة وقف المفاوضات تكاد تكون صحيحة. ولذلك سأتطرق اليوم لبعض المقترحات.

بالنسبة للمرجعية: لقد تقدم إدوارد جرجيان لوفدنا في واشنطن بمقترح نراه مقبولاً لحل مسألة المرجعية، كذلك لدينا مقترح آخر يمكن ان نتلوه عيكم[٢]، ان الاتفاق على المرجعية سيسهل السير في المفاوضات، ولا بد لي من الاشارة الى ان المرجعية تطبق ايضاً على المرحلة الانتقالية.

نطاق السلطة: يجب ان يكون واضحاً بانها تشمل الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وان اية استثناءات ادارية يمكن ان يتم الاتفاق عليها من خلال المفاوضات، شريطة ان لا تخل بشمولية الولاية وبمضمون القرار ٢٤٢.

الامن: لقد وضعناه اليوم في إطاره السليم بما يخدم مصالحنا ومصالحكم وحاجاتنا وحاجاتكم، وذلك بمفهوم استراتيجي مستقبلي بما يعنيه من طرح افكار للتعايش السلمي في المنطقة والبحث عن المصالح المشتركة، بحيث يأخذ الامن مفهوماً ايجابياً يجعل الجميع حريصين عليه وليسوا مجبرين عليه. اي الامن الذي يجلب المصالح لا الامن الذي يمنع الخوف.

الانتخابات: نفهم ان يشكل المجلس الانتقالي الفلسطيني بالانتخاب العام والحر والمباشر من قبل جميع الفلسطينيين في الضفة والقطاع حسب احصائيات ٤ يونيو/ حزيران ١٩٦٧، ويتولى هذا المجلس التشريع لجميع السلطات التي يتفق على نقلها اليه، آخذين بعين الاعتبار ضرورة مراجعة عامة للقوانين السارية حالياً، وتشرف على هذه الانتخابات جهات دولية متفق عليها.

لا بد لاسرائيل من ان تتخذ خطوات واجراءات لا تكلفها شيئاً ومنها:

١ ـ الخطوة الأولى: حل مشكلة المبعدين، نعتقد ان مبادرة اسرائيل لاعادة المبعدين منذ عام ١٩٦٧ تعطي مصداقية هامة لموقفها، وبخاصة إعادة بعض الشخصيات التي يعزز موقفها عملية السلام.

الخطوة الثانية: لقد آن الأوان لاعادة الاعتبار لدور منظمة التحرير في عملية السلام، بحيث يكون لها دور مباشر يدفعها الى الامام ويسهل اتخاذ القرار في المفاوضات.

الخطوة الثالثة: لا بد ان يصدر موقف من حكومة اسرائيل بوقف الانشطة الاستيطانية للتعبير عن حسن النوايا والاشارة الى عدم الرغبة في التوسع، وكذلك رفع القيود عن الانشطة الاقتصادية وقضايا حقوق الانسان بشكل عام.

الخطوة الرابعة: لقد تحدث رابين وبيريز عن الانسحاب من غزة. لماذا لا يتم الانسحاب منها ما دامت تسبب لكم كل هذا الصداع. إذا تم ذلك سيكون بداية تعاون لأن غزة بحاجة الى مشروع مارشال، ويمكن ان تكون منطقة حرة، وذا ابديتم استعداداً فيمكن ان تمتد المنطقة الحرة حتى اسدود. هذا مشروع تعاون ضخم وهام جداً يمكن ان تقدم دراسات بمنتهى السرية من جانبكم ومن جانبنا ومن جهات دولية ايضاً. هذه الفكرة طرأت الآن لنا ونحن لم نناقشها في السابق. ان حل مشكلة غزة يحل مشاكل اقتصادية واجتماعية. لا أطلب جواباً منكم ولكن عليكم ان تدرسوا

---

(٢)المقترح الوارد في النقاط العشرة التي حملها الوفد معه الى اوسلو والتي تم الاتفاق عليها مع المصريين.

هذه الفكرة للمستقبل، لأنها تمثل احد جوانب التعاون المستقبلي. وعلينا ان نتصور مدي تأثيرها على المنطقة العربية، حيث يمكننا انَ ننشئ صناعات مختلفة مثل صناعة السيارات والصناعات ذات التقنية العالية. ان الانسحاب من غزة ليس صفقة على حساب الضفة الغربية، وأرجو ان لا تفهموها بهذا الاطار ولكنها خطة هامة لدفع عملية السلام ولها تأثير سحري.

ثم انتقل ابوعلاء الى تناول مواضيع المفاوضات المتعددة الاطراف.

في مجال لجنة التنمية: هناك قائمة باجراءات لبناء الثقة في المجال الاقتصادي، ويمكن ان تطرح في لجنة التنمية الاقتصادية، املنا ان لا يعترض الوفد الاسرائيلي عليها، من المفيد لنا ولكم ان تمنح اسرائيل ترحيصات لبنك تنمية، ومعمل اسمنت وميناء غزة التجاري ومشاريع إسكان بما في ذلك القدس.

لجنة المياه: لا أدري ما هو اساس المنطق الاسرائيلي برفض البحث في حقوق المياه لنا، ولماذا ترفضون فكرة تشكيل لجنة حول حقوق المياه؟ إن الفلسطينيين لا يحصلون إلا على جزء بسيط من حقوقهم المائية. لماذا لا تسمحون ببناء قناة الغور أسوة بالقناة الشرقية؟ أصبح ضرورياً رفع الحظر عن تشكيل مؤسسة وطنية فلسطينية للمياه وتجهيزها ودعمها. لو كنت مكانكم لطرحتها في المتعدد.

لجنة اللاجئين: لأسباب عديدة، سياسية وانسانية، لا بد من خلق مناخ ايجابي برفع الحظر عن موضوع جمع شمل العائلات وعودة المبعدين، لكي ننطلق لمناقشة القضايا الاخرى على جدول اعمال هذه اللجنة.

لجنة البيئة: عندما طرحنا موضوع تشكيل مؤسسة لحماية البيئة، اعترض الوفد الاسرائيلي على ذلك ولا يوجد في اعتقادنا ما يبرر هذا الاعتراض.

لجنة الامن: نأمل ان لا تثار مشاكل حول موضوع التمثيل الفلسطيني في هذه اللجنة.

لجنة التوجيه: لا نفهم اسباب معارضتكم لتشكيل لجنة القدس، لأنها في رأينا

ستعمل على خلق جو ايجابي لدى الطرفين، كذلك نرى ضرورة دعوة العراق وليبيا لتكونا جزءا من العملية السياسية.

نقاط اخرى: ماذا عن قناة البحرين، المتوسط والاحمر؟ وماذا عن التعاون في استثمار البحر الميت، معادن، كيماويات، سياحة، ومنطقة حرة في وادي الاردن.

نقطة اخيرة: لقد تحدث رابين عن الكونفدرالية، كخيار مستقبلي، نحن ننظر بجدية الى هذا الطرح، نرغب ان نسمع منكم حول هذا الموضوع.

تلك هي النقاط التي طرحها الوفد الفلسطيني والتي شملت مساً مباشراً لمختلف القضايا الهامة. هذا وقد جرى الحوار التالي بعد ذلك:

يائير هيرشفيلد: اود ان اعبر عن رد فعلي الفوري، ما اسمعه الآن متميز باهمية بالغة فهو يعبر عن التصميم للحصول على السلام، كما يعبر عن عقل خلاق. اذا اردت ان اتحدث عن المسائل العملية اقول لكم، ابدأوا بغزّة، وقوموا بتطوير عدة مشاريع فيها، وأتوقع ان يدفع حزب العمل بهذا الاتجاه حيث تصبح غزة نموذجاً للتعاون الاقتصادي، كما اعتبر ان غالبية الحزب، ستتفهم بأن مثل هذا العمل سينعكس على الضفة الغربية.

اما فيما يتعلق بمقترحاتكم التي استمعنا اليها، فاننا سنقدم تقريراً الى جهاتنا، ونعود اليكم باجوبة وأفكار حول جميع المسائل المثارة، ان صراحتكم ووضوحكم سيساعدنا على مجابهة العديد من المشكلات، وسيمكن رابين من اقناع حزب العمل للقيام بخطوات اكثر سرعة، حيث ان الرأي العام لدينا يتقبل فكرة الانسحاب من قطاع غزة، وأود ان أسأل هل لديكم اقتراح حول جدول زمني فيما يتعلق بالقطاع؟

ابو علاء: ان غزة بحاجة الى توفير الاستقرار والامن والتنمية في اقرب وقت.

هيرشفيلد: كيف سيكون المخرج هنا؟ لمن يتعين علينا ان نعطي المفتاح؟

ابو علاء: يمكن الاتفاق على ذلك، الامم المتحدة، جهة دولية ما، خصوصاً الراعيين.

هيرشفيلد: ما نتوقعه هو ان نعطي المفتاح لكم انتم؟

ابو علاء: سيكون بادرة حسن نية هامة منكم اذا ما قمتم بتقديمها الى الراعيين، ما هو موقفكم من تحويل مائة الى مائتي كيلو متر من قطاع غزة ومساحة اخرى مماثلة من اسدود، الى منطقة حرة مشتركة.

هيرشفيلد: يمكننا القيام بدراسة جادة لهذا المشروع ضمن إطار مؤسسة التعاون الاقتصادي، هل يمكن ترتيب ذلك بطريقة سليمة ومفيدة للطرفين؟ هل من الممكن ترتيب لقاء بين فيصل الحسيني ورابين لبحث هذا الموضوع ثم نتابعه هنا عبر هذه القناة الخلفية؟

لقد قمنا، يوسي بيلين وانا، باعداد دراسة حول الانسحاب من غزة من طرف واحد قبل حوالي سنتين. ووجدنا مساندة قوية ليس فقط من حزب العمل وأنما من الليكود كذلك وبخاصة موشيه ارينز، ان الرأي العام قد أصبح جاهزاً الآن للاستجابة لفكرة الانسحاب هذه.

ابو علاء: وماذا عن المستوطنات في قطاع غزة؟

هيرشفيلد: هذه مسألة بحاجة الى دراسة، ذلك بأنه يمكن مقاربتها من خلال تأثيرها على الملكية اليهودية، والأهم من ذلك ان ما سيتم في المستوطنات في قطاع غزة سيصبح نموذجاً يسترشد به في الضفة الغربية في المستقبل. لماذا لا يتم استخدام المستوطنات في مشروعات مشتركة؟ نعتقد اننا اذا قمنا بالانتقال خارج قطاع غزة فلا احد سيكون بامكانه ان يمنع منظمة التحرير من الدخول اليه، قد نجد طريقة لادماج موضوع غزة في الاطار المرجعي للاتفاقية. ان الاتفاق حول غزة سيقوم بتحديد دور كل طرف من الأطراف، كمايسهل إجراء تعديلات في بنود المرجعية.

ابو علاء: يتم التعامل مع هذه المسألة اي الانسحاب من غزة كقضية منفصلة ولا تجحف بالحل النهائي،وليست صفقة على حساب الضفة الغربية.

هيرشفيلد: نحن نستغرب ان تكون هناك مشكلة حول مصنع الاسمنت لاننانعلم انه قد تمت الموافقة على المصنع، وسنقوم بالتأكد من ذلك.

ابو علاء: هناك معوقات في الاجراءات التطبيقية، خصوصاً ما يتعلق بمسألة فحص التربة والأعمال الجيولوجية والترخيص الذي كان مبدئياً فقط.

هيرشفيلد: بالنسبة لمسألة بنك التنمية الفلسطيني فهناك مشكلات تتعلق بمسألة النقد، فإذا كنتم ستتعاملون بالشيكل فليست هناك مشكلة.

ابو علاء: نريد التعامل بعملات قابلة للتحويل، كذلك نريد مستقبلاً التعامل بالجنيه الفلسطيني.

هيرشفيلد: اعتقد ان بناء سبعة الآف وخمسمائة وحدة سكنية في القدس ستمثل واحدة من اهم اجراءات بناء الثقة.

ابو علاء: الاسكان بشكل عام عملية هامة جداً، وهومحرك الاقتصاد الفلسطيني لما يوفره من فرص للعمل ويخلق صناعات تكميلية. ولكن حتى يكون ذلك عملياً لا بد ان يكون البناء في القدس وعلى الارض العامة.

هيرشفيلد: لماذا تصرون على مسألة حقوق المياه، علماً بانها قضية من قضايا السيادة وتبحث في المرحلة النهائية؟ نحن قد نتمكن من التعاون معكم في زيادة نصيبكم من استهلاك المياه. لكن يتعين قبل ذلك ان نتعاون في مجموعة من المشروعات الصغيرة قبل المياه لكي تتمكنوا من تملك أدوات الادارة الكفؤة. يمكن بحث ذلك الى درجة ما في المتعدد. ولكن أساساً في المباحثات الثنائية.

ابو علاء: تُناقش حقوق المياه، في المتعدد للمرحلة النهائية، وليس من المفيد تأجيل الحديث عنها الآن، اذا نظرنا الى عملية السلام بشكل متكامل فإنه يمكن تسهيل الامور لبعضنا البعض بشكل متبادل في المسارين الثنائي والمتعدد.

هيرشفيلد: بالنسبة الى قناة الغور الغربية، فإن السوريين يستخدمون اكثر من نصيبهم، وقد طلب منا الطرف الأردني ان نساعدهم، وهو أمر وافقنا عليه. ان

مصادر المياه المتبقية لن تكون كافية من اجل قناة الغور الغربية. وبامكانكم ان تطلبوا من إحدى الدول مثل سويسرا او كندا تمويل دراسة لكم لمعالجة مسألة المياه، من حيث تجميع المياه السائلة من سلسلة الجبال المطلة على الغور.

ابو علاء: لا نستطيع ان نتخلى عن حقنا في المياه، إذا كان لدينا فائض سنتفق مع الاردن ومعكم لمصلحة الجميع، ولكن لا نقبل ان يؤخذ نصيبنا عن طريقكم او عن طريق الاردن او سورية. لا نريد لأحد ان يأخذ المياه على حسابنا .

هيرشفيلد: نقترح مدخلاً آخر وهو ان تطرحوا في المتعدد ان يتم تحديد سعر موحد للمياه، بحيث يدفع الفلسطيني نفس السعر الذي يدفعه الاسرائيلي وهذا سيسهم في تحسين الأوضاع، وكذلك يمكنكم انشاء محطة تحلية مياه في غزة، ونحن على استعداد لشراء الكميات الفائضة، وفي نفس الوقت تستفيدون من توليد الكهرباء.

ابو علاء: هذه قضايا تفصيلية على الرغم من اهميتها، فبالنسبة لمحطات التحلية نراها غير مجدية ومكلفة جداً، والاهم هنا هو حقوقنا في المياه، والتي إذا تم الاتفاق عليها، فإن هذا يستتبع بحث إدارتها وتعزيز مواردها، ويمكن ان يتم التعاون بيننا حولها. لا تنسوا ان حروباً قامت بسبب المياه، وربما تكون المياه سبباً محتملاً لحروب في المستقبل. اذا تحقق سلام حقيقي فإن محطة او اثنتين تعملان بالطاقة النووية تمول من قبل الدول المعنية باستقرار المنطقة، تستطيع ان تشكل اهم مصادر وموارد المياه، طبعاً تكلفتها عالية(١٠ مليار دولار).

هيرشفيلد: ان موقفنا بالنسبة لجمع شمل العائلات هو ان تبحث في المفاوضات الثنائية،لأن طرح مثل هذه المسألة في مجموعة عمل اللاجئين في المتعدد ترمز الى حق العودة، وانتم تعلمون مخاوف الاسرائيليين من نتائج ذلك ، وما تعنيه العودة الى حيفا ويافا. وهذا سيؤدي الى عدم الاستقرار. بعد التسوية النهائية وبعد الانسحاب الاسرائيلي ستصبح مسألة حق العودة مشكلتكم انتم. يمكن التعامل مع «جمع الشمل» في إطار الثنائي ضمن خطوات بناء الثقة، وفي هذه الاثناء تبحث

مجموعة اللاجئين في المتعدد تحسين أوضاع اللاجئين، وذلك الى حين التوصل الى التسوية النهائية.

ابو علاء: نحن ننظر الى العملية، كعملية واحدة بشقيها، لأن التقدم في مسار يساعد على التقدم في المسار الآخر، ورغم ان الثنائي هو مركز العملية، إلا ان القضية هذه موجودة على أجندة المتعدد، فهناك قرار خاص بذلك في مجلس الامن وهو ٢٣٧. بينما يتحدث القرار ١٩٤ عن حق العودة. لو كنا مكان الحكومة الاسرائيلية لقمنا بمبادرة بناء الثقة والشروع في عملية جمع شمل العائلات، ولا نرى ما يبرر تردد الحكومة الاسرائيلية في هذا المجال.

هيرشفيلد: من الممكن تسهيل عملية جمع شمل العائلات، بأن تتقدموا بمجموعة من المشروعات التي تتطلب اختصاصين. والقول بأن بعض مقدمي طلبات جمع الشمل هم من يمكنهم ان يساهموا في انشاء هذه المشروعات.

ابو علاء: ان مجموع الطلبات المقدمة الى الصليب الاحمر لجمع شمل العائلات تفوق الخمسين الفا وجميعهم لهم الحق بالعودة وفق القرار ٢٣٧.

هيرشفيلد: بالنسبة لتشكيل مؤسسة وطنية فلسطينية لحماية البيئة فلا نرى في تشكيلها أية مشكلة، وساقوم بمراجعة يوسي سريد وزير البيئة في هذا الخصوص. اما بالنسبة لتشكيل مجموعة عمل للقدس، فنحن بصراحة لا نفهم موقفكم ولا نعرف أسباب رغبتكم. ستحاول بعض الأطراف المشاركة في هذه اللجنة ـ ان شكلت ـ ان تتطرق إلى مناقشاتها، هل نحن بحاجة الى السوريين أو السعوديين؟ يمكننا اجراء محادثات غير رسمية بأشكال مختلفة حول القدس، وانتم تلاحظون ان هناك خطوات كبيرة ولكنها غير مباشرة. نحن نقدر أن هناك ضرورة للتوصل الى وضع خاص بالقدس. على سبيل المثال... الوضع الخاص لقصر الشرق (مقر الوفد الفلسطيني) والاسكان في القدس، والمؤسسات وغيرها. ولذلك لنبحث هذه المسألة في الثنائي ولا داعي للتدويل. بالنسبة لنا يتعين ان تبقى القدس موحدة، وفي نفس الوقت فاننا نفهم ان فلسطيني القدس لا ينبغي لهم ان يصبحوا

جزءاً من اسرائيل، كما نفهم اهمية القدس بالنسبة لكم. وخلاصة القول نحن مستعدون للحديث عن القدس ولكن... ليس في المتعدد الاطراف.

ابو علاء: إذن، ليكن الحديث عنها في الثنائي ونشكل لها لجنة غير رسمية.

هيرشفيلد: في هذه الحالة فإن الحكومة الاسرائيلية سوف تسقط فوراً، خصوصاً وان «شاس» سوف تخرج منها بدون نقاش. لنا ملاحظة اخيرة تتعلق بتشكيل التمثيل الفلسطيني في لجنة الامن التابعة للمفاوضات المتعددة الاطراف، نرجو ان لا يجري أي تعديل على صيغة هذا التمثيل، وأعتقد انكم تتفهمون موقفنا.

الجولة الثانية: ١٩٩٣/٢/١١

لقد لاحظنا ان الجولة الأولى كانت تتناول أبحاثاً مختلفة وقضايا عديدة. بحيث يجري مسّ لهذه القضايا واستعراض لجس النبض دون التركيزعلى مواضيع معينة، الا ان النتيجة التي توصلنا إليها تعطينا الانطباع بضرورة التواصل. وتشير في الوقت نفسه الى ان الخطوط الحمراء الاسرائيلية تكاد تكون باهتة، الامر الذي يجعل وفدنا قادراً في الجولات القادمة على طرح كل المواضيع التي نراها ضرورية لتشكيل هيكل إعلان المبادئ.

وقد قمنا بتحليل كل كلمة في محضر الجلسة الاولى، لنستنتج خلاصات تفيدنا في الجولات القادمة، والتركيز على ما يمكن التركيز عليه في هذه المرحلة، وقد لاحظنا ان معظم البنود الاساسية التي يمكن ان تشكل إعلان مبادئ قد تم التطرق اليها، الا انها بحاجة الى مزيد من الحوار لصقلها وتثبيتها.

إلا ان المشكلة التي كانت تشغل بالنا، هي الى اي مدى يمثل هؤلاء المفاوضون الاسرائيليون المؤسسة السياسية الاسرائيلية. وهل هم قادرون على الالتزام بما يتم الاتفاق عليه؟ ومن ثم هل هم قادرون على تسويقه في الدولة؟

ان نقطة الضعف الاساسية في هذه القناة هي انها سرية، وهذا يعني ان الاسرائيليين يستطيعون انكارها بالكامل، او يستطيعون ان يكشفوها وبالتالي

يجهزون عليها. اما نقطة الضعف الثانية فهي عدم اعتراف الوفد الاسرائيلي بأنه يمثل جهة رسمية، وإن كان يشير في اكثر من مكان الى ارتباطات او علاقات مع هذه المسؤول او ذاك. ان ما كان مؤكدا هو انهما ينتميان الى حزب العمل وانهما ليسا بعيدين عن يوسي بيلين نائب وزير الخارجية، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت هذه الهواجس تلاحقنا طيلة الجولات الثلاثة التالية والتي لم يشارك فيها من الطرف الاسرائيلي سوى مائير هيرشفيلد ورون بونديك.

كان الحوار مطولاً ومفصلاً، واحياناً مكرراً، لاغناء النقاط التي وردت في البداية، او لطرح افكار جديدة، الا ان الجدير بالذكر ان الثقة والتفاهم تعمقتا شيئاً فشيئاً بين الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني، وبدأت الأمور تأخذ منحى الجدية والاصرار للوصول الى نتائج ايجابية.

بدأت الجولة الثانية يوم الخميس ١٩٩٣/٢/١١ بحديث من قبل الطرف الاسرائيلي.

يائير هيرشفيلد:

اود ان اتحدث عن موضوع المبعدين، لقد توصلنا الى تفاهم مع الولايات المتحدة. في الواقع، رابين فقد ماء وجهه في اسرائيل، علينا ان نبحث عن اتفاق لا يخسر فيه احد، فهل هذا ممكن؟ مثل هذا الاتفاق سيحسن من وضع الطرفين، وفي الواقع فإن الهجوم المتكرر علينا والموجه من بطرس غالي ومنظمة التحرير يزيد من صعوبة وضعنا.

تحدث رابين في جلسات خاصة عن خطر استيلاء الاخوان على الاردن، ويبدو ان الموقف الايراني ينال تدريجياً المزيد من الشرعية نتيجة اهتمام الشركات الغربية الاستفادة من الفرص الاقتصادية المتاحة عبر التعاون الغربي مع الاردن.

اما بالنسبة لموقف امريكا حالياً فإن نظرتنا ترتكز على الملاحظات التالية:

- يركز الرئيس كلينتون على الشؤون الداخلية، وهذا يعني انحسار الدفع الامريكي لتوجيه السياسة الخارجية.

- من الواضح ان قوى التحالف الغربي التي كانت مع الولايات المتحدة التي عبأتها في أزمة الخليج، قد اخذت تتداعى وتتفرق.

- يمكن إعطاء دفع لحركة الولايات المتحدة باتجاه عملية السلام من خلال قيامنا سوية باحراز تفاهم مشترك.

لقد تلقينا منكم رسالة سلام، هذه الرسالة هامة في التأثير على التفكير السياسي لدينا. ونحن من طرفنا سعينا الى هذا اللقاء الثنائي برسالة سلام من جانبنا.

نحن نشعر اننا بحاجة الى إحراز تقدم كبير في المفاوضات والى تحسن ملموس للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة والقطاع. إلا ان الامر في البداية يتطلب القاء نظرة على القنوات المتاحة امامنا وهي النروج، فيصل وحنان، سري نسيبة. نحن بحاجة الى قناة سياسية تؤثر على الوضع الداخلي في اسرائيل، إلا ان كل هذه القنوات يجب ان تصب في القناة الرسمية وتقدم لها محصلتها.

سيعود شمعون بيريز وروبنشتاين من واشنطن لاعادة تقييم المفاوضات مع الفلسطينيين، وهذا التقييم سيكون شاملاً، الا ان من الواضح ان اسحاق رابين لا زال يفضل استمرار عقد المفاوضات الثنائية في واشنطن.

وهنا لا بد لي من ان اوضح لكم بعض ملامح سياساتنا الجديدة التي تتمحور حول ضرورة تحسين الاوضاع في الضفة وغزة. حتى لو أدى ذلك الى آثار سلبية على الاقتصاد الاسرائيلي. ولقد أعلن بيريز رسمياً بأن اسرائيل لا تريد إلحاق الضفة وغزة بها حيث قال: «انه بعد إحلال السلام فانه يمكننا ان نفكر في الكونفدرالية». وجانب آخر هام، يتمثل في استعداد اسرائيل لتخصيص المزيد من اراضي الدولة لاغراض التنمية الخاصة بالفلسطينيين، ونحن نؤمن انه كلما اسرعنا في التوصل الى تفاهم مشترك، كلما كان ذلك افضل لنا ولكم وللامريكيين. ولذلك فاننا نريد ان نبحث معكم اليوم كيفية حل بعض المعضلات والتوصل الى تفاهم.

مداخلة من عضو الوفد الاسرائيلي رون بونديك:

ان الحكومة الاسرائيلية ستقوم بإحداث تغيير جوهري في هيكل الدعم المقدم للمستوطنات، وبالفعل فقد أخذت الحكومة قرارها بخصوص سياسة جديدة تقوم بموجبها بزيادة الدعم للمستوطنات والقرى داخل اسرائيل، وذلك على حساب المستوطنات في الضفة وغزة. وجانب اخر من السياسة الجديدة، يتركز على اعطاء فرص النجاح لممارسة الـ (ISGA) الاقتصادية بصرف النظر عن تأثيرات ذلك سلبياً على اقتصادنا، والهدف من وراء ذلك هو اعادة احياء اقتصاد غزة والضفة، وقد تم في هذا الصدد اتخاذ الخطوات التالية:

١ ـ اعفاءات ضريبية لمدة ثلاث سنوات للمشروعات الصناعية الجديدة.

٢ ـ تشجيع قيام فلسطينيين من الخارج بالاستثمار وذلك عبر منح المستثمرين من الخارج إذن دخول لمدة سنتين في مجال الصناعة والاسكان، وحتى تاريخه فقد استفاد اربعون شخصاً من الخارج من هذا الاجراء علماً بانه لم توضع اية حدود او قيود على حجم الاموال الداخلة او على مصادر هذه الاموال.

٣ ـ تشجيع التصدير المباشر.

٤ ـ الموافقة على انشاء مكتب مستقل لممثلية السوق الاوروبية في القدس الشرقية.

٥ ـ تم الغاء جزء من الرسوم الجمركية على الجسور فيما يتعلق بالصادرات الى الاردن.

٦ ـ الموافقة على انشاء ثمانية مناطق صناعية. خمس منها في غزة وثلاث في الضفة الغربية، وستقام جميعها على اراضي الدولة.

٧ ـ تمت الموافقة على منح تراخيص لمشروعات جديدة: ٩٠ في غزة و١٠٨ في الضفة.

٨ ـ لقد تسلم مجلس ادارة مصنع الاسمنت رسالة رسمية بالموافقة وبإذن

للحصول على ١٥٠ الف دولار من فرنسا لاجراء دراسات.

٩ ـ تم منح تراخيص اقامة مطحنة في غزة او رام الله.

١٠ ـ تمت الموافقة على منح موافقة لافتتاح سبعة فروع جديدة لبنك القاهرة ـ عمان، وكذلك الموافقة على فرع جديد لبنك فلسطين (غزة).

١١ ـ اعطيت الموافقة لافتتاح شركتي تأمين جديدتين، وسيتم الاعتماد الرسمي لها خلال اسبوعين.

١٢ ـ تمت الموافقة على إقامة، من حيث المبدأ، مشاريع إسكان على اراضي الدولة.

وتابع بونديك: في حديث لرئيس غرفة التجارة الاسرائيلية بعد لقائه مع سعوديين وقطريين، اكد على ضرورة تشجيع التنمية الاقتصادية في الضفة والقطاع وذلك لاقامة اقتصاد اسرائيلي ـ فلسطيني موحد، بحيث لا تنشأ حواجز جمركية، وبحيث يتم التكامل بين الاقتصادين الفلسطيني والاسرائيلي.

وبهذه المناسبة فقد قامت لجنة من الكنيسة بزيارة قطاع غزة، ودعت بعد الزيارة الى تغيير جوهري وليس تغييراً تدريجياً في الاوضاع الاقتصادية. واقترحت تقديم تمويل للاستثمارات من الخارج والاموال الفلسطينية من الداخل والموجودة «تحت البلاط».

واخيراً ـ اضاف بونديك ـ اود ان اقول بان التفكير في اسرائيل إزاء الضفة الغربية وقطاع غزة يمر في تغيير جوهري.

ابو علاء: ان عملية الابعاد وضعت مسألة السلام على حافة الانهيار. ومن المؤسف ان المجتمع الدولي مشغول بالابعاد ولا يتابع المفاوضات. ان ارسال وفود للمفاوضات بشقيها الثنائي والمتعدد اصبح امراً يكاد يكون مستحيلاً، خاصة وان تركيبة الوفود التي فرضتها صيغة مدريد تنشئ صعوبات، لأن الوفود تعيش تحت الاحتلال من جهة، ومن جهة اخرى يقفون تحت ضغط الشارع.

اما بالنسبة للموقف الامريكي فاننا نشعر ان مسؤوليتنا متابعته، حيث يبدو كأن امريكا تتملص من اهتمامها بالسياسة الخارجية وتركز على اوضاعها الداخلية، وهذا يُعيد الامور الينا نحن الطرفين. ان امريكا لن تكون ضدنا، بل ستؤيدنا لأنها سترتاح من مشكلة معقدة، لذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو مدى جديتنا نحن في الوصول الى اتفاق.

ان الوصول الى اتفاق حول «اعلان مبادئ» يشكل اختراقاً كبيراً، اذا اردنا ان ننظر الى المستقبل والتعايش والاستقرار. لذلك فإن الاتفاق هو عملية تعبئة للرأي العام تعيد للأذهان اجواء مدريد. قد لا نستطيع من خلال مفاوضات واشنطن الوصول الى ذلك، لكن عبر القنوات الخلفية قد نصل، ولذلك بلا بد ان تأخذ هذه القناة مصداقيتها. نحن نتحدث ـ كلانا ـ بصراحة تامة، فإذا لم نكن مدعومين من القيادتين تصبح الامال ضعيفة. ولكن لا بد ان يكون حديثنا بلا حدود ولا خطوط حمراء. لذلك فإني اخشى ما أخشاه انه اذا لم تكن القيادة الاسرائيلية على اطلاع كامل، فإن لقاءاتنا ستكون مضيعة للوقت. لقد حان الوقت لكي تعطى هذه القناة ما تستحق من عناية ومتطلبات النجاح. ويمكن ان يتفرع عنا قنوات فرعية لمواضيع مختلفة. لقد سمعنا ما قاله رابين بأنه يمكن ان يستغرق الاتفاق مع الفلسطينيين من خمس الى عشر سنوات. ارجو ان تعرفوا انه لاسلام بدون السلام مع الفلسطينيين لأن المشكلة الفلسطينية هي أساس الصراع في منطقة الشرق الاوسط.

لقد تحدث «بونديك» عن وقف الدعم او تخفيضه بالنسبة للمستوطنين. نحن نعتقد ان اهم خطوات بناء الثقة تنطلق من وقف العملية الاستيطانية. نحن لا نطلب إعلان ذلك.

يانير هيرشفيلد: يوجد تفاهم حول إحراز تقدم في اللقاء الماضي، وقد تمكنا ان نفهم منكم رسالتين:

ـ انتم تريدون عملية السلام، ولكن في نهاية المطاف لن تنشأ دولة الآن، وانما تترك للتطورات اللاحقة، كما ان دور المنظمة سيكون مباشراً وعلنياً بعد سنوات.

- انكم تتفهمون الصعوبات التي نواجهها، وانكم على استعداد لابداء بعض المرونة لانجاح العملية، الامر الذي يعني انكم على استعداد للنزول تحت الماء ثم الصعود تدريجياً في فترة لاحقة.

ابو علاء: أرجو ان أؤكد على انه سينشأ مجلس فلسطيني مؤقت عن السلطة الفلسطينية الانتقالية، ومن المفهوم ان الترتيبات الانتقالية تمثل جزءاً لا يتجزأ من العملية بمجملها والمؤدية الى تطبيق القرارين ٢٤٢ و٣٣٨. كذلك فنحن نرى ان الانتخابات يجب ان تكون مباشرة حرة وعامة وتجري تحت اشراف دولي، ويشارك فيها جميع الفلسطينيين من الضفة والقطاع وفقاً للسجلات السكانية كما كانت في سجل ٤ يونيو/ حزيران ١٩٦٧ بما في ذلك القدس الشرقية.

يانير هيرشفيلد: بالنسبة للاشراف الدولي على الانتخابات، فقد قال بيريز لفيصل الحسيني بأن الانتخابات التي جرت عام ١٩٧٦ كانت عادلة وكانت نتائجها انتخاب رؤساء بلديات موالين للمنظمة. ومن جهة اخرى فإن وجود الصحافة الدولية كافٍ، فعلى سبيل المثال، اعتقد بأن «بربارا والترز» اكثر اهمية من جيمي كارتر، اما الاشراف الدولي على الانتخابات فانه سيفسر على ان وضعنا مثل وضع الفيليبين، وفيمايتعلق بسجلات ٤ يونيو/ حزيران ١٩٦٧، فلا تتوقع منا ان نقبل وجهة نظركم، أما بالنسبة لمشاركة القدس في الانتخابات، فأرجو ان تفهموا ان موضوع القدس مفتوح للنقاش. ولكن نرجو ان تبدأوا ببحثه بعد الانتخابات.

ابو علاء: رسالة التطمينات الامريكية اكدت على مشاركة سكان القدس.

يانير هيرشفيلد: إذن.. خذوا موضوع مشاركة القدس من الامريكيين مباشرة وليس منا. اذا تصورنا وضعاً تقوم فيه حكومتنا بالموافقة على مشاركة سكان القدس في الانتخابات فانها ستسقط حتماً. نحن نعتقد اننا يجب ان نصل الى ترتيب تتمكن فيه القيادات الفلسطينية في القدس من ان تنتخب وعلينا ان نرتب ذلك بطريقة يمكن تمريرها بدون نشوء معارضة اسرائيلية قوية لها.

ابو علاء: لا نستطيع التوصل الى اية اتفاقية حول إعلان المبادئ بدون ذكر القدس.

رون بونديك: كيف يمكن ان نمرر موضوعاً كهذا على حزب شاس؟ عليكم ان تدركوا ان بامكان شاس اسقاط الحكومة اذا ما انسحب منها. ولذلك فإن مشاركة القيادت الفلسطينية المقدسية يمكن ترتيبها من خلال رام الله او غيرها. ان هذه المسائل الاجرائية بالغة الحدة. وهناك قانون انتخابي يقول« التصويت من أقرب مكان متاح». وبمجرد ان نعمل وفق اقتراحكم بأن المشاركة في الانتخابات ستكون وفقاً لاحصائيات ٤/٦/١٩٦٧ فان ذلك سيفجر الحكومة حول قضية القدس.

ابو علاء: نطرح مسألة اخرى وهي نطاق السلطة، حيث انها قضية مفصلية وبالغة الاهمية، هذه الولاية يجب ان تشمل جميع الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، مع استثناءات إدارية لكم خلال الفترة الانتقالية.

يانيرهير شفيلد: ان موضوع الولاية الكاملة على الأرض، مسألة غير ممكنة على الاطلاق خلال المرحلة الانتقالية، لأنها تخص المرحلة النهائية.

ابو علاء: نحن نفهم ان المرحلة الانتقالية ضرورية لبناء الثقة بيننا تمهيداً لتحقيق السلام في الوضع النهائي. ولكن لان نقبل عدم وجود نطاق للسلطة على الارض في المرحلة الانتقالية.

يانير هيرشفيلد: لقد تحدثنا عن انشاء سلطة للاراضي خلال المرحلة الانتقالية. هذه السلطة ستتولى الاشراف على أراضٍ يتفق عليها.أما نشر الولاية على جميع الاراضي فهو اكثر الموضوعات صعوبة لأنه يقودنا الى معالجة موضوع المستوطنات والقدس الشرقية، فلنبدأ بما هو ممكن. اما فيما يتعلق بالوضع النهائي فإن مفاوضاتنا ستنحصر في موضوع واحد. نحن نقول: انسحاب من اراضٍ.. وتقولون انتم انسحاب من الاراضي. هذا هو موضوع الحل النهائي، وبالتالي فانه لا يمكن الاتفاق عليه الآن. ان اقتراحكم بنشر الولاية على جميع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ يعني افتراض الاتفاق من الآن على موضوع مفاوضات الوضع النهائي.

وفيما يتعلق بالانسحاب من غزة، نود ان يبدأ الانسحاب مع بدء المفاوضات حول الوضع النهائي. وبالنسبة للتحكيم فهذا موضوع بالغ الصعوبة. اذا فتحنا المجال للتحكيم فستتوقف المفاوضات، وذلك عندما تحيلون كل قضية نختلف عليها

الى التحكيم. ينبغي للتحكيم اذا ما قُبِل به ان يكون محصوراً بشكل واضح بقضية او قضيتين على الاكثر.

ويختتم هيرشفيلد كلامه بالحديث عن المستوطنات فيقول: لقد قمنا باعداد تعهدات كتابية يوقع عليها المستوطنون بحيث تنحصر مطالبتهم بالتعويض عن مساكنهم، في حالة خروجهم منها، بالتكلفة الفعلية التي تكبدتها الحكومة لانشاء تلك المنازل في المستوطنات، وذلك تجنباً لتكرار تجربة تلك التعويضات التي طالب بها وحصل عليها المستوطنون لدى انسحابهم من مستوطنات سيناء.

الجولة الثالثة: ١٩٩٣/٣/٢٠

ركزت الجولة الثانية على مواضيع اساسية في إعلان المبادئ، مثل المرجعية والمجلس والانتخابات والقدس والولاية الجغرافية والحديث عن الانسحاب من غزة وكذلك التنمية الاقتصادية، وبهذا بدأت تبرز معالم النقاط الاساسية لاعلان المبادئ. وقد فتحت الابواب لوضع مسودة او اكثر لهذا الاعلان. وهكذا فإن جولتين فقط كانتا كافيتين لوضع النقاط على الحروف والدخول الى صلب الموضوع دون اضاعة الوقت بالشكليات التي صرف من اجلها ساعات طويلة واياماً اطول دون طائل.

كان هم وفدنا ان يتأكد من ان هذه القناة تحظى بدعم الحكومة الاسرائيلية لسببين، اولهماهو الاطمئنان الى ان الحديث مع هؤلاء الاسرائيليين ليس عبثاً والثاني ضبط الاتصالات لان هناك محاولات كثيرة، اشرنا إليها في اماكن اخرى، لفتح قنوات حوار معنا، وبالتالي الغاء اية محاولات من طرف اسرائيليين آخرين للتحدث معنا عبر قنوات جديدة.

فيما عبر الطرف الاسرائيلي عن سعادة المسؤولين برسالة السلام التي حملها وفدنا وقرأها عليهم. تحدث الاسرائيليون عن قرب تحقيق نقطة تحول جدية تنقلنا من حالة العداء الى حالة الصداقة والتعاون. وأكدوا على ان الاولوية لديهم هي للمسار الفلسطيني ثم المسار السوري ليكون للسلام قدمان يساند أحدهما الأخرى، مشيرين الى ان دخول سورية إلى السلام سينهي المعارضة الفلسطينية المتمركزة

في دمشق. وتحدثوا عن دور الولايات المتحدة وزيارة كريستوفر الى القدس ومفاوضاته مع فيصل حول مسألة المبعدين، وقالوا: «اننا نشعر انكم لم تستفيدوا من بعض الفرص المتاحة امامكم» فعلى سبيل المثال كان كتاب الدعوة الموجه من الراعيين للمشاركة في المحادثات الثنائية للجولة التاسعة القادمة يشتمل على نص واضح بخصوص قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، وكان بامكانكم الاستفادة من ذلك بطريقة أفضل، لقد ارتكبتم خطأ في عدم اتمام الاتفاقية مع كريستوفر عندما جاء الى القدس. ونؤكد هنا على اننا أبلغناهم بشكل كامل من جانبنا حول قناتنا هذه، كما أبلغهم النرويجيون بشكل أقل تفصيلا. وبالنسبة للقدس فهناك جانبان في موقفنا، أحدهما سلبي، حيث أن حكومتنا شديدة الحذر بالنسبة لها ومن الصعب عليها ذكر كلمة القدس في أي مجال من مجالات التفاوض معكم. اما الثاني فهو ايجابي حيث بامكاننا سوياً ان ننسق معاً من اجل اتخاذ اجراءات كثيرة لصالحكم في القدس، لأننا ندرك تماماً ان علينا ان نتفاوض حولها. ومن الدلالات الهامة ما يتعلق بقصر الشرق. (الاورينت هاوس)

ويتابع الوفد الاسرائيلي حديثه، حيث يتناول موضوع الاتصالات الكثيرة التي بدأت تبرز من خلال مسؤولين اسرائيليين كثيرين يرغبون في فتح قناة مع منظمة التحرير. فاكد الوفد الاسرائيلي بانه لا يمانع في الاتصال هذا ولكنه يرغب ان يتم التنسيق عبر قناة اوسلو. وهذا في الواقع رفض مهذب لفتح مثل هذه القنوات واشارة واضحة الى ضرورة عدم التعامل معها.

هذا وقد كان الوفد الاسرائيلي حريصاً على الوصول الى وثيقة متفق عليها لأنها ستحقق الاختراق المطلوب. وفي هذه الحالة فانه يرى ان الولايات المتحدة ستتشجع للمشاركة. اما وفدنا فقد اكد على ضرورة مشاركة المصريين الذين بدأوا يطلعون اولاً بأول على الوثائق، وان المطلعين منهم هما عمرو موسى وزير الخارجية والدكتور اسامه الباز مستشار الرئيس مبارك للشؤون السياسية. ثم عاد وفدنا يقول بأنه لا يمكنه التوقيع على اية اتفاقية دون النص على القدس. وهنا جرى الحوار التالي:

يائير هيرشفيلد: علينا ان نجد طريقة لتمرير ذلك (القدس).

وعلينا ان نجد لغة خاصة عند الحديث عن القدس.

ابو علاء: بالنسبة للقنوات الاخرى (المقترحة) فنحن سنركز اتصالاتنا الآن على هذه القناة، وكذلك يمكن تنسيق ما يتم في ندوات الامن وغيرها عبر نفس القناة ومن اجل خدمتها.

يائير هير شفيلد: بالنسبة للانتخابات اريد ان اركز على دور الخارج، باعتبار ان الخارج هم شركاء المستقبل. ولتبدأ عملية عودة اشخاص من الخارج وذلك للمشاركة في الانتخابات القادمة. يمكن للقيادة ان ترشح اشخاصاً من الخارج للعودة والمشاركة في الانتخابات، وسيكون مما يساعد على تحقيق مصالحنا المشتركة عودة مرشحين اقوياء من جانبكم، على سبيل المثال يمكنكم اختيار ترشيح خمسة اشخاص ليصبحوا اعضاء في المجلس الانتقالي مثلا: ابو مازن، ابو علاء.

ابو علاء: بالنسبة للانتخابات من الضروري ان تشمل النقاط التالية:

- مشاركة جميع المواطنين المسجلين في الضفة والقطاع والقدس في ١٩٦٧/٦/٤

- مشاركة القدس (ترشيحاً وانتخابات) ومن الممكن ان تتم الانتخابات في الاقصى وكنيسة القيامة.

- الاشراف الدولي على الانتخابات.

يائير هيرشفيلد: لا نستطيع ان نقبل بالاشراف الدولي، يمكننا ان نضمن انتخابات حرة كما تعرفون من تجربة ١٩٧٦ نحن نفضل ان يكون هناك اشراف فلسطيني مستقل على الانتخابات. واصراركم على المواطنين المسجلين في ١٩٦٧/٦/٤ مثلاً، قد يكون ابو مازن غير مسجل في الاحصائيات.

ابو علاء: في مجال المناقشة حول بند نطاق السلطة ما الذي تريدونه حقيقة؟ هل تريدون فترة انتقالية لاختبار حسن النوايا؟ ام انكم تريدون فرض الامر الواقع

والالحاق؟ اذا كان الامر كذلك فهذا سيدمر عملية السلام. ولن يكون هناك حل. ولا احد يستطيع ان يتنبأ بطبيعة المتغيرات القادمة ومخاطرها. ولن يكون هناك سلام حقيقي دون حل مرضٍ للفلسطينيين. واذا كانت حساباتكم الامنية بأن الجيوش هي التي تشكل خطراً، فنحن في المعدة الاسرائيلية وهذا خطر لا يقل عن المخاطر من الجيوش العسكرية.

يائير هيرشفيلد: ان حدود السيادة الاسرائيلية اليوم هي الخط الأخضر. وهذه الحكومة لا تريد الالحاق. في مفاوضات الوضع النهائي، سيتم تقرير حدود آمنة ومعترف بها، والتي ستشمل تغييرات في بعض الاراضي. هذا هو القرار ٢٤٢ اي «الارض مقابل السلام» فاذا قمنا بتوقيع إعلان مبادئ مثلاً في يوليو/ تموز سنة ١٩٩٣ فسنبدأ مفاوضات الوضع الدائم في يوليو/ تموز ١٩٩٥. وسيكون موضوع المفاوضات نظاماً جديداً كاملاً في منطقة الشرق الاوسط بما في ذلك خيار الكونفدرالية. هذا وان الانسحاب من غزة سيعطيكم ما تريدون. فبامكان كل من هم في تونس الانتقال الى غزة. وبهذه المناسبة فإن تقديمكم لمخططات المشروعات الاقتصادية في الضفة، فانه سيكون بامكانكم الحصول على مزيد من الاراضي ضمن نطاق السلطة، مثل مشروع قناة البحر المتوسط ـ البحر الميت.

اننا ننتقل من حالة سيطرتنا الكاملة على الاراضي الى حالة جديدة، يمكنكم فيها ممارسة السيطرة على جزء منها وممارسة حق الفيتو على الجزء الآخر، وترك الجزء الثالث تحت السيطرة الاسرائيلية (المستوطنات) ليتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع النهائي.

انتهت الجولة هذه باستعراض للوثيقة التي اعدت لتكون مشروع إعلان مبادئ، وبعد استعراضها ختم يائير هيرشفيلد اقواله بانه سيعود الى اسرائيل حاملاً تلك الوثيقة، ويتوقع احتمالات ثلاثة:

ـ اما ان يقولوا له أن ما يحمله ليس مقبولاً من قبل الحكومة، وانه يجب وقف هذه القناة.

- واما ان تتم الموافقة مائة بالمائة على الوثيقة.

- او ان يقولوا بان الوثيقة بحاجة الى بعض التعديلات، وانهم يدركون بان الاتصال مع المنظمة، يؤدي الى نتائج ايجابية ومشجعة، وبالتالي فسيطلبون منه مواصلة العمل على تحسين الوثيقة عبر هذه القناة.

في نهاية المحضر، كتب وفدنا ملاحظات مختصرة حول موقف الاسرائيليين والنروجيين والامريكان. وقد جاءت هذه الملاحظات على النحو التالي:

الطرف الاسرائيلي:

هذه الوثيقة معدة من السيد شمعون بيريز شخصياً(الوثيقة التي احضرت معهم قبل التعديلات).

- رابين على اطلاع ولكنه ليس على اطلاع بكامل التفاصيل.

- طاقم الخارجية المختص والمعني فقط متبنٍ تماماً لهذه القناة الخلفية وداعم لنتائج اعملها.

لقد اثبتت منظمة التحرير الفلسطينية انها شريك مؤهل.

- نتوقع ولا تعارض عودة القيادة الفلسطينية من تونس الى القطاع.

- بالنسبة للانتخابات القادمة للمجلس الانتقالي، سنسهل عودة عدد من قياديي الصف الاول من تونس للمشاركة في الترشح للانتخابات. لا بد من التنسيق بينهم وبين المصريين لرفع الحصار عن المنظمة.

- تخفيض المدة المشار اليها سابقاً للانسحاب من غزة الى نصّ (مدة سنتين كحد اقصى من تاريخ توقيع هذا الاتفاق).

- للمرة الأولى، يزداد النقاش بينهم بلغتهم، وللمرة الاولى كذلك تقطع المحادثات للاتصال مع مسؤوليهم.

- اعربوا عن اهتمامهم الكبير بأهمية (رسائل السلام) من ابي عمار شخصياً،

سواء في تصريحاته الصحفية او في لقاءاته مع بعض الشخصيات من طرفهم.

- سيقدمون في اللقاء القادم وثيقة حول تصورهم لترتيبات انسحابهم المبكر من غزة وكذلك مقترحاتهم لفترة ما بعد الانسحاب والتي تشمل: الامن، قوات الوصاية والقوات المتعددة الجنسية والاجراءات الاقتصادية الفورية المطلوبة لعملية البناء الاقتصادي وتنقل البضائع والافراد، لخلق حالة استقرار وتنمية تخدم السلام.

- سيتم تشكيل مجموعات عمل لكل بند وكل مادة عبر نفس القناة وبرعايتها ودعمها المادي. أعربو عن اهتمامهم باطلاع مصر وسيسافر رئيس وفدهم الى القاهرة الاسبوع القادم.

- سيعرض هذا الاتفاق على الحكومة المصغرة في اجتماعها القادم لاعطاء التفويض الكامل لهذه القناة ومناقشة المشروع.

الطرف الامريكي:

- هم على اطلاع بهذه القناة على مستوى وزير الخارجية الذي عبر عن اهتمامه وتشجيعه.

- درست الوثيقة تفصيلا مع دان كيرتزر.

- سيتحادث نائب وزير الخارجية هاتفياً يوم الثلاثاء عبر الخط الساخن من السفارة الامريكية مع الادارة الامريكية.

- سيتوجه مندوب من وزارة الخارجية النرويجية إلى واشنطن يوم الثلاثاء حاملا الوثيقة الاخيرة، وذلك بناء على دعوة خطية من وزارة الخارجية الامريكية.

الطرف النرويجي:

- تبذل جهود كبيرة من قبل وزير الخارجية ونائبه وشخصين آخرين من الوزارة لتأمين كل التسهيلات والدعم اللازم لهذه القناة.

- هم على اتصال دائم مع الطرف الآخر ومع الخارجية الامريكية ومعنا.

- عبروا عن استعدادهم لاستضافة وتمويل كل متطلبات وعمل الفرق المتخصصة لاعداد التقارير والدراسات والابحاث والخطط اللازمة، والتي ستلحق بهذا الاتفاق.

- اعربوا عن تفاؤلهم الكبير هذه المرة بنجاح هذه القناة.

- تصورهم لعملية الاخراج بعد اعتماد الوثيقة بشكلها النهائي من الطرفين، ان تقدم عملية الإخراج -من قبل الاميركان، وتصورهم كذلك ان هذه هدية ثمينة تقدم لادارة كلينتون.

وما بين الجولتين الثالثة والرابعة جرت اتصالات بيننا وبين النروجيين حول مسيرة المفاوضات في قناة اوسلو. وقد سجلنا الرسالة الهاتفية التالية التي وردت من تيري لارسون يوم ١٩٩٣/٤/١٢ وجوابنا عليها.

اتصال تلفوني من نائب الوزير النرويجي تيري لارسون(١٩٩٣/٤/١٠).

- عقد مندوبنا اجتماعات مع بيريز وبيلين بالامس.

- رابين التقى عدة مرات مع بيريز لمناقشة الاتفاق.

- قال رابين ان هذه القناة هي اهم حدث، وان المفاوضين هم الان مفوضون تماماً.

- يمكن اعتبار الاتفاق اطاراً مقبولاً تماماً.

- في لقاء ٢٠/ ٤ سيقترحون جزءاً من هذه الاتفاقية، وسوف ترون بعض الجمل والنصوص مأخوذة من هذا الاتفاق.

- لدينا الآن مستند هام جداً.

- يريدون استمرار هذه القناة ويقترحون اللقاء يوم ٢٥/ ٤ .

- رابين وبيريز يعترفان انكم اهم شريك.

- التقوا بالامريكان وبحثوها معهم بالتفصيل، وهم يشعرون باهميتها ويعتبرونها القناة الاهم(Crucial).

- يرغبون ان تظل اوسلو هي القناة.

ردنا على الاتصال التليفوني:

- نبذل جهوداً للمشاركة في المفاوضات يوم ٢٠/ ٤ رغم الصعوبات والعراقيل.

- نرجو الا يشار الى هذا الموضوع او لأي من بنوده الى وفدنا المفاوض.

- اقتراح ان يتم اللقاء يوم ١٥ـ١٦/ ٤ للتوقيع بالاحرف الاولى.

- نتفق بعدها على طريقة الاخراج.

الجولة الرابعة: ٣٠/ ٤/ ١٩٩٣

في كل جولة كان النرويجيون يغيرون اماكن الاجتماعات، بحيث قلما يحصل اكثر من لقاء في مكان واحد. فبعد ان كانت الاجتماعات في ساريسبورغ انتقلت في هذه الجولة الى هولمين كولين بارك. وهو مكان منعزل بعيد عن الناس، يعيش فيه الوفدان في مكان واحد، تحيط به غابة واسعة. وقد فرض هذا الوضع على الوفدين ليبقيا معاً ساعات العمل وساعات الراحة، وكان مهما جداً ان يقضيا ساعات الراحة معاً لأنها الوقت المناسب للحديث بحرية وصراحة وحميمية.

يائير هيرشفيلد: لقد بدأنا هذه القناة منذ لقائنا في لندن، وكانت في ذلك الوقت مبادرة خاصة تستند الى مفهوم اساسي وهو البحث فيما يمكن تحقيقه من خلال الاتصالات المباشرة، ويمكن القول انه قد تحقق الكثير، فقد باركتها الولايات المتحدة، وحصلتم على الدعم المصري، وحققنا قدراً كبيرا من مباركة رابين لمواصلة العمل من خلال هذه القناة.

ان أكثر ما يثير اهتمامكم هو إغلاق قطاع غزة، ولكن هذا الامر يفيدنا الى حد كبير في مواجهة الليكود، ذلك إن الاغلاق يخلق شرعية الفصل، وهكذا فنحن الآن نحقق أمرين، شرعية الفصل وشرعية الحوار مع منظمة التحرير. ولكن لا بد من تحقيق تقدم سريع في المحادثات لأن رابين يتعرض الى هجوم قوي، وهو في نظر البعض قدم تنازلات أكثر مما يجب، وأرجو انكم لاحظتم خطابه الشجاع يوم الاستقلال حيث قال:«يجب ان يكون اليهود قادرين على زيارة جميع الاماكن المقدسة لديهم حتى ولو كانت تحت سيادة الاخرين» ثم واصل حديثه: انا اتحدث عن سيناء.

ابو علاء: نحن مؤمنون تماما بهذه القناة ولدينا الدعم الكافي من المطبخ، ونحن حريصون على نجاحها بأسرع مما تتصورون، كذلك نحن حريصون أيضا على سريتها المطلقة. الا اننا فوجئنا بأن ستيف كوهين مطلع على الموضوع ويتحدث عنه بشكل أحرجنا، بخاصة وانه تحدث لاشخاص لا علاقة لهم بالموضوع لا من قريب ولا من بعيد. وبهذه المناسبة اتساءل هل القناة المفتوحة مع فيصل وزياد ابو زياد من جهة وافرايم سنيه من جهة اخرى معتمدة لديكم؟ نريد وضوحاً وصراحة.

نقطة اخرى أريد ان أوضحها، وهي اننا اتفقنا على ان لا يتم طرح أية قضايا على طاولة المفاوضات في واشنطن قبل ان نتفق هنا عليها، ولذلك وجهنا وفدنا هناك لكي يتحدث عن قضايا عامة لاتاحة الفرصة لانهاء نتائج أعمالنا باتفاق.

بالنسبة للانسحاب من غزة حسب تصريح رابين وتثبيتها هنا في اتفاقنا، فاننا بعد دراسة هذا الامر، وبعد دراسة قياس دقيق لردود الفعل في الضفة ولدى الآخرين، فاننا نرى ضرورة تلازم الانسحاب من غزة بانسحاب آخر في الضفة الغربية، وحتى لا يشعر سكان الضفة بأن الامور تسير ضد مصالحهم ورغباتهم لصالح غزة فقط، بخاصة وانكم تعرفون معنى وسحر كلمة الانسحاب في نفوس المواطنين، ولذلك نقترح عليكم انسحابا آخر من اريحا.

يائير هيرشفيلد: ان قناتنا هذه بدأت بدون تحديد مفهوم لعملها، في لندن

التقيت دان كيرتزر الذي قال لي: «يوجد امامكم طريقان، المنظمة من جهة وفيصل وحنان من جهة اخرى، ومن الضروري جداً خلق قنوات خلفية في كل مكان مع المنظمة ومع القيادات المحلية المختلفة.

نحن بطبيعة الحال سرنا في هذه القناة بخطوات متسارعة، ونحن نعمل على توسيع دائرة الاشخاص المقتنعين بها. ولكن علينا ان نفهم بأن استراتيجية رابين والولايات المتحدة، تنطلق من ان تبدأ بحذر شديد من حيث انتهى الليكود، ثم نتحرك تدريجيا لاحداث التقارب، إلا انهما ايضا يريان انه لا بد من ان تستمر قوة الدفع بقناة واشنطن لمدة أخرى لاحداث التقارب بين الطرفين، ولذلك نحن بحاجة لأن تكون مشاركتكم في واشنطن ايجابية وان يلتزم وفدكم بحضور اللجان واظهار الجدية ولو بالاستماع فقط ولمدة اسبوعين حتى نكون قد انجزنا هنا الكثير.

نقطة أخرى أود أن اثيرها وهي ان نبدأ الحديث معكم حول مفاهيم الوضع النهائي، وفي هذه الحالة يمكن التوصل الى وثيقة يتم توقيعها في مرحلة لاحقة، ويمكننا ان نمحور النقاش حول مفهومين:

١) الكونفدرالية الاردنية ـ الفلسطينية.

٢) نموذج ثلاثي(البينولوكس).

كذلك أود الحديث عن تفاهمنا حول الظهور التدريجي للمنظمة بشكل مباشر. علينا الحديث عن كيفية مشاركتكم في الانتخابات وتسمية الاشخاص من قبلكم، وكذلك حول توقيت انتقال مؤسساتكم من تونس الى غزة، ان وثيقة الوضع النهائي اذا تم الاتفاق عليها وتوقيعها تضع أساس تشكيل الكيان الفلسطيني.. ويصبح اتفاق أوسلو جزءا من اتفاق عام.

ابو علاء: انني اسمع لغة جديدة، تنم عن عدم الرغبة الآن بانهاء الوثيقة التي بين أيدينا والتوقيع عليها، وذلك بالبحث في مواضيع أخرى تبدو كأنها هروب الى الامام.

يائير هيرشفيلد: نحن لم نتفق تماماً بعد، لقد قمنا بتطوير الوثيقة هنا، ومن الممكن ان تستكمل في واشنطن. لاننا بصراحة بحاجة الى مزيد من التفكير حولها وبحاجة الى مشاركة دائرة اوسع من جانبنا.

ابو علاء: الى متى سننتظر؟

هيرشفيلد: في لقاء اسامة الباز مع رابين. قال الباز: انه لا يمكن للفلسطينيين ان ينتظروا الى ما لانهاية. فسأله رابين. كم المدة التي تراها؟ فاجاب الباز: «ستة اسابيع» فقال رابين. نحن بحاجة الى وقت أكثر لترتيب أوضاعنا الداخلية. واعتقد بانه يمكن وضع سيناريو للعمل خلال الاسابيع الستة القادمة عبر المراحل التالية:

- الاسبوعان القادمان، نتحرك في اتجاهين:

الاول: يواصل الوفد المحادثات في واشنطن بدون تصعيد ولو عن طريق الاستماع والابتسام فقط.

والثاني: نحن بحاجة الى اسبوع أو عشرة ايام لمناقشة الوضع من جانبنا في اسرائيل، حول بعض نقاط الاتفاقية، ونلتقي هنا لاستكمال الاتفاق بصيغته النهائية.

- الاسبوعان التاليان: تعرض الاتفاقية على الامريكان بصيغتها النهائية، وتخلق في واشنطن وضعاً يدعو الى المشاركة الامريكية المباشرة والفاعلة.

الاسبوعان الأخيران: يطرح الامريكان الوثيقة في واشنطن كحل وسط ويتم التفاوض عليها لمدة اسبوعين.

ابو علاء: من الصعب علينا الانتظار كل هذه المدة في ظل الاوضاع الفلسطينية السائدة حيث يقوى التيار المتطرف، وتزداد الاوضاع تدهورا داخل الارض المحتلة.

الجولة الخامسة ٨/ ٥/ ١٩٩٣

تمت هذه الجولة في قصر الضيافة التابع للحكومة النرويجية والقريب من

القصر الملكي. جرياً على العادة بتغيير أماكن الاجتماعات حتى لا يلفت تواترها انظار أحد اليها.

بدأ هيرشفيلد اللقاء باعادة الحديث عن مراحل تطور القناة الخلفية بقوله انها تبدأ بجمع المعلومات ثم بالوصول الى التوافق، وبعد ذلك الحصول على تفويض رسمي وبعدها الشرعية، وأخيرا بالوصول الى الانجاز والاختراق. واشار الى ان هذه القناة وصلت الى التفويض الرسمي وبحاجة الى استمرار باقي الخطوات. ومن جهة الطرف الاسرائيلي فإن المناقشات قائمة هناك حول مشروع اعلان المبادىء لاستكماله، ولكن هذا لا يعني ان الوفد قد حصل على الشرعية. وهنا سأل ابو علاء عن مشروع غزة ـ اريحا، فقال هيرشفيلد:

هذا المشروع طرحه مبارك على رابين، وعندما سمع رابين مثل هذا الاقتراح عاد متشائما بعد ان بدأ زيارته متفائلا، ولكن أريد ان تكون الأمور واضحة فيما لو وافقنا على هذا المشروع ، بأن السيطرة الكاملة على الجسور لنا. ومن الممكن ان نتفق على مشروع غزة ـ اريحا أولا ثم نبحث موضع اعلان المبادىء. ولا بد لنا من بحث النقطتين الخلافيتين وهما القدس والتحكيم. وعلى ذلك نقترح ان نبحث الوثيقة هنا وان نترك النقاط الخلافية الى مراحل لاحقة، بخاصة وان رابين أصبح يرى ضرورة الاتفاق معكم، بينما كان فيما سبق يتحدث عن اولوية الاتفاق مع سورية. والسبب في ذلك انكم استطعتم تأجيل الجولة في واشنطن لمدة اسبوع. اثبتم قوة موقفكم وان سورية لا تستطيع الذهاب بدونكم. وبعد ذلك جرى الحوار التالي:

ابو علاء: غزة جزء من الاتفاق وبعد اقراره نستطيع التحدث في التفاصيل الأخرى.

يائير هيرشفيلد: ان مهمه هذه القناة هي دعم محادثات الثنائي والمتعدد، وليست بديلا عنها. ان رابين يريد ان يجرب اسلوبه في التفاوض في واشنطن، لانه مقتنع بأنه سيحصل على أفضل مما يحصل عليه هنا. ولذلك علينا ان نبدأ تدريجيا.

الفصل التاسع

الوثيقة

لقد انتهت الجولة الخامسة بعد أن وُضعت وثيقة أو مسودة لاعلان مبادىء على ضوء المناقشات التي رأيناها في هذه الجولات. إلا ان الاسرائيليين حتى هذه اللحظة يتحدثون بلغة تخلو من الثقة الكاملة في هذه القناة، كما تَوضّح بأنهم غير موافقين عليها وانها لا زالت قيد الدرس. وفي نفس الوقت فإن التفويض الذي حصلوا عليه لم يصل الى حد منحهم الشرعية في السير قدماً في المفاوضات، لأن رابين لا زال متردداً وفي نفس الوقت مقتنعاً بأن قناة واشنطن هي الطريق الأسلم والأضمن بالنسبة له، بالاضافة الى انه غير مؤمن تماماً بأن مثل هذه اللقاءات يمكن أن ينتج عنها اتفاق. واذا وصلت الاطراف الى اتفاق فانه يخشى ان لا تفي المنظمة بالتزاماتها وتوقع عليه. ومما لا شك فيه انه غير مطمئن تماماً الى موافقة الامريكان عليها، ناهيك عن ان قناة أوسلو هي قناة شمعون بيريز الذي لا يتوافق معه في كثير من القضايا.

من جهتنا نحن، فقد سرنا في قناة أوسلو بجدية تامة، لأننا من خلال المتابعة لكلا القناتين (أوسلو ـ وواشنطن) كنا نلاحظ الحديث في أوسلو، يأخذ طابعا واقعياً ويدخل الى صميم الموضوع مباشرة دون الدخول في متاهات الشكليات. وكنا ايضا مستعدين للوصول الى اتفاق والتوقيع على هذا الاتفاق، ولكن بقيت لدينا شكوك لم نفصح عنها، وهي أن المفاوضين الاسرائيليين لا يتمتعون بدعم حكومتهم، وانهم جاءوا من أجل سبر الاغوار والنقاش لمعرفة النوايا الفلسطينية، وانهم غير ملتزمين بأية كلمة يقولونها، لأنهم يستطيعون في النهاية ان يقولوا بانهم غير مفوضين وان حكومتهم رفضت مقولاتهم وسحبت غطاءها عنهم.

وهذا هو المشروع(**إعلان المبادىء**) الذي وضع خلاصة للجولات الخمسة الأولى:

مبادىء لتفاهم اسرائيلي - فلسطيني:

إن المبادىء لتفاهم اسرائيلي - فلسطيني تتضمن الوثائق الثلاثة التالية DOP(إعلان المبادىء) وCWP (برنامج للتعاون والعمل) والخطوط الموجهة «لخطة مارشال».

I مسودة لـ DOP (إعلان مبادىء)

١ - إن هدف المفاوضات الاسرائيلية - الفلسطينية هو التوصل الى اتفاق حول ترتيبات لاقامة سلطة حكم ذات انتقالية فلسطينية، المجلس الانتقالي الفلسطيني المنتخب، لفترة مرحلية تؤدي الى تسوية دائمة على أساس قراري ٢٤٢ و ٣٣٨. من المفهوم ان الترتيبات الانتقالية هي جزء لا يتجزأ من العملية بمجملها المؤدية الى تطبيق ٢٤٢ و ٣٣٨.

٢ - لكي يتمكن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم نفسه وفق مبادىء ديمقراطية، تجري انتخابات سياسية عامة، حرة ومباشرة، تحت إشراف دولي سيتم الاتفاق عليها، ثلاثة أشهر بعد التوقيع على إعلان المبادىء هذا. أما الاتفاق على الشكل والشروط الدقيقة للانتخابات وفقاً لملحق رقم واحد المرفق، سينجز في وقت لا يتجاوز الشهر الواحد قبل الانتخابات.

٣ - ستشكل الانتخابات لاقامة المجلس الانتقالي الفلسطيني خطوة تمهيدية انتقالية ذات مغزى باتجاه تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة.

٤ - ستغطي ولاية المجلس الانتقالية أرض الضفة الغربية وقطاع غزة(w. bank and Gaza strip land). مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادىء، ستبدأ الفترة المرحلية ذات السنوات الخمس. ستجري مفاوضات الوضع النهائي بين الحكومة الاسرائيلية والممثلين الفلسطينيين في أقرب وقت ممكن، ولكن بما لايتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية، لتغطي جميع القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئون،

المستوطنات، الترتيبات الأمنية، السيادة، الحدود ،وأية قضايا أخرى ذات الاهتمام المشترك.

٥ ـ مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادىء هذا، سيبدأ نقل السلطة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية الاسرائيلية الى الفلسطينيين. سيكون نقل السلطة الى اللجان الفلسطينية ذا طبيعة مؤقتة وتمهيدية، وسيتضمن السيطرة الفلسطينية على الضرائب والسياحة والتعليم والصحة والشؤون الاجتماعية بالاضافة الى مجالات أخرى متفق عليها.

٦ ـ من أجل ضمان التنمية والنمو الاقتصادي الاقصى، سيتم انشاء لجنة أراضٍ فلسطينية ولجنة ادارة مياه فلسطينية فوراً ومع التوقيع على إعلان المبادىء هذا. ستعطى لجنة الأرض الفلسطينية ولجنة إدارة المياه الفلسطينية صلاحيات فورية وفقاً لما يتفق عليه بشكل مشترك، وسيتم التفاوض على خطة تنمية منسقة للأرض وموارد المياه بين لجنة الأرض الفلسطينية ولجنة ادارة المياه الفلسطينية من جهة، وحكومة اسرائيل من جهة أخرى.

٧ ـ من أجل ضمان الترتيبات الأمنية القصوى لفلسطيني الضفة الغربية وقطاع غزة، سيقوم المجلس الانتقالي الفلسطيني بانشاء قوة شرطة قوية، مسؤولة عن الأمن الداخلي والنظام العام. ستتخذ الخطوات التمهيدية الضرورية لانشاء قوة الشرطة الفلسطينية مباشرة بعد التوقيع على إعلان المبادىء هذا، بالارتباط مع الفلسطينيين واسرائيل ومصر والاردن.

٨ ـ من أجل تمكين سلطة الحكم الذاتي الانتقالية، المجلس الانتقالي الفلسطيني، من النهوض بالنمو الاقتصادي، سيتم انشاء عدة مؤسسات بالتزامن مع تنصيبها، مثل سلطة أرض فلسطينية، وسلطة ميناء غزة البحري، وبنك التنمية الفلسطيني، ومجلس للنهوض بالصادرات الفلسطينية، وسلطة بيئية، وستتفاوض اللجان الفلسطينية مع حكومة اسرائيل حول الاتفاقات الضرورية ذات الصلة من أجل هذه المؤسسات.

٩ ـ سيخول المجلس الانتقالي الفلسطيني بالتشريع لجميع السلطات وفقاً لما يتفق عليه بشكل مشترك، وسيقوم الطرفان بشكل مشترك بإعادة النظر بجميع القوانين والأوامر العسكرية السارية حالياً.

١٠ ـ سيتم انشاء لجنة ارتباط اسرائيلية ـ فلسطينية وستتعاطى مع جميع قضايا الخلاف والاهتمام المشترك. سيتم التفاوض حول اتفاقات على التعاون والارتباط، وستطبق على مستويات محترفة من أجل توفير الأمن والتفاهم المتبادل بين الطرفين.

١١ ـ سيتم التفاوض والاتفاق على المزيد من ترتيبات الارتباط والتعاون بين حكومة اسرائيل وسلطة حكم الذات الانتقالية الفلسطينية من جهة وحكومتي الاردن ومصر من جهة أخرى.

١٢ ـ بعد التوقيع على إعلان المبادىء، ستبدأ مفاوضات اسرائيلية ـ فلسطينية حول إعادة تموضع القوات العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وسيجري أول إعادة تموضع للقوات، عشية الانتخابات للمجلس الانتقالي الفلسطيني. وسيتم تنفيذ تدريجي لمزيد من إعادة التموضع المتفق عليه تماشياً مع الشروع باجراءات أمنية أخرى(ستتم إضافة ملحق أمني). وفي وقت لا يتعدى نهاية السنة الثانية من الفترة الانتقالية، ستنسحب القوات العسكرية الاسرائيلية انسحاباً كاملاً من قطاع غزة، بروحية التطبيق الجزئي لـ ٢٤٢ و ٣٣٨. وسيكون الانسحاب الاسرائيلي منسقاً تنسيقاً كاملاً مع المجلس الانتقالي الفلسطيني. الانسحاب من قطاع غزة لا يقوض بأي طريقة من الطرق تطبيق المبادىء المتفق عليها في إعلان المبادىء هذا، فيما يتعلق بالضفة الغربية. بعد الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة سيتم انشاء وصاية (Trusteeship) وفقاً للاتفاق بين حكومة اسرائيل وسلطة حكم الذات الانتقالية الفلسطينية.«سيتفاوض الطرفان على انسحاب جزئي مستقبلي من اريحا خلال ثلاثة اشهر من تاريخ التوقيع على إعلان المبادىء هذا، وفقاً لمبادىء إعلان المبادىء هذا».

١٣ ـ سيتفاوض الوفدان الاسرائيلي والفلسطيني حول اتفاق انتقالي سيحدد آليات وجوهر نقل السلطة المرتقب.

١٤ ـ سيتم إحداث لجنة تحكيم تحال اليها جميع القضايا الخلافية، ستتشكل هذه اللجنة فقط بناء على اتفاق الطرفين وراعيي مؤتمر مدريد، ستطرح القضايا على هذه اللجنة فقط لدى عدم تمكن الطرفين من التوصل الى اتفاق بالتفاهم. يقبل الطرفان ضرورة التوصل الي آلية للمصالحة وللمساومة قبل الذهاب الى التحكيم.

«سيوقع الراعيان كشهود على إعلان المبادىء وسيساعدا في متابعة تنفيذه».

سيتشاور الجانب الاسرائيلي فيما يتعلق بالمسائل الثلاثة التالية:

I ملحق مقترح حول شكل وشروط الانتخابات:

١ ـ فلسطينيو القدس لهم الحق في المشاركة في الانتخابات كناخبين ومرشحين. سيصوت ناخبو القدس في المسجد الاقصى وكنيسة القيامة.

٢ ـ جميع الفلسطينيين المرحلين (displaced) والذين كانوا مسجلين بتاريخ الرابع من يونيو/ حزيران ١٩٦٧ لهم الحق في المشاركة في العملية الانتخابية. ولن يتم الاجحاف بحقم حتى إن لم يتمكنوا من المشاركة لأسباب عملية.

٣ ـ يجن ان يتم ترتيب اتفاقات بين الطرفين تغطي القضايا التالية:

أ ـ النظام الانتخابي.

ب ـ عدد الأعضاء الذين سينتخبون للمجلس الانتقالي الفلسطيني.

ج ـ شكل الاشراف الدولي والتركيبة الفردية للهيئة المشرفة.

د ـ القوانين والأنظمة المتعلقة بالحملة الانتخابية بما في ذلك اتفاق حول تنظيم وسائل اعلام، وامكانية الترخيص لمحطة بث اذاعية وتلفزية.

هـ ـ أية قضايا أخرى.

II ـــ فقرة حول اريحا

(تضاف الى الفقرة ١٢)

III ـــ دور الراعيين

(تضاف الى الفقرة ١٤)

IV ـــ برنامج للتعاون والعمل الاسرائيلي ـــ الفلسطيني (CWP)

سيترافق إعلان المبادىء الاسرائيلي - الفلسطيني مع برنامج للتعاون الاسرائيلي - الفلسطيني CWP متفق عليه ويتضمن:

١ - برنامج لتطوير المياه مشترك يقوم باعداده مهندسو مياه اسرائيليون وفلسطينيون، والذي سيحدد كذلك شكل التعاون الضروري لادارة موارد المياه، في قطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها وادي الاردن، واعداد الدراسات والخطط حول حقوق المياه لكل طرف والاستفادة المنصفة لموارد المياه المشتركة من أجل التنفيذ في الوضع النهائي.

٢ - برنامج لتطوير الكهرباء، والذي سيحدد كذلك شكل التعاون الضروري لانتاج وصيانة وشراء وبيع الموارد الكهربائية.

٣ - برنامج اسرائيلي - فلسطيني متفق عليه لتطوير الطاقة، والذي سيأخذ بالاعتبار مد انابيب نفط وغاز، وإقامة مجمع صناعي بتروكيميائي في قطاع غزة، والاستغلال المنسق او المشترك للغاز والنفط وموارد طاقة أخرى(كالطاقة الشمسية، والزيت الحجري، الخ).

٤ - برنامج تطوير مالي، وإقامة بنك تنمية فلسطيني.

٥ - برنامج لتطوير النقل والاتصالات، والذي سيحدد الخطوط الموجهة لاقامة منطقة ميناء غزة الكبير، وانشاء منطقة تجارة حرة بين غزة وأسدود، وكذلك ستحدد خطوط اتصالات من وإلى غزة عبر اسرائيل ودول أخرى، وتتخذ الخطوات لتنفيذ البناء الضروري لطرقات ولسكك حديدية.. والخ.

٦ ـ برنامج تنمية صناعية، ستأخذ بالاعتبار إقامة صناعة سيارات اسرائيلية ـ فلسطينية مشتركة في غزة والنهوض بمشاريع فلسطينية ـ اسرائيلية مشتركة أخرى، وتوفير الخطوط الموجهة لتعاون في صناعات النسيج والصناعات الغذائية والعقاقير والالكترونيات والكمبيوتر وصناعات أخرى تقوم على العلوم.

٧ ـ برنامج لتنظيم علاقات العمل وخلق التعاون في قضايا الرفاه الاجتماعي.

٨ ـ خطة لتنمية الموارد البشرية، تأخذ بالاعتبار ورشات وحلقات دراسية اسرائيلية ـ فلسطينية مشتركة. انشاء مراكز تأهيل مهني مشتركة ومراكز ابحاث وبنوك معلومات.

٩ ـ خطة لحماية البيئة، تأخذ بالحسبان اجراءات مشتركة و/ أو منسقة في هذا المجال.

١٠ ـ برنامج وخطة أمنية متفق عليها.

V ـ الخطوط الموجهة لاعداد« خطة مارشال» للضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة

سيرفق إعلان المبادىء الاسرائيلي ـ الفلسطيني (DOP) وبرنامج التعاون والعمل (CWP) بمبادرة على غرار «خطة مارشال» من السبعة الكبار والدول الأخرى الاعضاء في منظمة التعاون والتنمية الاوروبية (OECD) وستلزم الدول السبعة الكبار والدول الأخرى الاعضاء في (OECD) المشاركة في المفاوضات متعددة الأطراف، بتحضير مبادرة خطة مارشال للضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة، والتي سيتم تنفيذها بعد الانتخابات، وتنصيب سلطة حكم الذات الانتقالي، المجلس الانتقالي الفلسطيني. كما سيقوم الفلسطينيون بجمع مساعدات إضافية هامة من الدول العربية، وكذلك من المؤسسات العربية القائمة.

إن مبادرة« خطة مارشال» ستتألف من جزئين أولا. برنامج فلسطيني للتنمية الاقتصادية (PEDP) كأولوية. وثانيا برنامج تنمية اقتصادية إقليمي (REDP).

أ ــ برنامج فلسطيني للتنمية الاقتصادية (PEDP): ستدعم اسرائيل في المفاوضات المتعددة الأطراف برنامجاً فلسطينيا للتنمية الاقتصادية، والذي سيشكل من ثلاثة أجزاء.

١) برنامج لاعادة التأهيل الاجتماعي.

٢) خطة تنمية للأعمال الصغيرة والمتوسطة

٣) برنامج لتطوير البنية التحتية(المياه، الكهرباء، النقل والاتصالات، والموارد البشرية، والمؤسسات المالية، الخ)

ب ــ برنامج التنمية الاقتصادي الاقليمي (REDP): سيؤيد الطرفان برنامجاً للتنمية الاقتصادية الاقليمية يقترح تنفيذ عدة مشاريع تنمية محورية:

١) إقامة صندوق تنمية شرق أوسطي وبنك شرق أوسطي لاعادة الاعمار والتنمية.

٢) قناة البحر المتوسط - البحر الميت، وتنمية خطة اسرائيلية - فلسطينية - اردنية مشتركة، من أجل الاستغلال المنسق لمنطقة البحر الميت.

٣) مصنع إقليمي لتحلية المياه وتوليد الطاقة.

٤) ربط الشبكات الكهربائية.

٥) التعاون الاقليمي من أجل نقل وتوزيع الغاز والنفط وموارد الطاقة الأخرى واستغلالها صناعياً.

٦) خطة تنمية إقليمية للسياحة والنقل.

٧) التعاون الاقليمي في مجالات أخرى وفقاً لما يتفق عليه بشكل مشترك.

الجولة السادسة: ٢١/ ٥/ ١٩٩٣:

حدث في هذه الجولة تطور ايجابي ومفاجيء، حيث أضيف الى الوفد الاسرائيلي المشكل من يائير هيرشفيلد ورون بونديك، شخص ثالث قدم نفسه على

انه أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية. وقد جمعنا عنه معلومات، عرفنا منها أنه من شباب حزب العمل اللامعين، وان والده كان سفيراً سابقاً لاسرائيل في الخارج وانه تولى منصب قنصل عام في نيويورك ومسؤولاً عن العلاقات مع اللوبي الصهيوني. كما عمل في سفارة اسرائيل في واشنطن، وانه استلم مهمته الحالية قبل اسبوعين فقط خلفاً لـ «يوسف هداس»، وهو من المقربين لرابين وبيريز ويوسي بيلين، ولكنه أقرب للاثنين الأخيرين. إضافة إلى كل هذا فهو من دعاة السلام.

ان هذه الاضافة الى الوفد الاسرائيلي اراحتني بشكل عام، فقد شعرت لأول مرة اننا أمام موظف رسمي اسرائيلي، لأن الاثنين الأخرين يقدمان نفسيهما على انهما أكاديميان قريبان من السلطة

لم نعتمد على ما توفر لدينا من معلومات عن أوري سفير، وانما اتصلنا بعدة جهات منها وزارة الخارجية المصرية لنتأكد من صحتها، وقد أكد لنا الجميع انه فعلا يعمل مديراً عاماً في الخارجية وانه قد عين حديثاً في هذا المنصب.

لا بد لي أن أقول بأن تعيين أوري سفير لم يجعلني أطمئن تماماً الى حيثية الوفد الاسرائيلي، لأن المعلومات المتوفرة لديه والتي سمعناها اكثر من مرة، بأن رابين لا زال غير مُقحم بشكل كلي في قناة أوسلو، وهذ يعني انه يستطيع ان ينسفها في أي وقت. ولا زلنا نذكر اتفاق لندن(حسين ـ بيريز) ١٩٨٦ الذي نسفه شامير والامريكان عندما اطلعوا عليه. ومع ذلك فلم يكن أمامنا خيار إلا ان نستمر في قناة أوسلو ونعطيها كل الاهتمام والدعم، ولن نخسر شيئا إذت حصلت أمور لا نتوقعها، أو وقعت مفاجآت من الطرف الاسرائيلي.

وصل أوري سفير الى باريس، وقام بمهمة رسمية شكلية لمدة يوم واحد، ثم أبلغ سفير اسرائيل في باريس، بأنه سيقضي يومين إضافيين بصفة غير رسمية، وانه لن يكون بحاجة الى أحد من السفارة لمرافقته أو مساعدته، ثم غادر باريس سراً الى أوسلو وترك متاعه في غرفته في الفندق، حتى لا يلفت الانتباه الى غيابه، وبعد ذلك عاد الى باريس وكأن شيئا لم يكن وغادرها الى تل أبيب.

ان تصرف أوري سفير هذا يدل على حرص كبير على سرية القناة وابعادها عن انظار الجميع، بما في ذلك سفارة اسرائيل في باريس او أوسلو، وبالتالي بقيت القناة محصورة في نطاق ضيق بعيدة عن الدبلوماسية الاسرائيلية في اوروبا.

في هذا المحضر ننقل ما قاله أوري سفير:

- قيادتنا تتابع هذا القناة وحريصة على سريتها، ولكنها ليست بديلاً لواشنطن.

- لم نكن نتصور ان نبدأ بهذه السرعة مباحثات رسمية مدعومة من القيادتين دون وسيط.

- أبدى اعجابه بأسلوب قناة أوسلو في اتباعها المنهج الشمولي مع القضايا وتجنب التركيز على القضايا الفنية.

- أكد على ان عامل الزمن هام على اعتبار ان التقدم البطيء يعني التراجع الى الخلف، ولذلك لا بد من السرعة للوصول الى سلام شامل مع الفلسطينيين.

- انتقد بعض الوسطاء الذين رغم إخلاص القلة منهم، إلا أنهم يسعون وراء مصالحهم.

- اشار الى ان الامريكيين وبعض العرب حذروهم من المنظمة ونصحوهم بعدم التحاور لعدم مصداقيتها ولانها تعطي الوعود وتتراجع عنها.

عرض سياسة حكومة العمل الجديدة بنقاط:

١ - وقف ٩٠٪ من النشاط الاستيطاني.

٢ - وقف الاعانات بمئات الملايين من الدولارات للاستثمار في المستوطنات.

٣ - الافراج عن بعض المعتقلين وإعادة بعض المبعدين.

٤ - رغبة الحكومة العمالية في حل القضية الفلسطينية وعدم الرغبة في التحكم بمصير شعب آخر.

قال: لدينا مخاوف مستقبلية، كما لديكم، مما يدفعنا كلينا للموقف الدفاعي. الا ان اسرائيل المحاصرة تظل لديها مخاوف أكبر، بخاصة وان خارطتها غير مستقرة، وأي صراع في المنطقة يؤذيها ولو لم تكن طرفا فيه، مشيراً الى العراق وايران.

- لا تريد اسرائيل ان تبقى في حصن مغلق ولكن بحاجة الى ضمانات أمنية.

- الديمقراطية في المنطقة بشكل عام ولدى الفلسطينيين بشكل خاص إحدى ضمانات اسرائيل الأمنية.

- لا حاجة بنا نحن الطرفين لتدخل الامريكان، والدليل الأوراق التي قدموها في الجولة التاسعة والعاشرة في واشنطن.

- اشار الى أن النقاط الخلافية القائمة هي حول القدس والتحكيم واريحا.

- تساءل حول قدرة المنظمة على تطبيق الاتفاق، حيث أن لديهم مخاوف، وبالذات رئيس الوزراء رابين، الذي يقارن بيننا وبين الأسد ا لذي اذا التزم تقيد ونفّذ.

الجولة السابعة ١٣/ ٦/ ١٩٩٣:

دخلت المفاوضات مرحلة جديدة في هذه الجولة، حيث انضم الى المفاوضين شخص رابع هو يونيل زينغر، وقد لاحظ وفدنا من حديثه وحديث زملائه انه مندوب شخصي مكلف من رابين شخصياً، وانه جاء يحمل اسئلة معدة سلفاً من قبله. وزينغر مستشار قانوني للوفد الاسرائيلي في محادثات فك الاشتباك الأول والثاني مع المصريين، وكذلك فك الاشتباك مع السوريين في السبعينات. وقد عمل مع فريق كامب دايفيد في طابا، وعمل مع رابين مباشرة كما عمل مع بيريز. منذ أربع سنوات ترك الحكومة وسافر الى امريكا ليقيم في نيويورك ويتابع المؤسسات الاكاديمية التي تعد الدراسات عن قضايا السلام مثل جامعة هارفرد و المؤسسة العلمية الامريكية وغيرها.

ان مشاركة زينغر في قناة أوسلو اعتبرها الوفد الاسرائيلي، كما لاحظنا نحن

ايضا ،بأنها مشاركة كاملة لمركز صنع القرار في اسرائيل. وهذا يعني ان رابين قرر ان يدخل بثقله فيها ليقومها وليقرر في النهاية كيف يتصرف. وهكذا فان يونيل زينغر كان إضافة نوعية للوفد الاسرائيلي، ولكنه يشكل مرحلة جديدة او حقبة جديدة في مسار أوسلو من حيث تغيير المنهج السابق والعودة تقريبا الى البداية، من خلال الاسئلة والتساؤلات التي استهل بها زينغر حديثه. حيث قال:

- ان تقويم رابين للمشروع من حيث البناء جيد والهيكل ممتاز، ولكن الوانه غير واضحة تماما، ولذلك فإن المفهوم للتطبيق غير واضح ويحتاج الى تعديلات.

- ان عدم التقدم في واشنطن يشكل لهم احراجاً أمام الحزب والرأي العام والحكومة.

- تعقيباً على محاولات بعض الاسرائيليين فتح قنوات خلفية أجاب زينغر: «جميع هؤلاء الذين يحاولون فتح قنوات انما يقومون بذلك بمبادرات شخصية ويبحثون عن دور لهم ، والمقابل فإن الفلسطينيين الذين يتصلون بهم لنفس الغرض لديهم نفس الجواب لهم. والمهم ما يجري هنا، وهو رسمي بين الحكومة والمنظمة».

- لقد اخضعت كل الوثائق التي تم بحثها في هذه القناة وفي غيرها طليلة الجولات السابقة للدراسة والتدقيق من قبل متخصصين في مجالات مختلفة ومؤسسات مختلفة بدءاً بمكتبه.

- تحدث بلغة ايجابية واضحة تختلف عن الماضي فيما يتعلقبالمنظمة وموافقتها.

- يعتقد بأن التسريبات التي تظهرفي الصحف يقف وراءها بعض المسؤولين في الادارة الامريكية الذين همشت جهودهم التي مضى عليها عامان دون نتائج، ويقصدون بذلك ادوارد جيرجيان وبعض الذين سيغادورن الادارة قبل نهاية العام، أو من بعض الذين يأخذون الموقف الليكودي ويؤيدونه.

- انتقد أسلوب التفاوض في واشنطن واعتبرأن كل ما قرأه عن هذا المسار محبطا للآمال.

بعد ذلك تبين لنا من خلال الاسئلة الكثيرة التي طرحها والتي طلب الاجابة عليها، أنه يعود بنا إلى نقطة الصفر،حيث انه على ضوء الاجابة، سيقرر كيف يمكن ان تستمر الامور في هذه القناة او لا تستمر.

لقد شعر وفدنا باحباط شديد من الاسئلة التي طرحها، لأن زينغر سيحاول الغاء كل ما مضى من جهود. وعندما عاد الوفد إلى تونس وسمعنا منه ما جرى وقومناه، كان رأينا، إن المسألة وصلت إلى الجدية الكاملة، واننا أمام مفصل هام وخطير، فأما أن تنجح قناة أوسلو أو يقضى عليها، وما دام زينغر المرتبط باسحاق رابين ترأس الوفد الاسرائيلي، فعلينا ان نطمئن إلى أنهم سيواصلون معنا.

فماذا كانت الاسئلة:

١ ـ هل الحكومة والمجلس جسمان أم جسم واحد؟

٢ ـ ما هو شكل الاشراف الدولي المطلوب، وهل هو اشراف متفق عليه ومراقبون دوليون أم غير ذلك؟

٣ ـ ما هي المدة الفاصلة بين الاعلان والانتخابات؟ هل هي ستة أشهر أم تسعة أشهر؟

٤ ـ هل تبحث الملاحق الخاصة بالقدس والنازحين قبل الانتخابات أم بعدها؟

٥ ـ ما هو المقصود بنطاق السلطة؟ وما علاقتها بالمستوطنات والقدس ومعسكرات الجيش والأمن؟

٦ ـ لماذا يرد ذكر اللاجئين في الثنائي بينما هو في المتعدد؟

٧ ـ كيف سيتم استلام المجالات المختلفة من الادارة المدنية؟ وهل سيستلم شخص سياسي أم فني أم مهني؟ وهل سيتم تغيير هياكلها؟

٨ ـ ما هو وضع غزة بعد الانسحاب منها؟

٩ ـ كيف سيكون وضع المجالات بعد تشكيل الحكومة والانتخابات؟

١٠ ـ لماذا استثنيت لجان الأرض والمياه ووضعت في مواد خاصة؟ وهل سينطبق عليها ما ينطبق على باقي المجالات؟ أي هل هي جزء من ولاية الحكومة الانتقالية؟

١١ ـ ما هو مفهوم الأمن الداخلي والأمن العام؟

١٢ ـ لمن سيكون الأمن الخارجي في المرحلة الانتقالية؟

١٣ ـ ما هي حدود ولاية الأمن الفلسطيني وحدود ولاية الأمن الاسرائيلي؟

١٤ ـ كيف سيتم التعامل مع القضايا الخلافية قبل قيام الحكومة؟

١٥ ـ هل ترون آلية ارتباط اللجنة الرباعية(مصر ـ الاردن ـ اسرائيل ـ فلسطين) متواصلة ومستمرة؟ وما هي الموضوعات التي تدخل في اطار المتابعة مع كل من مصر والاردن؟ وهل ترون دوراً آخر للاردن؟

١٦ ـ عند الوصول الى اتفاق من سيوقع في واشنطن؟ هل الوفد الفلسطيني والاسرائيلي؟ ام الوفد المشترك الاردني الفلسطيني والاسرائيلي؟

١٧ ـ افترض الانسحاب من اريحا، ماذا سيكون وضعها؟ وما هم مفهومكم؟

١٨ ـ ماذا سيحدث في الفترة الفاصلة بين الانسحاب من غزة ـ اريحا والانتخابات؟ كيف سيكون وضع غزة تحديداً؟ هل هي دولة ذات سيادة أو حكم ذاتي؟ من سيكون مسؤولا عن الأمن الخارجي فيها؟ ما هو دور المصريين في المشاركة الأمنية؟

١٩ ـ هل ترون ضرورة لتوقيع اتفاق بين المنظمة واسرائيل لتشمل ترتيبات متفق عليها حول الأمن في غزة؟

٢٠ ـ هل يمكنكم الالتزام بجمع السلاح في غزة والضفة؟

٢١ ـ هل يمكنكم الدعوة لوقف الانتفاضة بعد توقيع الاعلان؟

٢٢ ـ هل يمكنكم ان تلتزموا أمامنا كما التزمتم أمام الولايات المتحدة بالاعتراف باسرائيل وبنبذ الارهاب؟

٢٣ ـ هل تستطيعون أن تلتزموا بتعديل الميثاق؟

٢٤ ـ هل ترون فائدة من اتفاق معنا يشير لهذه التعديلات؟

٢٥ ـ اذا تم الاتفاق بين اسرائيل والمنظمة. من هي القيادات التي ستعود؟ وأين ستقيم؟ وهل ستعود قبل الانتخابات؟ وهل ستشارك مرشحة أو منتخبة أو الاثنين؟ وهل ستعود الى اريحا؟ ومن سيدير غزة في الفترة بين الانسحاب و الانتخابات؟ وهل يمكن نقل السلطة في غزة بوتيرة أسرع من الضفة؟ وهل يمكن توقيع اتفاقية أمنية بين المنظمة واسرائيل حول الأمن في غزة؟

٢٦ ـ اين سيقيم المسؤولون عن المجالات بعد نقلها يوم الاعلان؟ هل في القدس أم في اريحا؟ ان ذلك سيخلق مشكلة كبيرة اذا كان جوابكم القدس.

٢٧ ـ اذا قررتم عودة عرفات فهذه قضية سياسية، هل مستعدون لعقد اتفاق حولها؟

٢٨ ـ هل تريدون الاتفاق على الانتخابات قبل مضي الفترة الانتقالية؟ وهل ستتم بعد الانسحاب من غزة؟ ولماذا لم تكونوا مستعدين؟ .هل ستتم بالتعيين بدل الانتخاب؟

٢٩ ـ هل تصرون على القوات المتعددة الجنسيات في اريحا .. او غزة؟

٣٠ ـ هل تصرون على ضرورة وجود وصاية دولية؟

٣١ ـ كيف تنظرون الى وضع اريحا اذا تم الانسحاب منها؟ وهل تختلف مثلا عن نابلس؟

٣٢ ـ هل المقصود بالتحكيم،أن يتم حول قضايا المرحلة الانتقالية؟

٣٣ ـ لماذا لا تستبدلون كلمة تحكيم بكلمة«تسوية نزاعات»؟

٣٤ ـ ماذا سيحدث للاشخاص النازحين عام ١٩٦٧ إذا طلبوا جميعا العودة للمشاركة في الانتخابات؟ هل ستعرضون أمرهم على التحكيم إذا لم يعودوا؟

٣٥ ـ ما هب الآلية التي تقترحونها لشرح مضمون ونصوص هذا الاتفاق للامريكيين؟

٣٦ ـ كيف سيتم التوفيق والانسحاب بين سلطات محدودة ستعطى بعد توقيع الاعلان في الضفة، وسلطات أشمل ستعطى في غزة؟

٣٧ ـ هل ستكون العلاقة بين غزة والضفة علاقة مركزية أو لا مركزية؟

٣٨ ـ قد نكون بحاجة ـ إضافة الى إعلان المبادىء ـ إلى مذكرة تفسيرية وإلى اتفاق مع المنظمة، فهل انتم جاهزون الى ذلك؟

٣٩ ـ اذا لم نصل الى اتفاقات واضحة حول كل القضايا، فقد نلجأ الى نصوص اكثر غموضا وقد حدث هذا مع مصر. فهل تقبلون ان نلجأ الى الاتفاقات السرية او تبادل الرسائل او توجيه الرسائل الى طرف ثالث؟ امريكا مثلا؟

٤٠ ـ هل تستطيعون اقناع وفدكم في واشنطن باصدار بيان مشترك(١)؟

حاول وفدنا جاهداً ان يجيب على جميع الاسئلة من المعلومات المتوفرة لديه ومن واقع الاتفاق السابق. وقد كتب زينغر كل هذه الاجوبة ثم ختم حديثه بقوله: سنعود الى رابين وبيريز ونتوقع ان تكون اجابتهما ضمن الاحتمالات التالية:

ـ اما ان يقبلوا الموقف السابق كما هو.

ـ وأما ان يجري تغيير للصيغة المكتوبة.

ـ او نجد حلا وسطاً بين الاثنين.

وانتهت الجلسة الأولى مع زينغر، وحاول وفدنا أن يقوم الموقف، ولكنه لم

---

(١) اشارة الى البيان المشترك الذي اقترحته الادارة الامريكية في الجولة التاسعة.

يتمكن من الوصول إلى نتيجة، إلا أن رأينا بعد ذلك هو اننا قد وصلنا الى مرحلة حاسمة، وعلينا ان ننتظر ردة فعل رابين والقيادة الاسرائيلية التي بدأت تعطي الاهتمام الاساسي لقناة أوسلو.

الجولة الثامنة: ٢٧/ ٦/ ١٩٩٣:

جرت هذه الجولة في مقر الـ "Fafo" في النرويج ـ أوسلو. ونلاحظ كما اشرنا سابقاً إلى أن أماكن الاجتماعات تتغير في كل لقاء، ولا يتم اجتماعان متصلان في مكان واحد حتى لا ينتبه أحد إلى ما يجري.

كنا حريصين جداً على ان نعرف ردود فعل الاسرائيلين بعد سيل الاسئلة الذي طرحه زينغر في الجولة السابقة. وقد سمعنا ما يطمئن إلى حد ما، سواء ما يتعلق بجدية هذه القناة واعتمادها، او بمحاولات الآخرين لفتح قناة مشابهة، او اعتبار أوسلو تمهيدا لواشنطن او قناة مؤقتة تدعم واشنطن. الا ان أهم ما قاله:

زينغر: لدينا تفويض بتقديم مقترحات للوصول الى صيغة نهائية، وهذه الصيغة تقدم في واشنطن للاخراج وليس للتفاوض عليها أو اجراء اي تغييرات فيها، اما المنهج فهو:

- الحفاظ على هيكل إعلان المبادىء المقترح.
- اقتراح وثيقة محضر متفق عليه يكون جزءا من الاتفاق.
- عدم إدخال مفاهيم جديدة الى الوثيقة.

راجع رابين المحاضر جملة جملة. وهو يريد كل الاتفاقات مكتوبة ومحددة، إلا انه لا زال يشك بمصداقية المنظمة، وهل هي تناور وتخادع؟

ابو علاء: نصارحكم باننا حريصون أيضا ولدينا شكوك حول تمسككم بهذه القناة، وهي قناة شرعية أم فرعية. اما بالنسبة للنصوص فلا نرى ضرورة لأية تغييرات.

زنغر: لا أعتقد اننا سنناقش كل شيء خلال يومين، خصوصاً وان الولاية الجغرافية تحتاج الى وقت طويل، كذلك فقد طلب رابين ان يطمئن لتحرك الاسرائيليين ووجودهم وحريتهم وتنقلهم في حال الانسحاب من غزة واريحا. كذلك نحن نريد ان نناقش مسألة«تنفيذ» القرار ٢٤٢ لأن القضية ليست ميكانيكية، حيث نفهم ان التفاوض حول الوضع النهائي سيتضمن التنفيذ النهائي. كذلك لا بد من مراجعة مواضيع المرحلة النهائية والنازحين وموضوع ترشيح أهل القدس في الانتخابات وغيرها.

ابو علاء:واتبع ابو علاء اسلوب طرح الاسئلة حتى يعرف موقف الاسرائيليين حيال عدد من القضايا التفصيلية الضرورية لفهم الاتفاق. فسأل عن غزة واريحا، فيما يتعلق بالمعابر والأمن، وعودة القياديين والقوات الدولية والممر الذي يربط المنطقتين والمستوطنات ولجان الارتباط ونطاق السلطة والاوامر العسكرية ومراجعة القوانين والأوامر ومجالات نقل السلطة والمجلس المنتخب والانتخابات وموعدها.

زينغر: بالمقابل طرح زينغر قضايا كثيرة بالنسبة للممرات وتحرك القوات العسكرية والمستوطنات، وناقش بسلبية طلب وجود قوات دولية. وكذلك شرح موقف حكومته من المعابر وغيرها مثل القدس والمستوطنات، حيث اكد أن القدس لن يشار إليها باكثر من مسألة الانتخابات، ولكنها تناقش في المرحلة النهائية. واما المستوطنات فلن تعلن الحكومة أية سياسة تتعلق بإزالة المستوطنات أو تفريغها، إلا اذا بادر المستوطنون أنفسهم لتركها طواعية. ولكن الحكومة ستتبع سياسة الاحجام عن دعم بعض المستوطنات السياسية، إلا انها لن تشير الى ذلك حيث ان الفكرة المبلورة لديها هي ان التعامل مع المستوطنات، يتم بشكل تدريجي لتسهيل بحث مصيرها في مفاوضات الوضع النهائي.

ثم قدم نقاطا مقترحة للتفكير حول الاعتراف المتبادل وهي:

١ ـ منظمة التحرير تعترف بحق اسرائيل في الوجود وتلتزم بالتعايش السلمي معها.

٢ ـ منظمة التحرير تعترف بالقرارين ٢٤٢و ٣٣٨.

٣ ـ منظمة التحرير تنبذ الارهاب والاعتداء على الاسرائيليين.

٤ ـ منظمة التحرير تعلن توقفها التام عن ممارسة كل أشكال الارهاب.

٥ ـ منظمة التحرير لاتدعم أية أطراف تقوم باعمال ارهابية ولا تحرض على ذلك.

٦ ـ منظمة التحرير تعلن إنه على ضوء الالتزام بعملية السلام، فانها تعتبر كل البنود الواردة في الميثاق والمتناقضة مع هذه العملية باطلة.

٧ ـ منظمة التحرير ملتزمة بعملية السلام وأهدافها وفق ما جاء في رسالة الدعوة.

٨ ـ منظمة التحرير بعد تسلم المجلس المؤقت للسلطة تدعو الى وقف الانتفاضة.

٩ ـ منظمة التحرير تدعو مصر ودولاً أخرى لوقف المقاطعة العربية لاسرائيل.

لقد كانت المسافة الزمنية قصيرة بين الجولة السابعة والجولة الثامنة، حيث حرص الوفد الاسرائيلي على العودة السريعة إلى أوسلو لتاكيد حرصه على متابعة هذه القناة. ولم يكن يقصد الوصول إلى اتفاق في هذه الجولة بمقدار ما كان يقصد تطمين الجانب الفلسطيني إلى أنه جاد في التعامل معه. ولذلك فقد كان الحوار فيها يجري لإغناء البحث وتوسيع الآفاق والدخول في تفصيلات كثيرة حتى يستوعبها المشروع الجديد لاعلان المبادىء والمقترح.

الا ان النقلة النوعية الأخرى التي تمت بحضور زنغر، إضافة الى اعتماد رابين لهذه القناة بشكل كامل، كانت وضع الاسس من وجهة النظر الاسرائيلية التي يقوم عليها الاعتراف المتبادل بين المنظمة ودولة اسرائيل. حيث أن المقولات السابقة كانت تسير نحو اتمام اتفاق في أوسلو، ثم عرضه في واشنطن على الوفد الفلسطيني ليتولى التوقيع عليه، كمشروع امريكي مقترح. بينما الذي حصل الآن هو ان المنظمة

يمكن ان تكون الطرف المعلن كما هي الطرف السري في المفاوضات، إذا استكمل الطرفان مسألة الاعتراف المتبادل.

والطريف في الأمر اننا كنا حريصن أولا على إنهاء إعلان المبادىء، وعلى أن نبحث فيما بعد الاعتراف المتبادل، وهذا ما حصل بالفعل، مع فارق بسيط هو ان الصحافة الاسرائيلية كشفت الجزء الأول من العملية قبل اتمام الجزء الثاني. ولذلك فقد اختل السيناريو الذي وضعناه في السابق.

منذ الجولة الثامنة هذه بدأت التصريحات المتفائلة تصدر عن المسؤولين الاسرائيليين وبالذات عن وزير الخارجية شمعون بيريز الذي كان يقول بأن الاتفاق الفلسطيني ـ الاسرائيلي قاب قوسين أو أدنى وانه أقرب مما يتصور الجميع، بينما تشير كل أخبار واشنطن إلى الفشل التام. وقد وضعتنا هذه التصريحات الفاقعة في موقف حرج مع القيادة الفلسطينية والقيادات العربية التي كانت تتساءل عن السر الخفي وراءها دون ان تجد منا جواباً إلا النفي المطلق، مع الاشارة الى ان بيريز يبدو متفائلا أكثر مما يجب. الا ان الأمر تجاوز مسألة الايجابية والحديث عن قرب الوصول الى الاتفاق، إلى الحديث الايجابي عن منظمة التحرير الفلسطينية وانها هي القادرة على التفاوض والالتزام وغير ذلك.

في هذا الوقت كانت تصريحات القيادة الفلسطينية متشائمة للغاية وكثيراً ما كان عرفات يجيب عندما يسأل عن نتائج المفاوضات بأنها صفر كبير "Big Ziro"، ومثله كان يفعل الكثيرون. بينما كنت دائما أميل في تصريحاتي إلى التفاؤل والتهدئة مخترعاً كثيرا من الاسباب التي تدعوني إلى ذلك، دون ان أشير من قريب او بعيد الى قناة أوسلو. الا انني في نفس الوقت كنت أبعث برسائل لبيريز عبر وفدنا ووفده المفاوض بأن يخفف من تفاؤله الذي لا نستطيع ان نجاريه فيه، فكان يرد بانه مضطر لأن يفعل ذلك حتى يهيء الرأي العام الاسرائيلي لتقبل الخطوة القادمة.

وباختصار فإن جواً ايجابيا قد ساد الوضع في الشرق الاوسط، وراحت كثير

من وسائل الاعلام الاسرائيلية والغربية تصعد من نشر أخبار تتعلق بالقنوات السرية، والاتصالات الخفية بين الاسرائيليين والفلسطينيين، لكن هذه الأخبار لم يلتفت اليها الجميع ولم يهتموا بها والسبب انها اشاعات لا تقوم على أساس. وهذا ما ساعدنا على استكمال مسارنا دون ان نخشى كشف اسرارها.

ان ما توضحه الجولات القادمة، سيعطي فكرة كاملة عن التقدم الجدي في مسار أوسلو، بما يوحي أن المسألة أصبحت ناضجة وإن الاتفاق فعلا - كما قال بيريز - أصبح قاب قوسين أو أدنى.

الجولة التاسعة ٦ / ٧/ ١٩٩٣

في هذه الجولة تقدم الاسرائيليون بمشروع جديد يعتبر من حيث البناء أفضل من المشروع السابق ولكن فيه تراجع كبير في القضايا الجوهيرة الاساسية. إلا انهم استمعوا الى الملاحظات التي أبداها وفدنا وكان واضحاً انهم ابتعدوا في حوارهم عن المناورة والتكتيك لأنهم ابدوا رغبة في الوصول الى اتفاق نهائي يتم توقيعه على النحو التالي من خلال مرحلتين:

الاولى: بين المنظمة وممثل حكومة اسرائيل في أوسلو.

والثانية: بيريز وفيصل في احتفال رسمي في واشنطن بحضور الامريكان والروس. حيث يمكن ان يتم الاعلان الرسمي عن عمل قناة أوسلو.

وجرى حوار مطول حول مضمون الاتفاق المقترح من قبل الاسرائيليين، وأرسل لنا لنطلع عليه ونبدي الملاحظات المطلوبة. الا ان هناك نقاطا اشار اليها الوفد الاسرائيلي يوردها المحضر وهي:

١ - الامريكان: لدى الاسرائيليين قدر من المخاوف من الامريكان حتى لا يقتلوا هذا الانجاز كما قتلوا اتفاق لندن(حسين - بيريز) وذلك بسبب حسابات داخلية بحته وبخاصة وان التفاوض يجري الآن مع المنظمة مباشرة.

لفت نظري ان الاسرائيليين انفتحوا على وفدنا ليتحدثوا عن الامريكان بهذه

الصراحة والجرأة والنقد، كما لفت نظري انعدام الثقة بالموقف الامريكي، مع تحديد اسماء معينة بالادارة الامريكية. يشعر الاسرائليون ان هذه الاسماء تحاول ان تحرف المفاوضات عن مسارها الطبيعي لاسباب شخصية. انما أهم من كل هذا رفض الاسرائيليين للمسودة الامريكية التي قدمت في الجولة العاشرة وعدم اقتناعهم بها. في نفس الوقت الذي كنا نحن ايضا غير مقتنعين بها، ولكننا كنا مضطرين لمناقشتها والتعامل معها حتى لا تغضب الادارة الامريكية. ويبدو ان الاسرائليين كانوا من نفس الرأي والموقف. ولا بد لنا من ان نشير الى ان حوارنا الداخلي حول الوثيقة الامريكية هو الذي أدى ببعض أعضاء وفد واشنطن الى تقديم استقالته وإثارة ضجة اعلامية ضخمة.

لقد استغرب الكثيرون من المفاوضين الفلسطينيين ولجنة المتابعة، تعاملي مع المسودة الامريكية بكثير من اللامبالاة وعدم الانتباه، حيث كنت أقبل أية تعديلات يقترحها الزملاء دون تفكير او معارضة. وأعيد هذا لسببين، أولهما انني أعرف الموقف الاسرائيلي منها، والثاني انني أرى ان ما يجري في واشنطن غير قابل للتطبيق، في الوقت الذي كنا على أبواب اتفاق كامل في أوسلو.

٢ ـ المنظمة: لاحظ وفدنا ان الاسرائليين أصبحوا يتعاملون مع المنظمة كطرف وحيد للتفاوض والاتفاق. وان كان لديهم بعض المخاوف والملاحظات، فإن المصادقية التي سادت محادثات أوسلو خلال سبعة أشهر بتراكماتها، قد ساهمت في إرساء قواعد لبناء الثقة وامكانات التعايش.

٣ ـ غزة ـ اريحا: لقد اقتنع الاسرائليون أخيراً بأهمية الانسحاب من اريحا إضافة إلى غزة ليتم الانسحاب من المنطقتين في وقت واحد، إلا انهم لا زالوا يرون أن ما يمكن ان يطبق في غزة لا يمكن ان يتماثل مع ما يطبق في اريحا.

٤ ـ القدس: رفض الاسرائيليون مجرد ذكرها وخاصة في الانتخابات وقالوا بأن هذا الموضوع يسقط الحكومة.

٥ ـ النازحون: أيضا رفضوا الاشارة إليهم.

٦ ـ الأمن: وضعوا مفهومهم للأمن فيما يتعلق بالأمن الخارجي وانسحابه ايضاً على الأمن الداخلي من الناحية العملية.

٧ ـ التحكيم: لامجال إطلاقا لقبول فكرة التحكيم لأنهم يعتقدون اننا سنذهب الى التحكيم في كل صغيرة وكبيرة، الأمر الذي يعطل كل شيء.

بعد دراسة المشروع الاسرائيلي وملاحظات الوفد والموقف الاسرائيلي، فقد حددنا موقفنا بالنسبة للنقاط المذكورة أعلاه وفي نفس الوقت أعطينا التعليمات التالية للوفد:

١ ـ لا بد من ذكر تنفيذ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ بوضوح وربط المرحلتين.

٢ ـ لا بد من تحديد واضح لمواضيع المرحلة الانتقالية.

٣ ـ حل الحكومة العسكرية إلى جانب حل الادارة المدنية.

٤ ـ يشارك أهل القدس في الانتخابات ولا يصوتون فقط.

٥ ـ يحق لنا ان نشكل الشرطة من الداخل والخارج.

٦ ـ اتفاق غزة ـ اريحا جزء من إعلان المبادىء وليس اتفاقاً منفصلاً.

٧ ـ يسلم القطاع واريحا للمنظمة.. عندما الاعتراف المتبادل.

الجولة العاشرة: ٢١ / ٧ / ١٩٩٣ فندق هالفورس بولا:

لقد تبلور مشروع الاتفاق من أجل إعلان المبادىء، كإطار مقبول من حيث المبدأ، لكنه كما لاحظنا يحتاج الى تعديلات كثيرة من وجهة نظرنا حتى يصبح متوازنا ومقبولا قابلاً للتسويق في الساحة الفلسطينية، وقابلا للتطبيق في المستقبل، وهذا فرض علينا ضرورة الانتباه الى كل كلمة وجملة وتعبير، حتى الفواصل والنقط كان مهما التمعن فيها، كي لا نقع في أخطاء أو مطبات تكون لها نتائج تدميرية.

كنا نفاوض وفداً متمرساً متمكنا وصاحب تجربة طويلة في المفاوضات مع

أطراف أخرى، وبخاصة مع المصريين وبالاضافة إلى أنه يستند إلى أطقم كثيرة متخصصة قادرة على أن تزوده بكل المعلومات والتحليلات والافكار والبدائل. بينما وفدنا لايملك مثل هذه التجربة، وليس لدينا الامكانات المتوفرة للاسرائيليين، وإن توفرت فلا نستطيع الاستفادة منها بشكل مباشر، لأننا فرضنا على هذه المفاوضات نطاقاً من السرية والكتمان حال دون استفادتنا من كل الطاقات الموجودة لدينا.

وأذكر أننا اختلفنا على استعمال حرف أثناء نقاشنا مسألة النازحين وقبول الاسرائيليين من حيث المبدأ الاشارة اليهم. فقد ذكر الاسرائيليون: «لا يجحف بحق النازحين لانهم لن يتمكنوا من المشاركة في الانتخابات». فطلبنا ان يصبح النص «لا يجحف بحق النازحين اذا لم يتمكنوا من المشاركة في الانتخابات». وقد استمر النقاش جلسات مطولة حول استعمال كلمة "Because" أو "If" وفي الواقع لم نتمكن في النهاية من وضع مفهومنا وبقي النص كما هو.

والأمثلة كثيرة على هذا النمط من النقاش. ولا بد لي أن أقر انه طيلة مفاوضات أوسلو لم نعرض النصوص على مستشار قانوني خشية تسريبها. ولذلك كنا نعتمد على خبرتنا وتجربتنا في التعامل مع النصوص، وقد حاولت ان أستفيد من بقايا المعلومات القانونية التي تلقيتها اثناء دراستي الحقوق في جامعة دمشق. ولكنني لا أستطيع أن اعتمد عليها لأنني لا استطيع أن أصنف نفسي خبيراً قانونياً.

ولكن لا بد لي من أن أذكر أيضا إننا لم نوقع بالاحرف الاولى على وثيقة إعلان المبادىء يوم ٢٠/ ٨/ ١٩٩٣ الا بعد أن اطلع عليها المستشار القانوني طاهر شاش الذي استدعي الى اوسلو لهذا الغرض.

في هذه الجولة عرضت الملاحظات الفلسطينية على المشروع الاسرائيلي وطلب الوفد الاسرائيلي مهلة ساعة لمراجعتها وتقديم وجهة نظره حولها، ولما استؤنفت الجلسة ظهر ان الجو متوتر للغاية وان الاسرائيليين يشعرون بخيبة أمل شديدة لاعتقادهم أن الملاحظات الفلسطينية لا تعدل مشروعهم فحسب بل تنسفه من أساسه.

أوري سفير: بعد سماع نقاطكم أشعر بخية أمل لدينا جميعا. أنتم أسأتم فهم موقفنا تماماً. إن المسألة الآن ليست مسألة عقبات لغوية، بل مواضيع ومفاهيم أساسية نختلف عليها تماماً. مثلا:

- لا يمكن قبول ربط مؤسسات القدس بالمجلس المنتخب.

- تحدثتم عن السيطرة على الممرات وهذا لا نقبله.

- نازحو ١٩٦٧ ذكرتموهم، ونحن لا نقبل ذلك الا في المرحلة النهائية.

- ان الحديث عن سلطة تنفيذية وتشريعية وقانونية غير مقبول في المرحلة الانتقالية.

- لانقبل قوات أجنبية في غزة واريحا، وان الممر بينهما سيقسم بلدنا إلى قسمين وهذا غير مقبول.

- ان ذكر الحقوق الوطنية مسألة تتعلق بالدولة وترتبط بها وهذا غير مقبول.

- لقد طلبتم اريحا كرمز والان تتحدثون عن منطقة وكذلك غزة.

ابو علاء: لقد قلنا لكم في الجولة الماضية ان لدينا نقاطاً هاماً ولم نستكمل النقاش، ولا بد ان تعرفوا ان الوثيقة اذا لم نتمكن من تسويقها لدى الرأي العام فلن يكتب لها النجاح، وهي بالصيغة المقترحة من قبلكم لا يمكن تسويقها. فالقدس لا يمكن تجاهلها، أو تركها للمرحلة النهائية دون ذكرها الان، والأمن لا يهمكم وحدكم، والنازحون لا بد من بحث مسألتهم والسلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية ليست بدعة، وان كنا في مرحلة انتقالية.

هيرشفيلد: نحن حولنا هذه القناة من قناة خاصة الى قناة رسمية وتشارك فيها قيادتنا، وهذا بحد ذاته تقدم كبير. الا ان التغييرات التي جلبتموها تجعل من هذا اليوم يوماً أسود.

أوري سفير: لا نستطيع مناقشة الافكار التي طرحتموها، ولو فعلنا ذلك وعدنا

الى رابين وبيريز فسيطلبون منا إغلاق هذه القناة فورا. ولذلك وحرصاً على هذه القناة فلا حاجة لكتابة محضر.

ابو علاء: نحن لن نكرهكم على أمر لا ترغبونه، نحن نريد الوصول الى اتفاق، وكل أمر بالنقاش يمكن به الوصول الى نتيجة، نحن مستعدون لبحث وضع صيغة جديدة يعود بها كلٌّ الى قيادته.. هذا إذا شئتم.

ورفعت الجلسة بتوتر شديد بين الطرفين، الى صباح اليوم التالي ١٢/ ٧/ ١٩٩٣.

أوري سفير: ان الحديث عن الحقوق الوطنية غير مقبول الآن لأنه حديث عن الدولة والسياسة، وليس وقتها الان، ويتم الحديث عنها في المستقبل. اما بالنسبة للولاية الجغرافية فنرجو ان تفهموا اننا حريصون على الأمن نظرا لخبرتنا وللحروب ولصغر حجم بلدنا. ان الأمن عندنا ليس هاجساً بل حقيقة. وعلاقاتنا معكم التي مرت عبر صراع طويل لا تعطينا الثقة الآن حتى نطمئن. كذلك لا بد من بحث مسألة النازحين مستقبلا. اما موضوع القدس فهو حساس جداً، ولا نفهم لماذا تصرون على التحكيم حيث سنكون أفضل شركاء، ولسنا بحاجة لأطراف أخرى تدخل لتبحث مصالحها. هذا وسنبحث عن حل براغماتي لمشاركة فلسطينيي القدس في التصويت والترشيح.

يونيل زينغر: ان اتفاق إعلان المبادىء يجب ان يتضمن بنوداً تتعلق بغزة ـ اريحا على النحو التالي:

١ ـ إنسحاب رمزي من اريحا وكامل غزة باستثناء المستوطنات التي تخضع لحماية الجيش الاسرائيلي.

٢ ـ اما اريحا فليس فيها مستوطنات ومشكلتها غير معقدة.

٣ ـ تحتاج الممرات لتفصيلات كثيرة ولذلك لن يشملها الاتفاق.

٤ ـ غزة واريحا غير معزولتين وهما جزء من الحكم الذاتي.

٥ ـ سلطة البوليس الفلسطيني في غزة اقوى من سلطته في باقي المناطق ونقبل ان تدخل قواتكم بمجرد الانسحاب.

٦ ـ نوافق على تواجد مراقبين أجانب وليس قوات.

٧ ـ من حيث المبدأ لا اعتراض على عودة قيادة المنظمة، وانما الامر يخضع لاتفاقية منفصلة توضح من جملة ما توضح حرية تحركها واستخدام الطرقات.

ابو علاء: ان ذكر المنظمة في إعلان المبادىء، يحتاج الى لقاء او خطوة دراماتيكية بمعنى أن يتم لقاء بين رابين ـ ابو عمار.

يونيل زينغر: هذا يعني دمج المرحلتين، وفيه مخاطرة، وبالتالي يجب ان تكون الالتزامات واضحة وفي اعتقادي اننا بحاجة الى وقت أطول.

اوري سفير: هذه مجرد أفكار وليست اقتراحاً رسميا منا، والفكرة هي تبديل عملنا من فرقة يعزف لها عود الى فرقة تعزف لها اوركسترا. واذا عدنا الى الحديث عن غزة واريحا، صحيح ان الفجوة بيننا كبيرة ولكن الافكار المطروحة مقبولة. الا ان أهم شيء هو عامل الوقت الذي قد يسيء الى السرية التي تحيط بهذه القناة. وسنسعى مع قيادتنا للتغلب على العقبات. واذا احتجنا الى اتصال سريع فيمكن ان نتحدث عبر تيري لارسون، او نلتقي لساعة أو أكثر في دولة اوروبية، انما يجب ان يكون واضحا انه خلال اسبوعين او ثلاثة تكون الامور ناضجة للتوقيع.

ابو علاء:سنعود الى قيادتنا وانتم كذلك، ونلتقي حسب الموعد المعروض وآمل ان نكون جاهزين لاعداد الوثيقة المشتركة والنهائية.

تعليق:

على الرغم من اننا لم نحقق اتفاقا مع الاسرائيليين في نهاية الجولة العاشرة، إلا اننا نستطيع القول باننا اصبحنا على ابواب اتفاق، ولذلك كان علينا ان نوسع قاعدة المعرفة لقناة أوسلو، وان نسعى الى تعبئة الاجواء لتقبل ما نحن مقبلون عليه، بخاصة وان كل المعلومات والاخبار تشير الى فشل مفاوضات واشنطن، كما تتحدث

عن خلافات بين القيادة والوفد المفاوض الذي يتمتع بسمعة عالية وطيبة على كل المستويات.

ولذلك فإن الخوض في التفاؤل يبدو عسيراً وصعباً ولا يمكن تصديقه، ومع ذلك فقد خضت التجربة، وبدأتها مع المجلس الثوري لحركة فتح الذي انعقد السابع عشر من تموز/ يوليو ١٩٩٣. إلا أنني جذفت ضد التيار عندما تحدثت عن ايجابيات ظهرت في الجولة التاسة والعاشرة في واشنطن، وحاولت جهدي ان أبرز نقاطاً بسيطة، لأؤكد ان المفاوضات بشكل عام لم تفشل وان أمامنا فرص كثيرة للنجاح. ثم انطلقت بحديث جازم وحازم وقلت: حتى نهاية هذا العام سيقع اتفاق لا محالة بيننا وبين الاسرائليين. وهذا الاتفاق قد يكون مفروضا من الامريكان، وقد يرضيكم وقد لا يرضيكم، وقد يرضي الاسرائيليين او لايرضيهم ولكنه سيقع، انني أتحدث عن معلومات وليس ضربا بالرمل او التنجيم. وإن هذا سيقوم على أساس مرحلتين، انتقالية ونهائية مدة الاولى سنتان والثانية تصل الى خمس سنوات، سنتمتع فيه بحكم ذاتي انتقالي، لا مجال في الفترة الاولى للحديث عن السيادة، قد يحصل انسحاب من غزة واريحا، وان المستوطنات والقدس واللاجئين، سيؤجل البحث فيهم الى المرحلة النهائية.

وباختصار شرحت أوراق اوسلو بالتفصيل دون ان أذكر كلمة أوسلو أو اشير الى أية مفاوضات تجري في قنوات خلفية. وفعلت في اليومين التاليين الشيء نفسه في اللجنة المركزية. وقد جرى حوار مطول حول هذه الطروحات التي اعتبرها البعض خيالية ولا يمكن تطبيقها او وجودها، لذلك فقد حاول بعض من يظهرون التشدد ان يضعوا شروطاً يتصورون انه لا يمكن تطبيقها وذلك من أجل الاحراج. فقد قيل مثلا: «إن حصولنا على انسحاب من غزة واريحا بوجود المنظمة هناك يعتبر كافيا جداً». الا اني اعترضت على هذا الكلام وقلت له: «بدون إعلان مبادىء فان مثل هذا المشروع لن يكون وطنيا حتى ولو كانت المنظمة على رأس السلطة في غزة واريحا، ولذلك لا بد من وضع هذا الاعلان أولا ويتضمن انسحاباً من غزة واريحا.. اما وجود المنظمة فهذا أمر غير مطروح الان

قلت هذا وانا أعرف اننا نبحث موضوع الاعتراف المتبادل، لكن كنت اخشى ان لا نصل إلى اتفاق حوله، فينسى المعترضون كل انجاز ويتمسكون فقط بوجود المنظمة، مع أنه لم يكن مطروحاً مشاركة المنظمة في الاساس الا في المرحلة النهائية حسب رسالة التطمينات، التي أشرت اليها بطريق غير مباشر، عندما تحدثت عن مشاركة الخارج.

كان البعض يعتقد اننا نجري اتصالات سرية عبر مصر، وكانوا يتكهنون بأن مثل هذه المعلومات تأتي عبر هذه القناة، وأُشيرَ إلى معلومات ترد من الادارة الامريكية ومن أوساط اسرائيلية بأن هذه الادارة تعد العدة لمشروع تفرضه على الطرفين. في أوساط كوادر المنظمة وحركة فتح كانوا يصدقون ما أقول لأنهم لم يتعودوا مني أن أبالغ أو أقلل عندما أتحدث عن أي موضوع. وانما أكتفي بذكر الواقعة كما هي، ولذلك كان يطمئن الى كلامي كل من يتفق معي أو يعترض علي.

الجولة الحادية عشرة في ١٩٩٣/٧/٢٥

فندق هولفو شيولي ـــ مركز المؤتمرات:

اتسمت هذه الجولة والتي بعدها بعملية العض على الاصابع، والعد العكسي لمرور الزمن كان عاملاً ضاغطاً على الطرفين للوصول إلى اتفاق، خشية ان تتسرب أخبار القناة فتفشل، ولذلك دخلنا سوياً في التفصيلات على أرضية مشروعنا الذي قدمناه في البداية. وقد ظهر فيه كثير من نقاط الاختلاف الجوهرية واللفظية والشكلية.

لقد كنا نشعر ان الاسرائيليين يحاولون استغلال الضغوط لنقبل بما يعرضون، وكنا نقول للوفد بأن لا يبدي أية اهتمامات لهذه الضغوط لانها طبيعية في المفاوضات، وان لا يخضع لابتزاز حتى نحصل على الحد الادنى المطلوب لنجاح هذا المشروع. أضف الى ذلك اننا نتحمل مسؤولية كاملة أمام القيادة التي لا تعرف شيئا والتي ستجد ألف سبب وسبب للرفض، وستبحث عن عيوب في الاتفاق قبل ان ترى

الايجابيات. ومن هنا كان لا بد من تمحيص كل كلمة وكل جملة وكل عبارة لنتمكن في النهاية من الدفاع عن الاتفاق.

كلما اقتربنا من ساعة الصفر كلما انتابنا شعور مزدوج ولكنه متناقض، فمن جهة أصبحنا على أبواب اتفاق تاريخي، ومن جهة أخرى كنا امام ثقل المسؤولية التي تحملناها وامام القيادات والجماهير والعرب بشكل عام. ومع ذلك فقد كنا جميعا، وفد المفاوضات والمشرفين عليه، مستعدين لذلك.

نحن نعرف الاسرائيليين لا يفتأون في كل مناسبة ان يعبروا عن شكوكهم حول موقفنا ورغبتنا الحقيقية في الوصول الى اتفاق، وحول قدرتنا فعلا على التوقيع إذا حان موعد التوقيع، وكانوا كلما أثرنا قضية ما يتصورون اننا انما نبحث عن ذرائع وأسباب حتى نتملص من التوقيع.

في هذه الفترة طلع علينا الامريكان بفكرة التسليم المبكر للسلطات مقابل ان تقدم بعض المساعدات الاقتصادية، وقد طرح هذا الحل لمواجهة الطريق المسدود الذي يعترض المفاوضات في واشنطن.

صادف هذا الاقتراح موافقة من أوساط وفد واشنطن، الذين وجدوا فيه طاقة للتنفس في ظل الاختناق الذي يعاني منه شعبنا داخل الارض المحتلة، وعلى ضوء الشلل الذي أصاب مفاوضات واشنطن، الا ان القبول بهذا الاقتراح يشكل خطراً شديدا على مجمل عملية السلام، لأنه قد يكون البداية والنهاية في آن معا.

لقد حاول الوفد الامريكي أن يسوّق هذه الفكرة وان يزينها ولم يكن لدى الاسرائيليين أي اعتراض على ذلك، ولا شك اننا لاحظنا في الجولة التاسعة من مفاوضات أوسلو ان الاسرائيليين يتحدثون عن مساع يقوم بها دينيس روس ليحقق مكاسب شخصية. والواقع ان الربط بين الفكرة وأقوال الوفد الاسرائيلي هي من قبيل الافتراض وليس معلومات لدينا. وبالمقابل كنا نرى النرويجيين يضعون ثقلهم في المفاوضات، وان كان بشكل غير مباشر لانجاح قناة أوسلو، ليس من أجل المكسب المعنوي الذي يمكن ان يحققوه فيما لو توصلنا الى اتفاق، وهذا أمر ومطلب

مشروعان، ولكن كنا نشعر بالرغبة المتوفرة لديهم للوصول الى السلام الفلسطيني ـ الاسرائيلي.

لقد جاءت فكرة النقل المبكر للسلطة في الوقت الذي قدم فيه فيصل الحسيني وحنان عشراوي وصائب عريقات استقالاتهم من الوفد. ولكنهم ما لبثوا ان تراجعوا عن هذه الاستقالات كما تراجعوا عن التفكير بمسألة النقل المبكر للسلطة لأننا بصرناهم بمخاطرها، وأبلغناهم بأن الطرق المسدودة في واشنطن والاحباط الذي نشأ عن هذا الأمر لا يبرر القبول بأفكار من هذا النوع.

وقائع الجولة الحادية عشرة

بدأت هذه الجولة بالتوتر الشديد:

أوري سفير: لم نستقبل بعد عودتنا من الجولة الماضية بالارتياح، لاننا لم نكن نحمل نتائج ايجابية، وقد أخذنا بعين الاعتبار الملاحظات التي حملها«تيري لارسون» اثناء وجوده في تونس. اننا نواجه عامل الوقت ومشكلة تسرب المعلومات، ان الذين يعرفون عن عملنا ينفون علمهم، والذين لا يعرفون يصرحون، نرجو ان تسمعونا افكاركم الجديدة حول عملنا.

ابو علاء: جئنا الى هذا اللقاء على أمل الوصول الى الصيغة النهائية التي تنقلنا من مرحلة التفاوض على النصوص الى مرحلة التطبيق والتفاهم على الأرض. اننا نعتقد ان الوقت أصبح مشكلة جدية تماما، فلم يعد عملنا محصوراً في الاطار الذي بدأنا به، صحافتكم تجتهد وتخترع كل يوم قصة، وكذلك الصحافة العربية، والعيون الدولية والعربية ترصد تحركتنا، هذا بالاضافة إلى أن الراعي الامريكي قد بدأ ينشط، فنحن على أبواب زيارة دينيس روس وكريستوفر ووزير خارجية روسيا. هناك أطراف كثيرة لن يروق لها وصولنا إلى اتفاق على هذا النحو. ولذلك فقد أعددنا موقفنا في مشروع متكامل وموضوعي يراعي كل العوامل والقضايا.

وبعد ذلك وزع المشروع الفلسطيني الذي جلبه الوفد معه ورفعت الجلسة

لقراءته، خاصة وان الاسرائيليين كانوا قد سلموا وفدنا نسخة عن مشروعهم.

أوري سفير(في الجلسة المستأنفة): لقد سعينا مع قيادتنا للتخفيف من حدة موقفكم السابق، ذاكراً إن الامور الجديدة فيه هي مجرد مقترحات. إلا أننا نجد أن هناك ستة وعشرون تعديلاً في وثيقتكم الموزعة علينا. وبكل الصراحة لو أخذنا التعديلات المقدمة من قبلكم وعرضناها على قيادتنا فاعتقد انها ستكون نهاية هذه القناة. ومع ذلك دعونا نستعرض الوثيقة بنداً بنداً لكي تتعرفوا على الاقل على الفجوة الكبيرة بيننا.

ابو علاء: يزعجني كثيراً عبارات إنهاء هذه القناة التي تكررت من أوري سفير، ان أهم شيء نقوم به نحن وانتم، ان نقنع قيادتنا بالمعالجة العقلانية لقضاياالمرحلة الانتقالية وضرورة الاتفاق. اعتقد ان الوثيقة الاولى التي أعدت في ساريسبورغ هي الأرض الأساسية في النصوص والملحقات، ثم جرت تعديلات مشتركة وبقيت قضايا معلقة.

إذا قرأتم هذه الوثيقة محكومين بقراءات سابقة، فمن الممكن ان تجدوا ليس ستة وعشرين تعديلا، بل مائتي تعديل، وإذا قرأنا نحن وثيقتنا من جديد سنجد فيها الكثير من النواقص، ولكنني اعتقد أنه اذا قرأناها بشكل مشترك، سنوفق لجسر الهوة والوصول الى قناعات مشتركة.

أوري سفير: لنتدارس وثيقتكم ونسعى لمقارنتها مع المواقف التي وصلنا الى اتفاق حولها لاجراء عملية انقاذ.

وهنا أخذ الطرفان يراجعان المشروع بنداً بنداً وكلمة وكلمة، ثم يثبتان النقاط المتفق عليها، ويتركان النقاط المختلف عليها، الى أن أصبحت كل الأمور واضحة سواء المتفق عليها أو المختلف عليها، وقد استغرق هذا وقتاً طويلاً جدا الى أن رفعت الجلسة للاستراحة. وفي الجلسة التالية وزعت الوثيقة التي تم بحثها لتتضمن مواقف الطرفين المختلف عليها موضوعة بين اقواص. وباستعراض الاقواص تبين انه لم يلغى منها الا قضايا ثانوية.

أوري سفير: اقترح ان يقوم كل منا خلال الساعة المقبلة بالاتصال مع قيادته.

ابو علاء: كنت اعتقد ان هناك قضايا يمكن حلها، وقضايا أخرى سنجد لها حلولا مشتركة وقضايا نتشاور عليها مع قيادتنا وتتشارون مع قيادتكم، لكن الوضع الذي أراه مختلف تماماً، حيث ان القضايا الرئيسية لم يتم التعرض لها وما زالت عالقة ضمن أقواص، لقد قبلنا بكل شجاعة مرحلة انتقالية شروطها صعبة على ان تظل مفتوحة بأمل لمرحلة نهائية تعالج جميع القضايا العالقة والصعبة. لكن طبيعة النصوص التي تصرون عليها تضعني في موقع عدم الاطمئنان والثقة لأنها تضع قيداً كبيرا على المرحلة الانتقالية وتحولها الى قضايا المرحلة النهائية. ففي مجال نطاق السلطة ومجال الأمن مثلا، جئتم باشياء لا يمكن التعامل معها، ولا يمكنني شخصياً حتى مجرد التعامل معها أو نقلها الى قيادتي. وكثير من المواضيع الأخرى وضعت بصيغة(حسب الاتفاق) او(كما يتفق عليه)، وهذا يعني انهاتركت مفتوحة.

واليوم تضيفون استثناءات وشروطا جديدة تفقد المشروع كل معنى أو مضمون. كيف يمكن ان تعترضوا على تعبير الحقوق السياسية، ونحن نتحدث ونرسم لمصالحة تاريخية؟ كنت أعتقد ـ ويبدو انني مخطىء ـ انه لا خلاف بيننا على تنفيذ القرار ٢٤٢ في المرحلة النهائية. كذلك كنت أتصور اننا متفقون على تحديد مواضيع المرحلة النهائية مثل القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود والأمن.. الخ، لذلك اتساءل.. ما هو المطلوب؟ وماذا تريدون؟ انني ساعود محبطاً تماماً، فالصيغ التي أمامي تجعل جهود الشهور السبعة الماضية بدون معنى.

ثم طرح ابو علاء مجموعة قضايا أخرى خلافية، وأوحى لمستمعيه انه قد يعتذر شخصيا عن الاستمرار في اداء المهمة وسيطلب من القيادة تكليف شخص آخر غيره[٢].

---

(٢) في الوقت الذي تحدث فيه ابو علاء عن امكانية تخليه من مهمة اوسلو. كنت قد ابلغت في نفس اليوم احمد الطيبي الذي حمل الاسئلة من حاييم رامون بانني أيضا سأتخلى عن مهمة رئاسة لجنة المفاوضات، ويبدو ان هاتين الرسالتين اسهمتا في تغيير موقف القيادة الاسرائيلية وعدلت مزاجها.

أوري سفير: اذا أغلقنا هذه القناة فإن ذلك وللأسف سيلحق ضرراً كبيراً بالمصداقية، وسينهي إمكانية شرح وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية في اسرائيل، مما سيقتل امكانية أي لقاء على مستوى عالٍ، انكم بمطاليبكم هذه تسعون الى كشف المعارضة والحصول على دعمها على الرغم من انها حالة ميئوس منها، فهذا ما تعلمناه من تجربتنا وسط اليمين الاسرائيلي. ان القيادة تتطلب شجاعة لا لكسب المعارضة بل لتحطيمها.

سأذكر شيئاً وبحزن، وهو ان الفلسطينيين هم ضحايا هذا الصراع، ولكن يجب عليكم ان لا تستمروا في الصورة السيئة المأخوذة عنكم وهي انكم تضيعون فرصة من أجل إضاعة فرصة[٣]. ولستم وحدكم في هذات المجال فقد ضيعنا عام ١٩٧١ فرصة عقد سلام مع السادات مما كلفنا ثمنا باهظا[٤].

ان فشل قناتنا سيؤدي الى نتائج سلبية، كأن يقوم تحالف بين الولايات المتحدة وعدة أطراف في المنطقة، ولذلك فانني أفضل ان نتوصل الى اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية مباشرة. نرجو اعادة النظر في المواضيع التي تشكل بالنسبة لنا خطاً احمر. كذلك نحن سنوصي بما يجب ان نوصي به.

انا لست من الذين ييأسون بسرعة، واذا رأيتم أي أمل في انقاذ هذه العملية، فأرجوا ان تبذلوا الجهد متفهين لما هو مقترح عليكم ولما يمكن الحصول عليه. أرجو أن تتصوروا معنى التوقيع على اتفاق، حيث سنبدأ الانسحاب ويتمكن الفلسطينيون من العيش بحرية، وستخلق حقائق جديدة كالتقدم الاقتصادي وبناء الشرطة وغيرها. في نهاية عام ١٩٩٣ ستحكمون غزة واريحا وفي عام ١٩٩٥ ستبدأ

---

(٣) هذا قول مأثور لابا إيبان الوزير الاسبق للخارجية الاسرائيلية.

(٤) كتب موشيه دايان في مذكراته هذه الحادثة وقال: «كنا اتفقنا مع السادات في عام ١٩٧١ على فتح قناة السويس والابتعاد عن جانبيها من طرفنا وطرف المصريين، وعندما علمت الادارة الامريكية بهذا الاتفاق ارسل«نيكسون» مبعوثاً خاصاً وعلى جناح السرعة لمقابلة رئيس الوزراء وابلغها بشكل حازم«ولا انش» اي لا انسحاب اطلاقا» ثم يعلق دايان بقوله: «لو تم ذلك لنا لما كانت حرب يوم الغفران ولا كانت كل الخسائر التي وقعت فيها».

المرحلة النهائية. فما هو البديل لكل هذا؟ انكم تعرفون مشاعرنا.. كم كنت أتمنى أن أخبركم كيف ستستمر اتصالاتنا؟

أهم النقاط الخلافية الواردة في مشروع ٢٥ ـ ٢٦/ ٧/ ١٩٩٣

١ ـ المادة الاولى من اعلان المبادىء / الفقرة الثانية:

الاقتراح الاسرائيلي:

من المفهوم ان الترتيبات الانتقالية هي جزء لا يتجزأ من مجمل عملية السلام، وان مفاوضات الوضع النهائي ستقود الى تنفيذ قراري مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨، كما يتفق عليه بين الطرفين في اتفاقية المرحلة النهائية.

الاقتراح الفلسطيني:

من المفهوم ان الترتيبات الانتقالية هي جزء لا يتجزأ من مجمل عملية السلام وان مفاوضات الوضع النهائي ستقود الى تنفيذ قراري مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨ بكل أوجههما.

٢ ـ المادة الخامسة من إعلان المبادىء:

البند رقم ٣

الاقتراح الاسرائيلي: من المفهوم انه في سياق مفاوضات الوضع النهائي، فإن كل طرف يمكن ان يثير أية قضايا للمفاوضات. الممثلون الفلسطينيون قد ذكروا انهم سيثيرون قضايا: القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، والعلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، وذكرت اسرائيل انها ستثير قضايا الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة وعلاقاتها مع الجيران.

الاقتراح الفلسطيني:

ان هذه المفاوضات تغطي القضايا المتبقية بما يشمل: القدس، اللاجئين،

المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين. وأية قضايا أخرى ذات فوائد مشتركة.

٣ ـ المادة السابعة من إعلان المبادىء

البند رقم ٥

الاقتراح الاسرائيلي:

بعد الاحتفال بتشكيل المجلس فانه سيتم حل الادارة المدنية.

الاقتراح الفلسطيني:

بعد الاحتفال بتشكيل المجلس فإن الادارة المدنية والحكومة العسكرية سيتم حلهما.

٤ ـ المادة الثامنة من إعلان المبادىء:

حول الأمن، والأمن العام

تقرأ المادة على النحو التالي: لضمان الأمن العام والأمن الداخلي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، فإن المجلس سيشكل بوليسا فلسطينيا قويا. بينما ستستمر اسرائيل في تحمل جميع مسؤوليات...

الاضافة الاسرائيلية:

الدفاع ضد أي تهديد خارجي أو تهديد بالارهاب ضد الاسرائيليين وكذلك الأمن العام للاسرائيليين.

الاضافة الفلسطينية:

«بينما ستستمر اسرائيل في تحمل مسؤوليات الدفاع ضد أي تهديد خارجي»

٥ ـ المادة الثانية عشرة من إعلان المبادىء

حول الارتباط والتعاون مع الاردن واسرائيل

الاقتراح الاسرائيلي:

ستقوم حكومة اسرائيل والمجلس بدعوة حكومة الاردن ومصر للمشاركة في تأسيس مكتب لترتيبات الارتباط والتعاون بين حكومة اسرائيل والمجلس من جهة وحكومتي مصر والاردن من جهة أخرى.

الاقتراح الفلسطيني:

سيقوم الطرفان بالاقتراح على حكومتي الاردن ومصر للمشاركة في تشكيل مكتب الارتباط والتعاون بين اسرائيل، المجلس، مصر، والاردن لينظر بين أشياء أخرى في طرق التعاون وحل المشكلات ودراسة ترتيبات عودة نازحي ١٩٦٧.

٦ ـ المادة الرابعة عشرة من إعلان المبادىء:

حول الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة واريحا:

الاقتراح الاسرائيلي:

ستنفذ اسرائيل انسحابا متصاعدا لقواتها العسكرية من قطاع غزة ومنطقة اريحا(كما سيتفق عليه) وكما هو مبين في الملحق الثاني، وسيكون مقر المجلس في اريحا(اقتراح فلسطيني: اريحا او غزة حتى الاحتفال بتنصيب المجلس).

الاقتراح الفلسطيني:

اسرائيل ستنسحب من قطاع غزة ومنطقة اريحا كما هو مبين في الملحق الثاني.

٧ ـ الملحق رقم(١) حول صيغة الانتخابات:

البند رقم ٣: الوضع المستقبلي للنازحين الفلسطينيين الذي كانوا مسجلين في

٤/ ٦/ ١٩٦٧ لن يجحف به.. (اقتراح اسرائيلي: بسبب انهم).. (اقتراح فلسطيني: اذا) لم يتمكنوا في المشاركة في العملية الانتخابية لاسباب عملية.

على الرغم من انتهاء الجولة الحادية عشرة بالتشاؤم الذي عبر عنه الطرفان وهذا التشاؤم هو نوع من الضغط الذي يمارسه كل طرف على الطر الآخر. اقول بالرغم من ذلك، فان نقاط الخلاف قد حددت وحصرت واصبح الحديث حولها وفي اطارها، وهذا يعني ان تقدما هائلا قد وقع، ولكن ما كان يجب ان يغرق احد بالتفاؤل لان الاتفاق قد يفشل في آخر لحظة على كلمة او عبارة او جملة.. ولذلك تكثفت الاتصالات ولعب النرويجيون دورا هاما في تنشيط هذه الاتصالات وتقريب وجهات النظر.

بعد وضع هذا المشروع وتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف نشأت نقطة لدينا، وهي ضرورة الاشارة الى المعابر(معبر غزة - مصر) و(معبر اريحا - الاردن) مع مطالبتنا بان تكون السيطرة لنا عليهما.

هذا وقد كان متوافقا عليه بين الوفدين اننا في اللحظة التي ننهي فيها التوقيع على اعلان المبادىء ننخرط فوراً في مباحثات من اجل الاعتراف المتبادل والذي سيتمخض عنه - ان حصل - الاتفاق حول انتقال القيادة الى قطاع غزة واريحا. كذلك فقد طلبنا رسالة موجهة الى وزير خارجية النرويج من وزير خارجية اسرائيل حول مؤسسات القدس الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها والمحافظة عليها. وبهذا يصبح اطار الصورة للاتفاق الكامل واضحا، ويبقى ان تسد بعض الثغرات المشار اليها اعلاه والتي تحتاج الى مفاوضات مضنية، كانت مفاوضات الربع ساعة الاخيرة.

الجولة الثانية عشرة: ١٤/ ٨/ ١٩٩٣

كرست هذه الجولة من قبل الطرفين لمحاولة ازاحة الاقواص عن بعض النقاط المختلف عليها، وتبع هذا، الدخول في مباراة حول استعمال التعابير والكلمات

واحيانا الفواصل والنقاط، لان كلا من هذه الامور تؤدي الى معاني مختلفة حسب استعمالها ومكان استعمالها.

يونيل زينغر: استعرض بعض النقاط التي يرى ضرورة التركيز عليها بالنسبة للموقف الاسرائيلي وهي:

- الانسحاب من غزة واريحا شريطة ان تكون اريحا مركز المجلس.

- يرى استعمال كلمة "OVER ALL" بالنسبة لصلاحيات الامن الاسرائيلية.

- ان الانسحاب من اريحا لا يشمل الجسور.

- والانسحاب من غزة لن يكون كاملا حيث سيبقى بعض الجنود.

لا مانع لديه من استخدام تعبير الحقوق السياسية.

- تساءل عن امكانية بحث نقل مبكر للسلطات.

ابو علاء: اننا نفهم هذه العملية على انها مجرد تغيير شخص بآخر او استبدال اسرائيل بفلسطين، ولقد عرضت الولايات المتحدة من خلال دينس روس على فيصل الحسيني هذا الامر، وابلغه انه مستعد لترتيب لقاء بينه وبين الامير بندر للحصول على المساعدات للمؤسسات الفلسطينية اذا تمت الموافقة على نقل مبكر للسلطات.

أوري سفير: عاد الى موضوع إعلان المبادىء، وشرح وجهة النظر الاسرائيلية حول مواضيع المرحلة النهائية، وانسحاب الحكم العسكري والمسؤوليات الامنية الاسرائيلية، وغيرها من المواضيع المختلف عليها مثل الجسور وتسمية مدينة اريحا او منطقة اريحا، بعدها انتقل الحديث بعد تثبيت نقاط الخلاف الى مسألة الاعتراف المتبادل.

لقد انتهت هذه الجولة ايضاباختلافات واضحة حول مجموعة من النقاط، وكرر الطرف الاسرائيلي حديثه عن امكانية اغلاق قناة اوسلو بسبب الخلافات والصعوبات التي تواجهها.

الفصل العاشر

اللحظات الحاسمة

سبع ساعات تسجل من عمر الشعب الفلسطيني وتاريخه.سبع ساعات من الحوار عبر الهاتف وضعت حداً لصراع القرن العشرين، ورسمت اولى خطوات الشعب الفلسطيني على طريق الانعتاق والتحرر، وحددت معالم مستقبل المنطقة، وفعلت ما لم يفعله عشرون شهراً من المفاوضات العقيمة في واشنطن، فانجزت اتفاقاً كاملاً متكاملاً لمرحلة الحكم الذاتي الانتقالي، بما في ذلك الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا.

كان فريق عملنا قد اعد في السابق مع الوفد الاسرائيلي مشروع اتفاق لم يكتمل، حيث توقف الطرفان عند تسع نقاط، بعضها يطالب بها فريقنا وبعضها يطالب بها الطرف الاسرائيلي، وظننا ان الامر لن يحل، وان الاتفاق قد لا يرى النور.

وبوصول شمعون بيريز الى ستوكهولم يوم السابع عشر من اغسطس/ آب ١٩٩٣، التقى هناك وزير خارجية النرويج الذي كان عراب اللقاءات الفلسطينية الاسرائيلية ومهندس المفاوضات السرية التي دامت مستضافة على ارض بلاده مدة تسعة اشهر تقريباً، وتبادل الوزيران الرأي، واستقر الموقف على اجراء اتصال هاتفي مع تونس، على مسمع من وزير خارجية اسرائيل الذي كان متلهفاً لعقد الاتفاق، لانه وضع فيه كل سمعته السياسية ومستقبله في وزارة رابين.

وهكذا بدأت المفاوضات من اوسلو الى تونس، ومن اوسلو الى تل ابيب حيث كان على الهاتف في تونس ابو عمار وابو مازن وياسر عبد ربه وابو علاء وحسن عصفور، وكان على الخط الآخر في ستوكهولم شمعون بيريز ووزير خارجية النرويج. وفي تل ابيب اسحاق رابين. وبدأ الحديث حول النقاط الساخنة والتعديلات المطلوبة عليها وآراء كل طرف فيها، وبعد اكثر من عشر مكالمات هاتفية استقر الرأي على ازالة كل الخلافات، وتم الاتفاق على اللقاء في اوسلو، يوم الخميس ١٩/ ٨/ ١٩٩٣ حيث سيتم التوقيع بالاحرف الاولى.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحاً عندما انتهت آخر مكالمة هاتفية ووقفنا جميعاً مندهشين لا نصدق هذه النهاية التي توصلنا اليها، ولم نتبادل كلمة واحدة، الا انه خطر ببالنا احدنا ان يأتي بمصوّر ليلتقط لنا صورة تذكارية تخلد هذه اللحظة التاريخية التي حققناها، الا اننا ما لبثنا ان تذكرنا ان مرحلة الجهاد الاصغر قد انتهت او اوشكت على نهايتها وستأتي مرحلة الجهاد الاكبر، كيف نتدبر امورنا.. كيف ننجح في هذا التحدي؟ وهل يمكن لنا ان ننجح؟.

بحدود الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم ١٧/ ٨/ ١٩٩٣ تجمعنا في مكتب عرفات الذي أبلغنا أنه تلقى مكالمة من هولست وزير خاريجة النرويج المتواجد حاليا في السويد مع بيريز وزير خارجية اسرائيل، وأنهما ينتظران أن نتحدث معهما من أجل انهاء باقي القضايا المعلقة لاننا أمام فرصة تاريخية قد لا تتكرر وهي احداث الاختراق المطلوب، ويعتقد هولست أنه يمكن حل هذه القضايا على الهاتف مستغلين فرصة وجود بيريز معه، واذا احتاج الأمر فانه من الممكن اجراء اتصال مباشر مع رابين الذي ينتظر على الطرف الآخر في تل ابيب.

وبهذه الطريقة فاننا يمكن أن نعقد اجتماعا على الهاتف يضم الجانب الاسرائيلي والجانب النرويجي والجانب الفلسطيني، اضافة الى وجود كل المرجعيات التي قد تحتاج اليها المفاوضات، بحيث يمكن أن يبت بشكل مباشر بكل مسألة تطرح على بساط البحث.

لقد وجدنا أنفسنا أمام لحظات حاسمة وصعبة في آن معا، وعلينا أن نتحمل مسؤولياتنا وأن لا نترك هذه الفرصة تفلت من بين أيدينا، بخاصة وأن الطرف الاسرائيلي متمثلا بالوزير بيريز يبدي حداً عالياً من الاهتمام والرغبة الشديدة في التغلب على كل الصعاب والوصول الى حل، قبل أن تكتشف وسائل الاعلام قناة أوسلو وتقضي عليها، أما الوزير النرويجي هولست والطاقم الذي يعمل معه فقد وجدوها مناسبة لانجاح القناة التي رعوها منذ البداية والتي سيسجل لهم التاريخ أنهم اصحاب الفضل في حل المشكلة الفلسطينية.

تسع مكالمات هاتفية بين تونس وستوكهولم استغرقت سبع ساعات كاملة،

وبطبيعة الحال بين كل مكالمة وأخرى، كانت مكالمات مماثلة تتم بين ستوكهولم وتل أبيب للتشاور مع اسحاق رابين، وقد تناولت هذه المكالمات القضايا المتبقية والتي تحتاج الى تفاهم عليها ومنها.

١ ـ المادة الاولى من إعلان المبادىء: كان الخلاف حول هذه المادة يتعلق بتطبيق القرارين ٢٤٢، و ٣٣٨، حيث يرى الاسرائيليون أنه ينص على أن ما يتفق عليه الطرفان هو تطبيق للقرارين، بينما يرى الطرف الفلسطيني ضرورة النص صراحة على تطبيق القرارين المذكورين، وقد قبل الرأي الفلسطيني واصبح نص المادة المعتمد هو. أن المفاوضات حول الوضع الدائم ستؤدي الى تطبيق قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨.

٢ ـ الفقرة الثالثة من المادة الخامسة: وتتعلق هذه الفقرة بمواضيع المرحلة النهائية، وقد حاول الاسرائيليون أن يتجاهلوا ذكر هذه المواضيع، وأن يكتفي بالاشارة الى أن كل طرف يمكنه أن يذكر هذه المواضيع، بينما أصر الجانب الفلسطيني على تحديد المواضيع دون لبس أو غموض، بحيث يصبح الطرفان ملزمين بمناقشتها وايجاد حلول لها عندما يحين الموعد المقرر لبدء بحثها. ومن خلال المباحثات الهاتفية تم الاتفاق على ذكر هذه المواضيع لتصبح الفقرة على النحو التالي: «من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين ومسائل اخرى ذات الاهتمام المشترك».

٣ ـ المادة السابعة، الفقرة الخامسة: في البداية وافقت حكومة اسرائيل على الغاء الادارة المدنية ولكنها أصرت على أن تحتفظ بالحكومة العسكرية الاسرائيلية في الأراضي المحتلة بحجة وجود المستوطنات والاسرائيليين الذين سيتواجدون في هذه الأراضي، الا أننا كنا نصر على ضرورة الغاء الادارة المدنية والحكومة العسكرية لأنه من غير الجائز أن تكون هناك حكومتان على أراضي الضفة الغربية، وقطاع غزة، حكومة فلسطينية مؤقتة وحكومة عسكرية اسرائيلية. بعد نقاش طويل

على الهاتف تم التوصل الى الصيغة التالية: «بعد تنصيب المجلس سيتم حل الادارة المدنية وانسحاب الحكومة العسكرية الاسرائيلية».

كان المتكلم من تونس ابو علاء، وكنا جميعا نتابع الحوار من خلال مكبر الصوت الذي يتيح لنا فرصة الاستماع الى الطرف المتكلم في ستوكهولم وهو الوزير النرويجي هولست، والذي كان يجلس الى جانبه الوزير بيريز وعدد من أركان وزارتي خارجية كل من اسرائيل والنرويج، وبعد ذلك يحصل صمت بحدود نصف ساعة أو أكثر تكون خطوط الهاتف بين ستوكهولم وتل أبيب مشغولة وبنفس الصورة.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ولم ننجز الا ثلاث نقاط. تبقى لدينا عدد آخر من النقاط بحاجة الى توضيح، ومن ثم أن يتم الاتفاق عليها. وتستمر المكالمات الهاتفية، بينما الغرفة التي نجلس بها تعج بدخان السجائر، ورائحة القهوة العربية التي تكدست فناجينها على الطاولات وامتلأت منفضات السجائر بالاعقاب، ويرن الهاتف لنتابع الحديث، وننتقل الى نقطة أخرى:

٤ ـ المادة الرابعة من الملحق رقم(٢) الخاص بغزة واريحا:

كنا منذ أن تم الاتفاق على الانسحاب من غزة ومنطقة اريحا نتحدث عن السيطرة على المعابر المؤدية اليها سواء من مصر أو من الاردن، وكان الاسرائيليون يرفضون مجرد الاشارة اليها لأنهم يعتبرونها جزءا من الامن الخارجي الذي سيبقى بايديهم خلال المرحلة الانتقالية، كذلك فانهم يرفضون أن تتولى السلطة الفلسطينية مسؤولية هذه المعابر لانها تعتبر مظهرا من مظاهر السيادة، وبالمقابل كنا نصر على ايجاد صيغة حل وسط بين الموقف الاسرائيلي وموقفنا، حتى تمكنا في النهاية من الوصول الى صيغة غامضة، ولكنها مقبولة وهي على النحو التالي:

الاتفاق اعلاه سيتضمن ترتيبات من اجل التنسيق بين الطرفين فيما يتعلق بمعابر مصر ـ غزة واريحا ـ الاردن.

وبالاضافة الى هذه المادة من الملحق رقم(٢)، كذلك فقد جرى حوار طويل حول

المادة الخامسة من نفس الملحق، والتي حاولنا ان نؤكد فيها بان السلطة الفلسطينية مسؤولة ليس فقط عن المكاتب في قطاع غزة واريحا، بل ايضا عن كل المكاتب التي تنتقل الى باقي الضفة الغربية، كذلك رغبنا ان نؤكد مقر السلطة الوطنية ليس غزة او اريحا فحسب، بل يمكن ان يكون في اي مكان آخر في الضفة الغربية وبخاصة بعد اجراء الانتخابات، وفي النهاية تم التوصل الى الصيغة التالية: «المكاتب المسؤولة عن الاضطلاع على صلاحيات ومسؤوليات السلطة الفلسطينية حسب الملحق رقم(٢) من إعلان المبادىء سيكون موقعها في قطاع غزة ومنطقة اريحا بانتظار تنصيب المجلس».

بقيت قضايا بسيطة، وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف صباحا، وكان لا بد من الانتهاء منها، الا اننا تمكنا خلال ساعة تقريبا من الوصول الى صيغ بشأنها وهي:

ـ مفاوضات المرحلة النهائية، بحيث جعلنا الصيغة مرنة والمدة قابلة للاختصار عندما اشرنا الى انها يمكن ان تبدأ في اقرب وقت ممكن على ان لا تتجاوز بداية السنة الثالثة.

ـ كذلك الامر بالنسبة لمدة المفاوضات كلها بحيث اصبحت: «بحيث لا تتجاوز السنوات الخمسة».

ـ ثم ثبتنا الوجود الدولي المؤقت والمتفق عليه، وكان الاسرائيليون يرفضون ذلك.

بعد أن انتهت المكالمات الهاتفية مع الوزير هولست والوزير شمعون بيريز، وحلت كل النقاط الخلافية التي كانت معلقة، وتم الاتفاق على اللقاء في أوسلو للتوقيع بالاحرف الاولى على إعلان المبادىء، كانت الساعة قد اقتربت من الخامسة صباحا. اتصلت بسفيرنا في القاهرة سعيد كمال، وطلبت اليه أن يبعث الى أوسلو على وجه السرعة المستشار القانوني طاهر شاش الذي رافق وفدنا في واشنطن منذ بدء العملية التفاوضية، وذلك من اجل مراجعة النصوص قبل التوقيع عليها

والاطمئنان الى صحتها وعدم وجود اية ثغرات أو مطبات فيها، الا أن طاهر شاش لا يعرف شيئا عن قناة أوسلو، ولا نستطيع ان نفصح له عن طبيعة مهمته قبل ان يؤديها، ولذلك طلب منه أن يسافر الى أوسلو وأن ينزل في فندق بلازا وهناك سيقابله شخص ويوضح له طبيعة مهمته، وكان عليه ان يغادر سرا، ويتولى تدبير سفره بنفسه، حرصا على اهمية مهمته.

التزم طاهر شاش بما طلب منه، ووصل الى أوسلو في الساعة الخامسة من عصر يوم الخميس ١٩/ ٨/ ١٩٩٣، حيث التقاه ابو علاء الذي سلمه نص اعلان المبادىء وطلب اليه ان يتفحصه ويعطي رأيه فيه، وبالفعل درسه بشكل جيد وبعد عدة ساعات أبلغ أبا علاء بان النص جيد ولا عيوب فيه، ثم قفل عائدا الى القاهرة.

الجلسة الختامية:

غادر الوفد تونس الى اوسلو يوم ١٨/ ٨/ ١٩٩٣ وذلك من اجل التوقيع على الاتفاق بالاحرف الاولى، وقد تم ذلك في تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ٢٠/ ٨/ ١٩٩٣. وفي الساعة ١٥,٣٠ من نفس اليوم عقدت الجلسة الختامية بين الوفدين للاتفاق على الخطوات اللاحقة، وقد جرت الجلسة على النحو التالي:

أوري سفير: من الضروري المحافظة على سرية ما جرى فهذا موضوع حساس جدا بالنسبة لنا، الى ان يأتي الوقت الذي تتحول فيه هذه القناة الخلفية الى قناة امامية، وخلال هذه الفترة فمن المناسب استمرار اتصالات، مثلا مع نبيل شعث، ونحن على استعداد ان نرسل اشخاصا لمقابلته لاستمرار الاتصالات معه لانها تشكل غطاء جيدا لهذا القناة.

ابو علاء: نحن نعرف حساسية الموضوع ونشارككم الرأي، حتى بالنسبة لنا فنحن نريد المحافظة على سرية هذه القناة لمواصلة اعمال اللجان.

زينغر: بالنسبةللنقاط السبعة، الذي اعرفه ان النص مكتوب بالعربية، فهل لديكم نص بالانكليزية.

ابو علاء: حسنا لدينا ترجمة غير رسمية.

زينغر: هل يمكن ان تسلموا لنا النص المترجم.

ابو علاء: من الافضل ان اقرأ الترجمة قراءة فقط(قرأها بالسرعة الاملائية).

زينغر: لقد فهمت من مناقشتك مع سفير وهيرشفيلد بان مطلبنا بوقف الانتفاضة ترفضونه، لا تستطيعون تثبيته.

ابو علاء: الانتفاضة لا يمكن وقفها بقرار، انظر ماذا يجري في مصر، الدولة تقرر ولكن هناك جماعات تعمل ضدها، لذا المسألة ليست مسألة قرار... من الضروري ان نعمل سويا على الارض لاقناع شعبنا، لا ان نتخذ قرار يضعنا في مواجهة مع الشعب، فهذا لن يخدم السلام الذي نسعى له. وكما تلاحظ من النص الذي قرأته، ان هناك اشارة واضحة الى الامن والسلام، الانتفاضة هي شكل من اشكال مقاومة الاحتلال والظلم، يجب إزالة الاسباب التي من اجلها اندلعت الانتفاضة.

زينغر: اننا غير مخولين الان بمناقشة النص ولذا فاننا نستفسر، ولا نستطيع ان ندخل الان في صياغات، هل هناك تاريخ معين يمكن ان تتوقف فيه الانتفاضة.؟

ابو علاء: عندما يجري تقدم عملي وحقيقي في عملية السلام على الارض فان الشعب بنفسه سيغير من تصرفاته، ولكن وقفها لا يتم بقرار، فالانتفاضة ليست هواية.

زينغر: هل يمكن ان تصدر تونس بيانا تدعو فيه لوقف الانتفاضة.

ابو علاء: لا هذا غير ممكن، الانتفاضة مستمرة، لان اسبابها مستمرة ما لم يحدث تقدم ملموس على الارض فهي مستمرة.

اوري سفير: عندما تصبح المنظمة امام الرأي العام الاسرائيلي هي ممثلة الشعب الفلسطيني، فقيادتها ايضا يجب ان تتحمل مسؤولياتها. نحن لا نطلب منكم المستحيل مثل القول للشعب«كونوا سعداء»، ولكن المنظمة لها تأثيرها على الشعب

فالبيانات التي تصدر في الضفة الغربية وغزة تقف المنظمة خلفها، فهي التي تصدر التعليمات، نحن نريد ان نحول جهود الشعب تجاه السلام، والمنظمة قادرة على ان تساهم في ذلك، نحن ندرك ان هناك« حماس» ولا نتوقع ان تسيطر المنظمة على كل شيء، ولكن من الممكن ان تصدر بيانا فحواه تحويل جهد الشعب من العنف الى الانتاج والسلام.

ابو علاء: لا نستطيع ان نطلب من شعبنا وقف الانتفاضة لانه كما قلت فان الاسباب ما زالت قائمة، يجب ان نصنع مستقبلا للاطفال ونخرجهم من اوضاع الفقر، ونوفر فرص العمل في الارض المحتلة، ان استمرار الاحتلال وتدهور الاوضاع هما اسباب استمرار الانتفاضة.

زينغر: الا يمكن ان تطلب المنظمة من الشعب اشياء ايجابية فحواها بطريقة اخرى وقف الانتفاضة مثل التوجه الى العمل بدل حمل الحجارة والتعاون بدل العنف.

ابو علاء: لا مكان لهذا البيان، فالبيان يشير للارهاب ونحن ضده ويشير للامن ونحن معه، التقدم يجب ان يكون على الارض، دعني اسأل سؤالا هل تريدون المنظمة ضعيفة ام قوية؟

زينغر+ سفير: نريدها قوية.

ابو علاء: حسنا، دعنا نتفق على البيان الذي يحوي ضمانات لكم، وعندما يحصل تقدم على الارض فاننا تلقائيا سنطلب من شعبنا التوجه نحو البناء.

هيرشفيلد: نحن نريد ان نخبر شعبنا ونصارحهم بان اسرائيل تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها قائدة الشعب الفلسطيني، وهذا يعني ان على المنظمة ان تتحمل مسؤولياتها.

اوري سفير: نحن نريد ان نعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وهذا يتطلب ان تؤثر المنظمة بشكل مباشر على الرأي العام الاسرائيلي قبل هذا الاعتراف، بكلمة اخرى ان البيان المطلوب يجب ان يكسر الحاجز النفسي ما بين الرأي الاسرائيلي

ومنظمة التحرير الفلسطينية، نحن نريد ان نغير سياسة اسرائيل ونريد ان تساعدونا في ذلك، لقد قال بيريز في حفل التوقيع بان ما من احد يريد ان يرى استمرار الصراع وان مستقبلاً افضل من حاضرنا يجب ان نسعى لتأمينه لاطفالنا وللاجيال المقبلة.

ابو علاء: بالنسبة للبيان انكم تعرفون المنظة جيدا، لقد تم تغيير دراماتيكي في سياسية المنظمة وتوجهاتها الجدية نحو السلام، ويجب الا تحملوها اعباء من شأنها اضعافها، من المستحيل وقف الانتفاضة بقرار وانتم تعرفون ذلك، ان البيان الذي قرأته كاف جدا ويلبي طلباتكم، الطريق الوحيدة لوقف الانتفاضة هو ازالة الاسباب - الاحتلال - الهيمنة - التدهور الاقتصادي.

زينغر: هل يمكن ان تقولوا بان استمرار الانتفاضة لا يتمشى مع اعلان المبادىء الذي اتفقنا عليه؟

ابو علاء: الانتفاضة ليست بناية يمكن هدمها، ولكن يمكن ان نضيف في البيان بأننا ندخل مرحلة جديدة مثلا.

زينغر: انني استفسر، من الواضح انكم قد اعددتم واجبكم المنزلي HOME-WORK اما نحن فلم نفعل ذلك، ولكن ماذا يمكن ان تضيفوا في البيان؟

ابو علاء: اشارة مثلالدخولنا مرحلة اعادة البناء والتطور الاقتصادي والتعاون او شيء من هذا القبيل، ليس من صالحكم ولا حتى من صالحنا ان نطالب بوقف الانتفاضة حتى لا نخدع بعضنا.

زينغر: لقد تأثرت كثيرا بخطابك في الافتتاح، وهو يحتوي كلمات وعبارات يمكن ذكرها في البيان، ان وثيقة اعلان المبادىء مليئة بتعابير مفادها السلام والتعاون فلماذا لا تستطيع المنظمة ان تقول اوقفوا الانتفاضة.

ابو علاء: وثيقة اعلان المبادىء هي بمثابة خطوة جوهرية نحو السلام وتعكس التحول في سياسية المنظمة، فالبيان الحالي والوثيقة يكفيان.

زينغر: ارجو ان تتفهموا مطلبنا، لقد سبق وان اشرتم في بيان في القاهرة وآخر في جنيف للارهاب، الا يمكن ان تكرروا تلك الاشارة في البيان.

ابو علاء: ان موقفنا من الارهاب لم يتغير، والنص الوارد في البيان المقترح واضح ويغطى ما ذكرت.

زينغر: لقد سبق وان اخبرت أوري سفير بمسودة بيان آخر ويتضمن نقاطا حول المواضيع والاسئلة التي وجهناها لكم، هل يمكن ان احصل على نسخة من تلك المسودة؟

ابو علاء: ساقرأها(قرأها بالسرعةالاملائية)

بعد القراءة: هذه الافكار من جانبنا، وارجو ان تأخذوا بعين الاعتبار ان ما تحتاجونه ليس مجرد ورقة وليس الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية، انكم بحاجة لمنظمة قوية، ان الامتحان الفعلي هو تعاوننا وتنفيذ اعلان المبادىء، كل منا قد يخطىء ولكن يجب ان ننسق.

اقترح ان يلتقي ابو مازن وبيريز، ويتفقان على نص لان هناك اشياء لا استطيع الاجابة عليها، وبعدها يتم لقاء مع عرفات.

زينغر: بيريز لن يدخل في اعداد النصوص، هذا من واجب الخبراء ونحن ما زلنا نستكشف الامور.

اوري سفير: ان من مصلحتنا ان نعزز وندعم منظمة التحرير الفلسطينية، وهناك اشياء اخرى كثيرة يمكن ان نفعلها مثل تعزيز علاقتكم مع اوروبا وفتح علاقات مع امريكا وانشاء لجان في مجال الاقتصاد وغيرها... وهذا يتطلب ان يقتنع رابين بان المنظمة قد تغيرت واصبحت شريكا فعليا في عملية السلام.

من المفهوم الان ان لديكم الاستعداد لاصدار بيان، وهذا ما سأخبر به رابين وبيريز، وسانقل وجهة نظركم، والامر يحتاج لمتابعة. من المتوقع الا يحدث تغيير في تركيبة وفدنا للتفاوض حول مسألة البيان وسنخبركم بالتطورات.

ابو علاء: ان لقاء بين بيريز وابي مازن ليس لقاء تفاوض، انه لقاء اتخاذ قرار، ومن الافضل ان نتابع الموضوع كما فعلنا بالنسبة لوثيقة اعلان المبادىء والاستمرار في استخدام قناة النرويج.

زينغر: لنفرض ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد عادت الى غزة، هل سيكون عرفات هو مثلا رئيس المجلس ام سيحرك الامور دون ان يكون رئيسا للمجلس.

ابو علاء: لا اعتقد انه سيكون رئيس المجلس؟ هو الذي يحدد دوره. ولكنه المرجعية لكل النشاطات.

زينغر: هل ستكون المنظمة هي الحكومة. هل ستكون أنت مثلا مسؤولا عن المالية؟

ابو علاء: انني حتى لم اسأل نفسي هذا السؤال. بالتأكيد فان المنظمة ستحرك الامور، ولكن كيف، لا أدري على وجه التحديد. وان كانت لديكم افكار فأرجو ان تخبرونا.

زينغر: من الممكن ان يكون هناك جسم مسؤول عن الاعمال الواردة في وثيقة اعلان المبادىء، ولكن المنظمة لها مسؤوليات اكبر بما في ذلك العلاقات الخارجية، وهذا يعني ان يكون هناك جسمان، وهذه مجرد افكار.

ابو علاء: المنظمة مسؤولياتها اوسع بكثير من المجلس المشار اليه في وثيقة اعلان المبادىء. نقترح مثلا، وهذه مجرد فكرة، عقد مجلس وطني في غزة كي تصبح قرارات المجلس متناسقة مع ما ورد في وثيقة اعلان المبادىء.

اوري سفير: اننا نعرف ان عرفات هو الذي سيكون المحرك وسيكون السلطة، ولكن لا يمكن نقل كل اجهزة الدولة الى غزة، فالمنظمة لها اجهزة دولة. ولربما سيكون لعرفات مركز في غزة ومركز في الخارج كي لا نخلط ما بين الفترة الانتقالية والفترة النهائية. ان هذه مجرد افكاري.

زينغر: اننا بحاجة لنفكر معا حول هذه المواضيع.

اوري سفير: انني لم اسأل احدا حول موضوع عقد اجتماع للمجلس الوطني واعتقد ان هذه امر غير سهل.

ابو علاء: اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية في غزة، فانها ستسهل اكثر تنفيذ ما اتفقنا عليه في وثيقة اعلان المبادىء.

اوري سفير: هناك اشياء كثيرة يجب ان نفكر فيها معا.

الفصل الحادي عشر

هل حافظنا على أسرار أوسلو؟

كانت المحافظة على سرية المفاوضات في مسار أوسلو صعبة إن لم تكن مستحيلة لإعتبارات موضوعية. وحيث إننا كنا مضطرين للإفصاح عن هذا المسار دون أن تتأثر سريته سواء على المستوى العربي أو الدولي أو الفلسطيني، فإن اختيار الأشخاص أو الجهات أو الدول التي يجب أن تعرف، كان صعباً تحت طائلة إساءة هذا الإختيار وبالتالي كشف السر بكامله وتدمير المسار. وكان لا بد من تحصين موقف المفاوضين والمشرفين على المفاوضات وذلك لحمايتهم ولحشد التأييد المسبق لهم من قبل هذه الفعاليات الضرورية. لقد كنا بين نارين، نار المحافظة على السرية، ونار حشد التأييد اللازم لنتائج هذه المفاوضات إن نجحت.

عندما بدأت المفاوضات في أوسلو، اقترح الوفد الإسرائيلي أن يبلغ الحكومة الامريكية والحكومة المصرية، وعندما أبلغنا الوفد الفلسطيني بهذا الإقتراح وافقنا عليه، شريطة أن يبلغ الاسرائيليون الحكومة الامريكية ونحن نقوم بابلاغ الحكومة المصرية. وبالفعل قام شمعون بيريز بإبلاغ كل من وارن كريستوفر ودان كيرتزر من الادارة الامريكية، إلا إن هذين الرجلين لم يأخذا الأمر جدياً واكتفيا بأخذ العلم، دون أن يعطيا هذه المسألة أية أهمية أو اهتمام يذكر.

أما بالنسبة لنا فقد استمر الإتصال بعمرو موسى وأسامة الباز، نطلعهما أولاً بأول على تفاصيل المفاوضات، وقد حرص الإثنان على أن يحصرا هذا السر بينهما، وبطبيعة الحال فقد كان يبلغان الرئيس مبارك بموجزما يجري،إلا إن أحداً آخر في الإدارة المصرية لم يتسرب إليه أي خبر حول هذا الموضوع ضماناً لسريته.

وكثيراً ما كان المصريون يلتقون بمسؤولين أمريكان مثل دينيس روس أو غيره، فكانوا يتكتمون تماماً ويمتنعون عن ذكر أوسلو أمامهم،لأنهم كانوا يعرفون إن هؤلاء الأشخاص خارج دائرة المعرفة. ولذلك كانوا يتجاهلون ذكر هذا الموضوع إطلاقاً، ويكتفون بالحديث معهم والحوار معهم عن مسار واشنطن وما يجري فيه.

في مصر ومن طرفنا، لم يكن يعرف عن هذا الأمر إلا سعيد كمال، وفي إحدى المرات اصطحبت معي أبا علاء حتى يشرح للمصريين تفاصيل ما يجري في أوسلو. وقد استغرب الكثيرون من القيادة سفر أبي علاء إلى القاهرة، لأنه لم يكن له دور سياسي في مجال الإتصالات مع المصريين.

وتذرعنا بأن هناك قضايا تتعلق بمسار المفاوضات المتعددة ولا بد أن تبحث معه، لأن المسؤولين المصريين عن هذا المسار بحاجة إلى تفاهم حولها. وبهذه الحجة أمكنني أن أصطحبه وحده إلى الخارجية المصرية للقاء عمرو موسى دون أن يكون ممن يفترض أن يرافقونا في القاهرة إلى مثل هذه اللقاءات.

نحن نعيش على الأرض التونسية، والتونسيون لا يتدخلون إطلاقاً بشؤوننا الداخلية، ولا يحاولون أن يفرضوا رأياً أو موقفاً علينا، وإنما يتركون لنا حرية التصرف بكل ما نريد على أرضهم سواء كان هذا يعجبهم أو لا يعجبهم، وكثيراً ما طالبنا منهم أن ينقلوا إلى الأمريكان أو الدول الأوروبية رأياً أو موقفاً أو مطلباً. وعلى هذا الأساس فإنه من غير المعقول أن لا يطلعوا على ما يجري في أوسلو. ونحن نعرف مدى حرصهم على قضيتنا واستعدادهم لأية خدمة أو جهد يبذل من طرفهم. ولذلك كان لا بد من أن نطلعهم على مسار أوسلو.. ولكن كيف؟

لا بد من الحديث المنفرد مع وزير الخارجية أو مع كاتب الدولة للشؤون الخارجية، على أن يتم ذلك خارج إطار وزارة الخارجية. وهكذا رتبت لقاء منفرداً مع سعيد بن مصطفى حدثته خلاله عن مسار أوسلو ومضمون الاتصالات الفلسطينية الاسرائيلية، وحرصنا على المحافظة على سرية هذا المسار، ورغبتنا بالإفصاح عن هذا السر للتونسيين لثقتنا بهم ولمعرفتنا بردهم الإيجابي والإستماع إلى نصائحهم. ووعدته بأن أبلغه أولاً بأول عن كل التطورات التي يمكن أن تحصل في المستقبل. وقد حافظ التونسيون على السر طيلة مدة المفاوضات ولم يخرج منهم أي إشارة لأية جهة كانت، حتى إنهم لم يظهروا أبداً بإنهم كانوا يعرفون شيئاً عندما أعلن عن التوقيع حتى لا يحرجونا، ونسأل لماذا يعرفون وغيرهم كثير لا يعرف.

لقد عرض علينا جلالة الحسن الثاني أكثر من مرة ضرورة الإتصال المباشر

بالاسرائليين، وكان جوابنا دائماً بإنهم يرفضون وإننا نتمنى أن يقبلوا الإتصال بنا، ولكنهم رفضوا كل الوساطات التي بعثنا بها إليهم. وفي السابع والعشرين من رمضان ١٤١٣ للهجرة، كنت وفيصل الحسيني في زيارته،فما كان منه إلا أن انفرد بي وأعاد علي السؤال، لماذا لا تتصلون بالإسرائيليين؟ ألم يحصل تقدم في موقفهم؟ فقلت له نعم لقد حصل جديد يا صاحب الجلالة ونحن نلتقي الآن. فرد علي«هذا عظيم جداً وأرجو إبلاغي مباشرة بكل ما يجري». وفي هذا اللقاء تم الإتفاق على إن يتولى سفيره في تونس الإتصال بي والحصول على المعلومات التي ينقلها مباشرة إلى جلالته دون أية واسطة. وبقينا على هذا الحال حتى ١٩٩٣/٨/١٧ حيث كان السفير في إجازة وتعطلت الواسطة. إلا انه في هذا التاريخ أبلغت سفيرنا في المغرب بالنتائج الأخيرة، في وقت كنا قد أنهينا كل الترتيبات اللازمة للتوقيع. وأطلعته على المعلومات اللازمة وغادر فوراً ليكتب تقريراً سريعاً يبعثه بصفة سرية لجلالة الملك عن طريق مدير المخابرات المغربي اللواء القادري. وفي يوم ١٩٩٣/٨/٢٠، اتصلت به هاتفياً وطلبت إليه إعلام الملك بإن التوقيع على الإتفاق بالأحرف الأولى قد تم بالفعل.

وكنا بعد مضي أشهر على بدء أوسلو نشعر بحرج شديد لأننا لم نبلغ الأردن، وبالذات جلالة الملك حسين شخصياً. لأن الأردن شريكنا في المفاوضات وهو الذي أعطانا الغطاء القانوني للوصول إلى مدريد. وهو الذي ساعدنا في مفاوضات الكوريدور في أول جلسات واشنطن حتى نفصل المسار الأردني عن المسار الفلسطيني، وهو الذي نتحدث باستمرار عن الدخول معه في كونفدرالية، و زدْ على ان العلاقات بين الشعبين الأردني والفلسطيني علاقات متميزة. هذه الأسباب تجعلنا غير قادرين أبداً على مواجهة نتائج غضب الملك حسين لو توصلنا إلى اتفاق مع الإسرائيليين وفوجئ بهذا الإتفاق. ولذلك اقترحنا على أبي عمار، عندما يلتقيه وكان ذلك في شهر إبريل/ نيسان أن يبوح له بالأمر ويبلغه بأننا سنضعه في الصورة عندما نصل إلى نتيجة. ولما عاد أبو عمار من عمان أفهمنا إنه وضع الملك بالصورة وإنه راض عن هذا المسار. إلا إنني أعرف أبا عمار عندما يريد أن يقول شيئاً ولا يريد

قوله.. بحيث تكون النتيجة أن المستمع لن يفهم منه شيئاً. ولذلك رغبت أن أسافر إلى الأردن لأشرح للملك ما حصل بشيء من التفصيل، إلا إنني لسوء حظي لم أجده هناك وعدت دون أن أبلغ أحداً. وذهبت مرة أخرى وقابلته، ولكن لم يكن وحده كما لم أكن وحدي، ومن غير اللائق أن أطلب الانفراد به لأحدثه في الأمر حتى لا أثير ريبة الحاضرين وشكوكهم وتساؤلاتهم.. فعدت إلى تونس. في محاولة ثالثة كانت النتيجة نفسها، حيث كان قد غادر عمان.. فانفردت بصديق مشترك ومقرب من الملك حسين وهو الدكتور أشرف الكردي، وقلت له: أرجوأن تبلغ جلالة الملك بانني حضرت إلى عمان ثلاث مرات لأتحدث معه بأمر خطير يتعلق بالمفاوضات ، ومن سوء حظي لم أتمكن من ذلك،وأمل أن أنجح في المرة الرابعة.

لم تأت المرة الرابعة، لأن الوقت قد فات وحصل التوقيع في أوسلو ونشر الخبر في الصحافة الإسرائيلية وغضب الحسين غضباً شديداً، لأننا أخفينا عليه الأمر من بدايته إلى نهايته.. ولا أدري أن تقبل حججي وأعذاري أو لم يتقبلها، إلا إنني أقول، له الحق في أن يعتب.

في ١٧/٨/١٩٩٣ وفي صبيحة هذا اليوم، كنا قد أنهينا مفاوضات أوسلو بشكل نهائي، وأعددنا أنفسنا لسفر الوفد خلال بضعة أيام للتوقيع. زارني السفير السعودي في تونس إبراهيم السعد، وتحدثنا في أمور شتى، ثم قلت له باننا على وشك الوصول إلى اتفاق مع الإسرائيليين وتمنيت عليه أن يبلغ الملك فهد شخصياً، وأن يحصر المعلومات في أضيق نطاق، لأن الأمر لم ينشر ولم ينته بعد. وبالفعل وصل الخبر للملك، ووصل جواب الملك فهد سريعاً بأنه سعيد. وإن المملكة تؤيد ما نقرر وإنها معنا في ذلك وتمنى لنا التوفيق. وفي ٢٠/٨ أبلغت السفير، الذي تمنى علي أن أزوده بكل جديد، بأن التوقيع في أوسلو قد حصل، وإننا بصدد عملية الإخراج وهذا يحتاج إلى بعض الوقت.

تلك هي الأطراف العربية التي اطلعت على قناة أوسلو، والحقيقيةإنها لم تكن تسأل عن تفاصيل وإنما كانت تتابع باهتمام وحرص وتتلقى معلوماتنا بكل الجدية.. وفي نفس الوقت فإننا نسجل لها إنها لم تسرب ولم تنشر ولم تتحدث، فقد

كان الجميع على مستوى المسؤولية. كنا نتمنى أن نبلغ كل الدول العربية المعنية والمهتمة. ولكن في نفس الوقت كنا نخاف أن تفشل القناة فيتهمونا بالعبث وعدم الجدية.

هذا على المستوى العربي، أما على المستوى العالمي فكان من غير الممكن أن لا يعلم الراعيان ما يجري، وإن لم نخبرهما فنحن نتصور إن مخابراتهما ستكتشف الأمر. وما دام الإسرائيليين قد أعلموا بشكل رسمي الولايات المتحدة الأمريكية، فإن واجبنا أن نعلم الروس الذين تربطنا بهم علاقات صداقة قديمة، وبيننا لجنة تنسيق مشتركة تجتمع شهرياً في موسكو وتونس، وقد مضى على إنشاء هذه اللجنة خمس سنوات لم تخلف موعداً، وهذا يدل على حرص الروس على المتابعة وعلى استمرار العلاقات الودية والتنسيق معنا.

لم يعد الروس كما كانوا أيام الحكم الماركسي السوفييتي، فقد تراخت اليد الحديدية عن الموظفين وكبار المسؤولين، وأصبح من غير الممكن ضمان حفظ المعلومات والأسرار كما كان الأمر في الماضي. ولذلك فقدفكرت طويلاً قبل أن أبوح بما لدي للمسؤولين الروس، لأنه كان علي أن أختار الوقت المناسب كما أختار الشخص المناسب الذي أطمئن إليه واثق بإنه لن يتحدث أويثرثر أو ينقل المعلومات إلى جهات تسعى إلى تسريبها إلى وكالات الأنباء ووكالات الإستخبارات.

لي صديق أعرفه منذ عشرين سنة عندما كان وزيراً مفوضاً في سفارة الإتحاد السوفييتي في دمشق، ثم انتقل إلى الإدارة المركزية، وبعدها عمل سفيراً في عمان والعراق وفي النهاية استقر به المقام رئيساً لدائرة الشرق الأوسط وإفريقيا، تلك الدائرة التي تتعامل معنا مباشرة وبشكل يومي، هذا الرجل هو فيكتور باسافليوك. لقد كنت أثق به ثقة تامة لأنه كان يبدي كل الإهتمام بالقضية الفلسطينية، كما يحرص كل الحرص على تنمية علاقاتنا الثنائية، وكان يحاول أن يزيل العقبات الكثيرة التي اعترضتها وبخاصة إبان حرب الخليج وأثناء الإنقلاب الفاشل على ميخائيل غورباتشيف. ذلك الانقلاب الذي أيده بعض من قيادة المنظمة، الأمر الذي جعل أعداءنا يستغلون هذا الموقف ويطالبون باقفال سفارة فلسطين في موسكو. إلا

ان هذا الرجل دافع عنا وصمد في وجه التيار المعاكس ونجح في تثبيت السفارة وتثبيت العلاقة، بل وتطويرها.

لقد أبلغت فيكتور باسافليوك عن قناة أوسلو، بخاصة وإنني سبق أن طلبت منه فيما مضى أن يسعى لدى الاسرائيليين أن يقيموا قناة خلفية معنا في موسكو، الا إنهم رفضوا ذلك. أبلغته وأخذ الأمر على محمل الجد، وقال إنه الطريق الصحيح والوحيد إذا أردتم الوصول إلى نتائج إيجابية، لأن قناة واشنطن خاضعة لابتزاز الأضواء والخطب والكلمات المتبادلة وتبني المواقف.

وعندما كنا على أبواب الجولة الحادية عشرة والتي كانت ستعقد في نهاية شهر أغسطس/آب ١٩٩٣، طلب مني فيكتور أن أحضر إلى موسكو للعمل في إطار لجنة التنسيق، حتى يتعرف المبعوث الروسي الذي سيكون قريباً من وفدنا إلى أفكارنا ومطالبينا وآرائنا. وبالفعل وصلت إلى موسكو في ١٩٩٣/٨/٢٣، وعقدنا جلسة عمل رسمية حضرها سفيرنا القائم بالأعمال في سفارتنا، وكذلك حضرها عدد من أعضاء دائرة الشرق الأوسط وإفريقيا، وتناول الحديث الورقة الأمريكية التي قدمها السيد جيرجيان لوفدنا قبيل انتهاء الدورة العاشرة، ثم المناقشات التي دارت حولها عند زيارة دينيس روس إلى المنطقة وتبعه وزير الخارجية وارن كريستوفر، والجهود الامريكية لتقريب المواقف الفلسطينية الاسرائيلية. ثم تحدثت أيضاً عن إننا سنقدم أفكاراً إيجابية وبناءة، لكي لا تفشل هذه الدورة كما كان مصير سابقاتها.. وانتهت الجلسة بغداء عمل مع نائب وزير الخارجية السيد كولوكوف. وبعد ذلك انفردت بالسيد فيكتور وقلت له: إنس كل ما قلناه في الجلسات الرسمية.. لقدوقعنا الإتفاق بالأحرف الأولى مع الاسرائيليين في أوسلو.. ولربما لن نكون بحاجة إلى الجولة الحادية عشرة لأن كل شيء قد انتهى. لم يعلم الأمريكان حتى الآن بما حصل لأن الاسرائيليين طلبوا أن نعطيهم مهلة لثلاثة أيام أخرى حتى يبلغوهم، لذلك فإنني أرجوك أن تحتفظ بهذه المعلومة لنفسك حتى يقوم شمعون بيريز ووزير خارجية النرويج بزيارة واشنطن وإبلاغ كريستوفر بذلك شخصياً.

لم أنته من كلامي حتى هجم فيكتور عليّ يقبلني ويهنئني على هذا الإنجاز

التاريخي العظيم، ونسي في غمرة فرحته أن يسألني عن تفاصيل ما حصل. كما نسي أن يسألني عن طبيعة الإتفاق وحدوده وآفاقه والقضايا التي تناولها. لقد رأيت السعادة والغبطة تلمعان في عينيه حتى ظننت إنه يبكي فرحاً. بعد ذلك جاءني مندوب صحيفة الحياة في موسكو جلال الماشطة ليسألني عن طبيعة المحادثات وما جرى فيها فقلت له: سأعطيك سبقاً صحفياً، خلال ستة أشهر بالتحديد أو لنقل خمسة أشهر فقط سيكون هناك حل فلسطيني، وأرجو أن تكون متأكداً إنني واثق كل الثقة من كل كلمة أقولها، إلا إن جلال لم يتعامل مع الخبر على إنه سبق صحفي.

كان أعضاء سفارتنا يحضرون هذا اللقاء وقد فغروا أفواههم بالدهشة. لأنهم لم يتعودوا أن يسمعوا مني مثل هذا الكلام المحدد والحاسم، وعندما استفسروا مني عن هذا الخبر وطلبوا المزيد. قلت لهم: سجلوا تاريخ اليوم، وكلما مر يوم أخصموه من المدة التي حددتها.. إنني أقول كلاماً لا لبس فيه ولا غموض ولا إبهام وإن الإتفاق واقع حتماً.

هذا على المستوى العالمي. ومن حسن الحظ إن الأخبار لم تسرب، وإن كان فيكتور قد عاتب الاسرائيليين على إخفاء أخبار أوسلو عنهم قائلاً: من المؤسف إنكم تجاهلتمونا ونحن الراعي الثاني لمؤتمر السلام، ولم تعلمونا شيئاً عن قناة أوسلو، بينما أبلغنا بها الفلسطينييون، ونحن نشكر ثقتهم بنا.

لا شك أن عتب الروس على الاسرائيليين أوقعهم في حرج.. وأوقعنا نحن أيضاً في حرج مع الإسرائيليين، لأننا لم نقل لهم بإننا أبلغنا الروس بالقناة، حتى يتداركوا الأمر ويقوموا بما قمنا به.

إن اقتصار المعلومات على ثلاثة فقط من اللجنة التنفذية وهم ياسرعرفات وياسر عبد ربه وأنا، لا يكفي لتطويق موقف هذه اللجنة، وحيث أن شخصاً مثل بشير البرغوتي، الامين العام لحزب الشعب الفلسطيني، وهو رجل يتمتع بقدرٍ كافٍ من الوعي والاحترام والتقدير، وحيث انه يعيش في الأرض المحتلة، وحيث انه شريك أساسي في المجموعة التي تمارس عملية التفاوض وتدافع عنها، فقد كان

لزاماً علينا أن نطلعه منذ البداية، ليشاركنا الرأي والمشورة فيما نحن فاعلون، وأيضاً ليشاركنا الدفاع عن الإتفاق حال توقيعه، لأن رأيه محترم لدى عدد من الناس وهذا كفيل باقناعهم.

لقد اطلع البرغوتي على الأفكار المطروحة على بساط البحث في أوسلو. فأبدى كل الإرتياح لها وتمنى النجاح والتوفيق، وتابعت الإتصال به في مناسبات مختلفة حتى تم التوقيع، وقد وقف ليدافع عن الإتفاق، كما وقف كل أعضاء حزبه الموقف نفسه، وهذا ما ساعدنا على الحصول على الأغلبية في اللجنة التنفذية.

ان لأبي ماهر حضوره في أوساط فتح كما له احترامه في أوساط المنظمات الفلسطينية لأنه يتمتع بمصداقية وشفافية وصدق، وقد سبق له أن شارك في لجنة متابعة مفاوضات واشنطن وأدلى بآرائه فيها. لكنني واظبت على تزويده بالوثائق والأخبار بعد أن انقطع عنها حتى يبقى مطلعاً على مجريات الأمور هناك.

وعندما بدأنا قناة أوسلو أعلمته منذ البداية بها. وأطلعته باستمرار على كل المعلومات والتطورات حولها. وبطبيعة الحال لم يصدر عن أبي ماهر أية إشارة لأي جهة على الاطلاق تشير إلى إنه مطلع على ما يجري أو إنه يعرف شيئاً حفظاً للسرية وضمانا للكتمان، حتى تم التوقيع ووقف وقفة رجل للدفاع عن الإتفاق، وكانت كلمته الشهيرة التي ألقاها في ١٩٩٣/١٠/١١ في المجلس المركزي الفلسطيني، حيث دافع دفاعاً مشرفاً وهاجم بعنف وبموضوعية أولئك الذين يرفضون الإتفاق ويشهرون بالقيادة التي وقعت عليه، وبلا شك فقد كان له أثر كبير في استقطاب عدد كبير من أعضاء القيادةوالمجلس الثوري.

ولعل من المفيد أن نشير إلى استقالة محمود درويش من اللجنة التنفيذية، تلك الاستقالة التي جاءت قبل الاعلان عن اتفاق أوسلو، وقد وردت في ظروف مختلفة تماماً عن ظروف الاتفاق، حيث ان الجو العام في تونس كان يدعو إلى الاحباط واليأس. لقد كان درويش عضواً في لجنة متابعة مفاوضات واشنطن، ومطلعاً بشكل عام على مفاوضات أوسلو. وكان ينظر إلى مجمل الحل بقلب الشاعر وعقل السياسي ونظرة الإنسان المجرب الذي عانى من الإحتلال عندما كان في إسرائيل،

وفهم عقلية الاسرائيليين الذين عايشهم أكثر من عشرين عاماً، عرفهم من خلالها وتعرف على نمط حياتهم وأسلوب تفكيرهم وآفاق طموحاتهم وتناقضاتهم وأوضاعهم الداخلية. ولذلك كان حريصاً في النهاية على متابعة أوسلو وما بعدها وكان يحثني على المثابرة وعدم الملل والرغبة في الإبتعاد، وفي نفس الوقت استمر في استقالته، لأن العمل في اللجنة التنفيذية لا ينسجم من وجهة نظره مع مزاج الفنان وعاطفة الشاعر ويتناقض مع إبداع الأديب.

بين المحافظة على سرية مسار أوسلو وبين التخوف من ردود فعل المفاجأة عند إعلان التوقيع، كانت الحسابات دقيقة جداً، فبمقدار ما حرصناعلى إحاطة عملنا بهذه السرية التي أبهرت العالم وصعقت الكثيرين الذين لم يخطر ببالهم إن الساحة الفلسطينية بهذه التركيبة الغريبة والعجيبة تحفظ سراً وتخفيه تسعة أشهر كاملة دون أن تتسرب من طرفنا كلمة واحدة للصحافة أو وسائل الإعلام، في نفس الوقت كان اختيارنا دقيقاً وانتقائياً للجهات التي يجب أن تطلع بصورة أو بأخرى على مجريات الأمور على المستوى الفلسطيني في اللجنتين التنفيذية والمركزية، وعلى المستوى العربي وعلى المستوى الدولي. وجاء هذا الإنتقاء لضمان التأييد في الوقت المناسب، وهكذا بمقدار ما ضبطنا السر وحافظنا عليه، بمقدار ما أبلغنا جهات مختلفة منتقاة ومضمونة، حفظته وأيدت موقفنا. لأننا نعرف أن الإنسان ـ مجرد إنسان ـ عدو لما يجهله، وبالتالي فإن عدم علم هذه الجهات التي أبلغت قد يجرها إلى الرفض لمجرد إنها لا تعرف، وإن لم ترفض بشكل قاطع فإنها في أحسن الظروف ستضعنا في موقف حرج يتعلق بالثقة أو عدم الثقة بها، وهو ما كنا نريد أن نتلافاه لأننا بحاجة دائماً لأن نحيط أنفسنا بموقف يدعمنا لا يعارضنا أو يقف منا موقف الحياد.

منذ أن انضم أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية بتاريخ ٢١/ ٥ /١٩٩٣ بدأت أشعر بشيء من الإطمئنان إلى مسار أوسلو وأعلق عليه بعض الآمال التي تنعكس على ردود فعلي المتفائلة أمام كل مساعدي والعاملين معي والذين ألتقي بهم في أمكنة مختلفة، وكان الكل يستغرب هذه اللهجة المتفائلة في الوقت الذي

يستمعون فيه إلى تصريحات مختلف أعضاء القيادة وأعضاء الوفد، الذين كانوا يتحدثون بلهجة إحباطية مؤكدين إن مسار واشنطن قد وصل إلى طريق مسدود، وإنهم لن يعودوا إلى الجولة القادمة.

وبدءاً من شهر مايو/ أيار ١٩٩٣ ارتفعت عندي لهجة التفاؤل والأمل في كل المناسبات وبخاصة في التعليقات الصحفية والتصريحات. أما في الجلسات المغلقة فقد كنت أتحدث بلغة حازمة حاسمة بإن الحل قادم قبل نهاية العام. هنا أذكر حادثة طريفة، حيث التقيت حسيب صباغ في تونس وسألني: أسمعك تتحدث بتفاؤل بالغ ما سببه فقلت له: لدي معطيات كثيرة تجعلني أتفاءل، إنني مطلع على مجريات الأمور الداخلية في إسرائيل وأمريكا، وأنا متأكد من قدوم حل قريب. فرد حسيب قائلاً: إنني أثق بما تقول، هل أستطيع أن أعتمد اعتماداً كلياً على ذلك فقلت له: إطمئن.. وإنني أرى الحل القريب كما أراك أمامي وهو قادم لا محالة.

ثم أوحيت له بأن أموراً خفية تجري، وحدثته عن طبيعة الحل القادم وشرحت له كل المعلومات والنقاط التي سترد فيه.

اقتنع الصباغ بكل كلمة قلتها، وراح يروج الكلام دون الإشارة إلى التفاصيل أو المصدر،ولكنه كان يقول: إن الحل قادم قبل نهاية العام وأنا واثق كل الثقة من ذلك. سمع كلامه محسن قطان الثري الفلسطيني المعروف وهو أيضاً صديق لي، وكان عضواً بارزاً في المجلس الوطني ومجلس الصندوق القومي، وفي نهاية الستينات كان رئيساً للمجلس الوطني، وأعلن انسحابه عند حرب الخليج من المجلس الوطني والصندوق وغيرهما احتجاجاً على موقف المنظمة المنحاز إلى العراق. سمع القطان ما قاله الصباغ فعلق بقوله: إن هذا هراء ولا أساس له من الصحة وإن من قاله لك يعيش أوهاماً وأحلاماً زائفة، وإن المنظمة تريد أن تروجه من أجل إثبات وجودها ومن أجل لفت الأنظار عن أوضاعها المتردية التي بدأت تنذر بدمارها، نتيجة سياستها الخرقاء في حرب الخليج.

أصر الصباغ على موقفه ولم يتراجع قيد أنملة، معيداً على أسماع الحاضرين،

الذين كان منهم عبد المجيد شومان رئيس مجلس إدارة البنك العربي، كل ما قاله في البداية، وهنا قال قطان: هل تراهنني على هذا؟؟ أنا أدفع مليون دولار إن حصل إتفاق قبل نهاية العام، وأنت تدفع مليون دولار إن لم يحصل ذلك في الوقت المحدد، ويقدم هذا المبلغ تبرعاً لصندوق التعاون. قبل الصباغ الرهان ، ووثقه بصفة رسمية شومان. ثم إتصل بي الصباغ مستوثقاً: هل أنت متأكد مما قلت لي ، لقد راهنت محسن قطان على مليون دولار؟ قلت له «اطمئن ويمكن أن ترفع المبلغ» وبعد أقل من شهر ونصف أعلن الإتفاق وكسب الصباغ الرهان.

عندما قررنا أن نبدأ الحوار مع الإسرائيليين في أوسلو واجهتنا مشكلة مالية، وهي أمر تدبير مصاريف الوفد وثمن تذاكر السفر وإقامته هناك دون أن نلفت نظر موظفي الصندوق القومي إلى ذلك. فاتفقت مع أبي علاء على أن يقدم لي سلفة شخصية بمقدار عشرة آلاف دولار، تسجل علي في مالية حركة فتح وأسددها في الوقت المناسب. وبالفعل استلمت المبلغ وسلمت الأعضاء المبلغ الكافي ليدفع ثمن تذكرته ومصاريف إقامته هناك، واشترطت عليهم أن لا يطلبوا من موظفي الحجز المسؤولين في المنظمة حجز تذاكرهم، وإنما عليهم أن يذهبوا بصفة شخصية إلى شركات الطيران ويشتروا التذاكر بأنفسهم على أن لا تكون طريقهم مباشرة إلى أوسلو، بل أن تمر عبر محطات مختلفة، وأن تكون هذه المحطات أيضاً مختلفة من شخص لآخر، بحيث لا يلتقون في أي مكان في أوروبا وأن يتجنبوا الإتصال بأية سفارة فلسطينية في طريقهم، وأن لا يستعملوا الهاتف إطلاقاً، وأن يعودوا بأوقات مختلفة ومن محطات مختلفة. أما في أوسلو فعليهم أن يتجنبوا أي لقاء ولو بالصدفة مع سفيرنا هناك أو أحد أركان سفارته.

وعندما انتهت العشرة آلاف دولار طلبت سلفة عشرة آلاف أخرى، وثالثة ورابعة وخامسة، ولما سلمني مسؤول المالية السلفة الخامسة قال لي:

أخ أبا مازن لقد كبرت السلف ولم تسددها ولم تبلغنا كيف تصرفت بها لأننا نريد أن نقفل الحسابات فقلت له: «أرجو أن أسددها لكم في أقرب وقت ممكن ولن يتجاوز الأسبوعين، وبالفعل لم يمض الأسبوعان وإلا وأعلنا الإتفاق فقلت لمسؤول

المالية: أموالكم ذهبت في أوسلو وهذا هو الحساب، وبرأت ذمتي منها.

هذا على الجانب الفلسطيني، فهل كان هناك ما يلفت النظر على الجانب الاسرائيلي؟ لا شك إن المجموعة التي كانت تعرف معلومات عن مسار أوسلو غير معروفة لنا، لأن رابين حصر هذا الأمر في إطار الوزارة المصغرة والتي تقتصر على بضعة وزراء وعدد من كبار المستشارين والموظفين المقربين له. لكن شمعون بيريز لم يكن متحفظاً في تصريحاته الكثيرة والتي كان يفهم منها أن أمراً ما يجري في الخفاء، لأنه عندما يقول: «نحن والفلسطينيون قريبون من الوصول إلى حل أكثر بكثير من توقع البعض». بينما يرى السياسيون والصحفيون نتائج واشنطن غير المشجعة، فلا بد أن يستنتجوا مما يمكن أن يستنتجوه أن أمراً ما يطبخ في الخفاء، كان بيريز يكرر عبارته المتفائلة أمام الصحافة يومياً بشكل تقريبي، ولم يكن ينف بشكل حازم ما يقال عن لقاءات معه أو حتى اجتماعات مع آخرين، تاركاً لخيال الصحفيين والسياسيين تصور ما يريد حول هذا الموضوع، وفي نفس الوقت كان يرغب في تهيئة الرأي العام الاسرائيلي لما نحن مقبلون عليه. وكذلك كان لا يترك مناسبة دون أن يشير إلى تفاؤلاته وقناعته بأن الحل قادم لا محالة. وهكذا كان كثيراً ما يصل إلى حافة الحافة حتى كاد أن يفضح كل شيء.

وفي يوم ١٩/٨/١٩٩٣ كان شمعون بيريز في أوسلو، وكان في مساء ذلك اليوم مدعواً مع الوفد المرافق له على العشاء من قبل السفير الاسرائيلي هناك. وكان متفقاً مع الوزير النرويجي على أن يطلبه عندما يصل المطعم. حتى جاء الهاتف يطالب بيريز بسرعة الذهاب إلى مقر رئيس الوزراء للأهمية، والواقع ان سبب الطلب كان البدء بمراسم التوقيع بالأحرف الأولى على إعلان المبادىء ولا بد أن يكون بيريز حاضراً هذه اللحظة التاريخية. وعندما تم التوقيع عاد إلى وفده وأعضاء سفارته وكأن شيئاً لم يكن.

عندما كنا في مرحلة أخيرة من مفاوضات أوسلو تم الإتفاق بين وفدنا والوفد الاسرائيلي على أن تكون عملية إخراج الاتفاق، هو بارسالها للأمريكان ليتبنوها، ومن ثم يقدمونها للوفدين على إنها مقترح أمريكي نهائي، وعلى الوفدين اما أخذه أو

تركه. إلا أن الاسرائيليين ما لبثوا أن سربوا إعلان المبادىء وملحقاته جميعاً، حيث نشرتها صحيفة يديعوت أحرنوت، الأمر الذي أفسد الخطة المتفق عليها، وأصبح لزاماً علينا أن نتعامل مع عملية إخراج الاتفاق بطريقة أخرى. وقد أصيبت الإدارة الأمريكية بحرج شديد، فهي تعرف ولكنها لم تأخذ الأمر على محمل الجدية، ولا تعرف لأن الإتفاق كان قد تم توقيعه في أوسلو. ولذلك فإذا أعلنوا إنهم يعرفون وإنهم وراء الإتفاق، سيفهم الجميع إنهم يكذبون، وإذا قالوا بإنهم لا يعرفون فمعنى هذا انهم آخر من يعلم، وهم الراعي الأول للمفاوضات. وكان لا بد من إجراء مشاورات حول طريقة الاعلان الأمريكي عن مسار اوسلو، وقد علمت إنهم تشاوروا مع الدكتور أسامة الباز حول مادة الإعلان الأمريكي، الذي صدر في بيان عن وزارة الخارجية الأمريكية، والذي تحدث عن وصول الاسرائيليين والفلسطينيين إلى اتفاق، وعن دور هام قامت به الولايات المتحدة، وذلك بعد لقاء وارن كريستوفر مع بيريز وهولست.

في الثالث عشر من أكتوبر/تشرين أول ١٩٩٣ كان الموعد النهائي للتصديق على الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي من قبل الجهات التشريعية لكلا الطرفين. حيث تبدأ فوراً أعمال اللجان المتخصصةفي تطبيق إعلان المبادىء. وقد تم الإتفاق بين عرفات ورابين يوم ١٠/١٠/١٩٩٣ حيث اتفق الاثنان في القاهرة على تشكيل عدة لجان فرعية تتبع لجنة عليا، سميت لجنة المتابعة، وهي تجتمع في القاهرة برئاستي للجانب الفلسطيني، ورئاسة شمعون بيريز للجانب الاسرائيلي.

وبعد أن أنهت اللجنة أعمالها، وبعد أن عقدت لقاءً منفرداً مع بيريز حضره من طرفه يوسي سريد وزير البيئة الاسرائيلي ومن طرفنا سعيد كمال سفير دولة فلسطين في القاهرة، وجرى الاتفاق على مجموعة من القضايا التي تتعلق بطبيعة عمل اللجنة واللجان الأخرى، كما جرى استعراض لبعض القضايا الجانبية. بعد ذلك دعانا عمرو موسى وزير خارجية مصر إلى مائدة غداء في وزارة الخارجية، وقد جلس يوسي سريد وتحدثنا في أمور شتى، لأننا كنا نعرف عن بعضنا منذ زمن بعيد، وإن كنا لم نلتق إطلاقاً إلا في هذه المناسبة. وقد استعرض على مائدة الغداء

تاريخه السياسي منذ كان في حزب العمل وخلافاته مع غولدا مائير ثم انسحابه من الحزب وانضمامه إلى حركة حقوق المواطن التي تترأسها شولاميت آلوني، ثم تكوين إئتلاف ثلاثي تحت إسم حركة ميرتس، وها هو الآن وزير في حكومة ائتلافية مع العمال، ولكنه كان يكره رابين كثيراً وينتقده ويفضل عنه شمعون بيريز باعتباره أكثر انفتاحاً وليونة في مواقفه السياسية. إلا إنه الآن يحترم رابين، إذا قال كلمة لن يتراجع عنها فهو صاحب موقف.

ثم انتقل الحديث إلى الاتفاق ا لاسرائيلي الفلسطيني وأهمية تطبيقه وضرورة العمل السريع من أجل ذلك، مشيراً إلى ان رئيس الوزراء الذي يثق به كل الثقة كان قد اطلع على مجريات المفاوضات في أوسلو، ولكنه كان يحافظ على السر كمن يقبض على جمر، لأن الأمر في منتهى الخطورة وفي منتهى الأهمية. وهو في نفس الوقت لا يستطيع التحدث به لأحد لدرجة تمنى أن لايكون قد عرف بمثل هذا السر لأنه عبء ثقيل.

ثم قال : لم يكن رئيس الوزراء مؤمناً بشكل كلي بقناة أوسلو، وربما لأن الذي يتولاها هو شمعون بيريز، وهو في نفس الوقت لا زال يأمل أن تتقدم قناة واشنطن التي تجري برعاية أمريكا.. إلا أن رابين تحول موقفه فجأة عندما أرسلت له رسالتك مع أحمد الطيبي عبر حاييم رامون وزير الصحة. وهي الرسالة ذات الأسئلة الخمسة والأجوبة الخمسة.

قلت له: لكن الأسئلة والأجوبة كانت معروفة لكم، وسبق أن ناقشناها مطولاً في أوسلو ولا يوجد بها جديد.

قال: ليس الأجوبة هي التي أثرت به، ولكن الرسالة الشفوية التي نقلت له هي التي غيرت موقفه.

هنا تذكرت ما حصل: في الوقت الذي وصل فيه الطيبي إلى تونس يحمل الأسئلة، كان وفدنا في أوسلو قد وصل إلى طريق مسدود مع نظرائه الاسرائيليين حول مجموعة من النقاط الأساسية، وقد قرر وقف المفاوضات والعودة إلى تونس.

وقد كنت في حالة قلق نفسي كبير. ولذلك صببت جام غضبي أمام الطيبي وحملته رسالة قاسية إلى رامون ورابين. قلت باننا سنوقف المفاوضات وسوف أستقيل من مهامي في لجنة المفاوضات. بطبيعة الحال لم أشر إطلاقاً لما يجري في أوسلو. وطلبت منه نقلها. واتضح لاحقاً إن الطيبي كان ذكياً بما فيه الكفاية، فقد أبلغ حاييم رامون بأن أبا مازن على وشك الإستقالة، وإن ذلك سوف يؤدي بطبيعة الحال إلى وقف المفاوضات وبالتالي إلى إسقاط الإئتلاف الحكومي في إسرائيل. هذه الرسالة التي نقلها الطيبي هي التي أدت كما تبين إلى التغيير في مسيرة المفاوضات.

بعد التوقيع على الاتفاق تحدثت مع الطيبي وكشفت له غرضي من تلك الرسالة التي حملها، فأبدى سعادة كاملة لأنه حمل شيئاً أدى دوراً هاماً في عملية السلام من حيث لا يدري، ولكن من حيث يرغب.

نظراً لحصر العدد المقحم في عملية أوسلو، حيث ان ثلاثة يفاوضون في أوسلو، وثلاثة يشرفون على هذه العملية. فقد تم الإتفاق على عدم إجراء إتصالات هاتفية من تونس إلى أوسلو، ولذلك لا أحد يعرف أرقام هواتف الوفد. إضافة إلى ذلك فإن تنقل الوفد من مكان إلى آخر في النرويج، جعل من الصعب استعمال الهاتف من قبلنا.

لكننا سمحنا بأن يجري الوفد بعض الاتصالات القصيرة والمشفرة معنا. بحيث أعطينا كل نقطة من النقاط التي ستكون مثار البحث رقماً ونحتفظ بنسخة من الارقام عندنا ونسخة أخرى مع الوفد. وبالتالي يجري الحديث حول الأرقام دون الخوض بالتفاصيل المتعلقة بالنقطة مجال البحث إلا في أضيق نطاق. وهذا ما ثبت فيما بعد، حيث ان عمليات التنصت على الهواتف لم تأت بأي نتيجة، ولم تكتشف أي دولة من تلك الدول التي تهوى التنصت على الهواتف الدولية، تلك الاتصالات التي دامت تسعة أشهر كاملة. وكنا في كل جولة التي تستمر من ثمان وأربعين ساعة إلى إثنتين وسبعين ساعة، لا نسمع أكثر من مكالمة واحدة أو إثنتين في أصعب الظروف. وكان الذي يتكلم في أغلب المكالمات حسن عصفور معي فقط، ونادراً ما تكلم أبو

علاء إلا إذا إضطررنا لذلك ولمرات تعد على أصابع اليد. أما بالنسبة لابي عمار وياسر عبد ربه فلم يجر معهما أي اتصال على الإطلاق طيلة مدة المفاوضات.

كذلك لم نعقد أي اجتماع في أي من المكاتب الرسمية للوفد المفاوض والوفد المشرف، وإنما كنا نختار بيتي دائماً للقاء فيه، لأنني تعودت أن لا يزورني أحد بدون موعد مسبق، وهذا ما كان يعطينا الأمان بأن أحداً لن يقرع الباب ليحرجنا عندما يرى الحاضرين، ثم لن يفكر بالأسباب التي تدعوهم لمثل هذا اللقاء. والحقيقة إن جميع الاجتماعات كانت تتم ليلاً وفي أوقات مختلفة ولمدة محدودة، بحيث تناقش بسرعة كل القضايا وتتخذ المواقف والقرارات فيها وينصرف الحاضرون فرادى، وليس دفعة واحدة. ومن حسن الحظ إن أعضاء الوفد لا يثيرون أية شكوك لدى الآخرين، لأنه لا يمكن أن يخطر ببال أحد إنهم يقومون بدور تفاوضي ما.

عبر الهاتف، كنا نستعمل الأسم الحركي للمسار بكلمة «المتعدد» وهذه تعني مفاوضات مسار أوسلو. وكان مسموحاً بسؤال واحد لا أكثر وهو: ما هي أخبار المتعدد؟ وهناك جواب واحد فقط: أما جيدة أو سيئة. وتمنع الإستفاضة في الحديث أو الأسئلة الإضافية مهما كانت. وعلى السائل عندئذ أن ينتظر حتى يتم اللقاء به، ليجري البحث بالتفاصيل والحديث عنها.

أما إذا كان الإستفسار عن سفر الوفد أو عودته بالهاتف. فكان السؤال: «هل عاد الطيار»؟ إشارة إلى حسن عصفور؟ وكان الاسم المتداول لأبي علاء هو أحمد، أما عن الوسطاء النرويجيين فلا نذكر إسم البلد أو إسم أي شخص منه، وإنما نكتفي بالإشارة إلى إسم أطلق على أحد أعضاء الوفد النرويجي وهو «أبو عجقة» أما إسمه الحقيقي فهو (تيري لارسون - رئيس منظمة الفانو في وزارة الخارجية، وهو الآن سفير بوزارة الخارجية النرويجية) وقد أطلق عليه هذا الاسم من قبل وفدنا، لأنه كان دائماً في حالة استعجال وهرولة. وهكذا أصبح هذا الإسم، الإسم السري للوفد النرويجي وللنرويج.

أما بالنسبة لي فلم يكن وفدنا يذكر إسمي إطلاقاً، إلا إن النرويجيين أعطوني

إسماً باللغة الإنكليزية وهو'THE HOLY SPIRIT'وأصبح شائعاً بين الأطراف الثلاثة، بحيث إذا أرادوا الإشارة لي يطلقون هذا الإسم، وفي الحقيقة لا أعرف سبباً لهذا الإسم.

بعد انضمام أوري سفير مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية إلى الوفد الاسرائيلي المفاوض في أوسلو، وشعرنا إن تطورا قد حصل من قبل الحكومة الاسرائيلية بارسال هذا الرجل، بعد أن كان الاثنان الاولان (هيرشفيلد ورون بونديك) يدعيان بأنهما فقط يحضران بصفة أكاديمية لا أكثر. وبدخوله إلى المفاوضات ازداد حماسنا لهذه القناة واهتمامنا بها. وبعد جولة من وصوله، أصبح للوفد الإسرائيلي إسماً رمزياً وهو «أبو جعفر». فمن أين جاء هذا الإسم؟

يطلق على عبد اللطيف أبو حجلة المدير العام للدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية إسم «أبو جعفر» نسبة إلى إبنه البكر، وهذا الموقع يقابل موقع «أوري سفير» في وزارة الخارجية الإسرائيلية. ومن هنا جاءتنا فكرة أن نطلق على الوفد الاسرائيلي وبالذات على «أوري سفير» إسم «أبوجعفر». وأصبحت هذه التسمية معروفة في أوساط الوفود الثلاثة الفلسطيني والإسرائيلي والنرويجي.

الفصل الثاني عشر

غزة - أريحا. من إلى أين؟

منذ فترة طويلة وزعماء إسرائيل من مختلف الأحزاب يمينها ويسارها يتحدثون عن ضرورة الإنسحاب من قطاع غزة. سواء أكان ذلك في عهد الليكود أو في عهد العمل. إلا ان جميع هذه التصريحات لم تصادف أي رد فعل من الجانب الفلسطيني، إن لم يكن حديث البعض عنه سلبياً، في رفضه لهذه الفكرة.

فقد كان ديفيد بن غوريون يقول: «غزة هي سرطان». وكثيراً ما أكد عدد من السياسيين والعسكريين ورجال الإعلام الاسرائيلي هذه الحقيقة التي يعيشونها، كل بطريقته وحسب فهمه، فقد قال الجنرال حاييم بارليف، رئيس أركان جيش الدفاع الاسرائيلي: «إننا نحتل غزة في النهار، لكن الفدائيين يحتلونها في الليل»، وقد أطلق عليها عدد من أفراد الجيش الاسرائيلي عبارات عديدة، منها: القطاع اللعين ـ وكر الدبابير ـ جحر الثعابين. وقد وصل الحد بهم إلى القول بإنه «سرطان يجب على كل جسم سليم أن يتخلص منه حتى لا ينتشر أكثر فيه».

إن الاسرائيليين سواء في السلطة أو في الأحزاب أو في الشعب أو في الجيش، قد اقتنعوا في غالبيتهم، بعدم جدوى البقاء في هذه المنطقة، وانتشرت على شكل عناوين في الصحف، وعلى السنة القادة والسياسيين، عبارات التمني والخلاص من هذا الكابوس. وقد عزز هذا الموقف استطلاع للرأي العام الاسرائيلي نشرته صحيفة (معاريف) في صيف ١٩٩٣، وأفاد بأن ٧٧٪ من المستجوبين، أعربوا عن مساندتهم لانسحاب اسرائيل من غزة باسرع وقت ممكن، فيما أعرب نصفهم عن اعتقادهم بأن يكون انسحاب إسرائيل من القطاع في إطار اتفاق شامل. وفي إطار الحكومة، كان هناك من يرى بضرورة الإنسحاب من القطاع بسرعة، وبقرار من جانب واحد، ويمثل ذلك الرأي حمائم حزب العمل والأحزاب اليسارية، وهناك من رأى بتفضيل التفاوض بشأن هذا الإنسحاب. وقد مثل هذا الرأي رابين وجماعته وهم الأكثرية داخل حكومة حزب العمل.

تحدث البعض في الساحة الفلسطينية عن ان اسرائيل تريد أن تتخلص من الأعباء الثقيلة، التي تقوم بها في قطاع غزة، سواء الأمنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. وقال البعض الآخر ان الانتفاضة في قطاع غزة في أوج عنفوانها، وإذا تركنا اسرائيل تنسحب فهذا يعني وقف الانتفاضة هناك وهذا ليس في صالحنا، فما دامت اسرائيل منزعجة من قطاع غزة، فعلينا أن لا نخفف عنها وأن نتركها تغرق أكثر في رمال القطاع المتحركة، وتساءل البعض الآخر عن الثمن الباهظ الذي ستدفعه لرحيل اسرائيل عن غزة. ولربما كان هذا الانسحاب هو الأول والأخير، أي ان اسرائيل ستتركنا نغرق فيه وتهضم باقي الأراضي المحتلة وتضمها إليها.

في أحد تصريحاته قال إسحق رابين «أتمنى أن يغرق قطاع غزة في البحر» وعندما هاجمه البعض ونعتوا تصريحه هذا بمخالفة حقوق الانسان، وانه يصل إلى حد العنصرية، أجاب رابين« لم أقصد إطلاقاً الاستنتاجات التي توصلتم إليها.. إن الفلسطينيين يفهمون تماماً ما أعني».

لفت نظري أول حديث تفوه به مسؤول اسرائيلي حول الانسحاب من قطاع غزة، إلا انني لم أستجب له، لأنني اعتبرته حديثاً للصحافة لا يصل إلى مستوى الموقف أو القرار، حتى عندما تكررت أحاديث المسؤولين، لم أحاول أن أذكر في أي مقابلة أو لقاء صحفي أو سياسي شيئاً عن هذا الأمر، لأنه من وجهة نظري لم يصل بعد إلى مستوى الموقف أو القرار، وإن كنت مقتنعاً تماماً بان انسحاب اسرائيل ليس من قطاع غزة، وإنما من شبر من أرض فلسطين مكسب هام ما دام بلا مقابل وبدون شروط مسبقة. وإن كنت حاولت فيما بعد أن أشير إلى هذا الأمر إشارة تتضمن عدم الإعتراض على الانسحاب الاسرائيلي من غزة، إذا كانت هذه رغبة الاسرائيليين دون أن نتحمل بالمقابل أي إلتزام.

وكان الكثيرون ينتقدون هذه الاشارة ويضمنون انتقاداتهم حيثيات لا تقوم على أساس.

وعندما أطلق إسحاق رابين تصريحاً هاماً قال فيه :«إذا توصلنا مع الفلسطينيين

إلى إعلان مبادىء فإنه لا مانع لديه أن ينسحب من قطاع غزة». وبعدها مباشرة صرحت لعدد من الصحف ووكالات الأنباء باننا مستعدون لقبول الانسحاب من قطاع غزة، ما دام في إطار إعلان مبادىء متفق عليه. وقد حاول البعض من أعضاء اللجنة المركزية أن ينتقدوا هذا التصريح دون أن يطلعوا على تفصيلاته وفحواه. ومع ذلك فان أحداً لم يفكر بهذا الموضوع ولم يخطر على باله بان ذلك يمكن أن يتحقق أو أن يقبل به عند الضرورة الاسرائيليون.

لقد طرحت الأمر على أبي علاء رئيس الوفد المفاوض في أوسلو، فرفض الفكرة من أساسها وقال: بالاضافة إلى انني غير مقتنع بهذا الأمر، فإنه من غير الممكن أن يقبل به الاسرائيليون، ولذلك لا فائدة إطلاقاً من بحثه الآن.

وبعد عدة لقاءات تمت بيننا، اقتنع أبو علاء بان مسألة الانسحاب من غزة كنموذج، مفيدة، لأنها تعبير على موقف فلسطيني، باننا نصر على تطبيق القرار ٢٤٢ بالانسحاب، وامتحان للموقف الاسرائيلي من مسألة تطبيق هذا القرار بتجربة الانسحاب من غزة.

وعلى الرغم من هذا الموقف فقد اتفقت مع أبي علاء ووفده بعد أن اقتنع بالفكرة. أن يطرحها على نظرائه في أوسلو من الاسرائيليين ونرى بعد ذلك ردة فعلهم ومدى استعدادهم لتقبل هذا الأمر.

في أوسلو عندما طرح وفدنا فكرة الإنسحاب من قطاع غزة، استهجن الاسرائيليون هذا الأمر واعتبروه نكتة لا تحتمل أكثر من الابتسام. ولكن أبا علاء أصر على وضعها على طاولة المفاوضات، ولما حاول الاسرائيليون رفضها، قال لهم بان رئيس الوزراء رابين أعلن إنه يوافق على الانسحاب إذا توصلنا إلى إعلان مبادىء. وهنا نحن نبحث إعلان المبادىء، فلماذا لا نبحثها؟ فقال الاسرائيليون ان هذا الذي قاله رابين إنما هو حديث للصحافة وليس موقفاً رسمياً. فرد أبو علاء بقوله: «لا نعتقد إن الرئيس يهزل أمام الصحافة ولا ندري إن كان يتكلم بلغتين، لغة للمفاوضات وأخرى للصحافة. إننا نعتبر إن الرئيس عندما يتحدث عن موضوع

فإنه جاد فيما يقول، وقد أخذت قيادتنا هذا الكلام على محمل الجد، وبالتالي كلفنا بطرحه عليكم ، وبصراحة فان هذا امتحان لمدى جديتكم في طرح القضايا الجادة».

لم يجب الطرف اسرائيلي بالرفض أو الموافقة، وإنما قال بانه سيعود إلى قيادته لمعرفة رأيها فيه، وإن كان يشك بالموافقة عليها، إلا ان أبا علاء أوحى إليهم بان الامر بالنسبة لنا هام للغاية،وإن إعلان المبادىء بدونه قد لا يمر.

في الجولة التالية وافق الاسرائيليون من حيث المبدأ على الإنسحاب من قطاع غزة، دون أن يدخلوا في التفاصيل الضرورية لذلك. ولكننا ألححنا لهم بأن استلام القطاع يجب أن يكون من جهة مسؤولة قادرة على ضبط الأمن والنظام وان تقدم جواباً على مشكلات السكان الرئيسية الخاصة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والاداري والأمني. وقد لاحظنا ان الاسرائيليين يتقبلون فكرة استلام قيادة المنظمة لقطاع غزة عند انسحابها منه، ولكن مثل هذا الأمر يحتاج إلى إجراءات كثيرة، لم ندخل في تفصيلاتها وإنما تركنا ذلك للانتهاء من إعلان المبادىء بشكل كامل، ثم نلتفت إلى هذا الأمر.

عندما استمع أبو عمار إلى تقرير الوفد حول موافقة اسرائيل المبدئية على الانسحاب راح يطلب طلبات أخرى.. مثل.. إن القطاع لا يكفي، لا بد أن ينسحبوا من مكان آخر في الضفة الغربية حتى لا يقال إن الحل يشمل غزة فقط ولا يشمل الضفة، ولذلك لا بد أن نطالب بالانسحاب من أريحا مثلاً.

وبعد ذلك راح يطلق تعبير «غزة - أريحا » كمشروع متكامل، ويتحدث فيه إلى الرؤوساء والمسؤولين الذين يقابلهم، حتى شعرنا إنه يختصر كل مشروع إعلان المبادىء بهذه العبارة. ولم يعد يلتفت إلى أية قضايا في الإعلان، وإنما يكتفي بالسؤال عما تم بمشروع «غزة - أريحا»، حتى ظن البعض الكثيرون ان الاتفاق الذي جاء فيما بعد، لا يشمل إلا غزة وأريحا، وإن الحل المرحلي أصبح حلّين مرحليين، أحدهما معروف والثاني غير معروف، بل روج البعض الآخر إلى ان الحل المرحلي والنهائي هو غزة - أريحا فقط.

قبل زيارة رابين للاسماعيلة، التقى أبو عمار والرئيس مبارك حيث طلب منه ان يستمزج رأي رابين في مشروع غزة ـ أريحا. وحيث إن الرئيس مبارك لا يعرف خلفية هذا الموضوع لأن أبا عمار لم يشرحها له، فقد طرحها على رابين بشكل مباشر فما كان من رابين إلا أن غضب غضباً شديداً، ورفض الخوض في الموضوع. وقيل وقتئذ إن رابين جاء مبتهجاً إلى مصر وعاد منها غاضباً.

وقبيل زيارة كريستوفر إلى المنطقة، كنا في زيارة إلى القاهرة نعد لبحث الجواب الفلسطيني على المسودة التي قدمها الأمريكان للوفد عشية انتهاء مفاوضات الجولة العاشرة. وبعد أن توصلنا إلى صيغة مناسبة يقدمها المصريون للأمريكان ويقدمها له وفدنا في القدس. في هذه الأثناء تحدث معنا أبو عمار، الذي كان في زيارة إلى جنوب شرق آسيا، وأبلغنا إنه تلقى عرضاً من الأمريكان بواسطة دان كيرتزر أحد مساعدي الوزير كريستوفر في حديث له مع حنان عشراوي، وأبلغها موافقة أمريكا على مشروع غزة ـ أريحا، وبالتالي علينا أن نقدم تصوراً لهذا المشروع.

بصراحة.. لم أصدق ان الأمريكان موافقون على هذا المشروع، وإن الأمر لا يعدو أن يكون حديثاً هامشياً وجانبياً بين حنان وكيرتزر، حول هذه الفكرة.. فقال كيرتزر: « لا مانع.. قدموا ما لديكم».

إلا ان عرفات أصر على التمسك بهذا الكلام على انه مشروع أمريكي جاد، وإنه «هبة» من أمريكا لا يجوز رفضها. وعندما قلنا له إن مثل هذا الأمر وارد في إعلان المبادىء الذي يجب أن نحققه قال: «أريد غزة ـ أريحا»، وماذا أفعل باعلان المبادىء؟ وما حاجتي به؟ هل أضعه في إطار أعلقه على الحائط؟

جن جنون الوفد الاسرائيلي وهو يستمع إلى مطالبتنا بالانسحاب أيضاً من أريحا، ورفضوا بادىء الأمر مجرد الخوض في هذا الأمر، لكن الوفد أصر على أن يشرح لهم أسباب هذا الطلب، وهو إنه بوابة الضفة الغربية، وأن طلب الانسحاب هو مسألةرمزية بالنسبة لهذه الضفة، وإن الانسحاب منها لا نتائج سلبية له، خصوصاً

وإنه لا توجد في تلك المنطقة مستوطنات إلى آخر ذلك من الحجج، التي جعلت الاسرائيليين يطلبون مهلة للتفكير ومراجعة إسحاق رابين شخصياً، لأن بيريز لا يمكن أن يبت بهذه المسألة الحيوية الهامة.

عاد الاسرائيليون ليقولوا: «لقد وافقنا على الانسحاب من مدينة أريحا لتتولاها قيادتكم عندما يبدأ تنفيذ الاتفاق» إلا ان طلباتنا بدأت تتلاحق بشكل أخرج الاسرائيليين عن طورهم، لكنهم قبلوا بعضها ورفضوا بعضها الآخر، وتركوا الباب مفتوحاً أمام طلبات أخيرة.

عندما طلبنا أن يكون الإنسحاب من لواء أريحا وليس من مدينة أريحا « رفضوا ذلك رفضاً قاطعاً، فغيرنا الطلب إلى «مقاطعة أريحا »، فرفضوا ذلك أيضاً. ثم تم الأمر على الانسحاب من منطقة أريحا على ان يتم الإتفاق عليها بعد ذلك.

تبع ذلك الحديث عن ممر خاص يربط باريحا، وألمحنا إلى ان يكون جزءاً تابعاً لهاتين المنطقتين إلا انهم رفضوا باصرار لأنه يقسم دولة اسرائيل. ومن غير المعقول أن يسهموا بمثل هذا الطلب، فعرضوا ممراً آمناً للشخصيات الهامة، لكننا رفضنا أن يقتصر الأمن على الشخصيات الهامة، إنه في هذا التمييز طعنا لهذه الشخصيات أكثر منه حماية لهم. وفي نهاية المطاف وافقوا على أن يكون المعر آمناً للأشخاص والمواصلات.

إن هذه النقاط لم تغط مسألة غزة ـ أريحا، وإنما هناك نقاط أخرى لا بد من التطرق إليها، وأهمها معبر غزة وأريحا ـ الأردن. وكنا نريد أن يكون هذان المعبران تحت تصرفنا، أو بتصرف مشترك بيننا وبين البوليس الدولي، إلا ان الاسرائيليين بالاضافة إلى رفضهم ـ بداية ـ الإشارة إلى هذين المعبرين، فقد رفضوا فكرة أن نتولى نحن أو معنا شركاء مسؤوليتهما، لأنهما بهذه يمسان الأمن الخارجي، الذي لا زال أو سيبقى من مسؤوليتهم أثناء المرحلة الانتقالية. وفي نهاية الحوار تم الاتفاق على ذكرهما على أن يبت بمسألة الاشراف عليهما بالاتفاق بيننا وبينهم، دون أن يظهروا أي تنازل نحو مشاركتنا هذا الاشراف.

إن الاتفاق على الانسحاب من غزة ـ أريحا، قد فتح الباب على مصراعيه لبحث العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل، لأنّ الانسحاب يتطلب جهة ما تكون مسؤولة عن هاتين المنطقتين في الفترة، التي تفصل بدء أو تنفيذ الاتفاق عن موعد الانتخابات، الذي سيأتي في فترة تسعة أشهر من تاريخ التوقيع على إعلان المبادىء. لذلك فقد تم الاتفاق على انه بعد التوقيع بالأحرف الأولى، يمكن بحث الشروط الملازمة لهذا الاعتراف المتبادل.

مع الأسف فان بعض التصريحات أظهرت الاتفاق وكأنه يشمل غزة ـ أريحا فقط، بند واحد فقط يهم غزة ـ أريحا... من بنود أخرى تضمنت الربط بين المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية ربطاً محكماً. وبناء عليه سيكون هناك نقل للسلطات أو لمعظمها في غزة وأريحا فور انسحاب الجيش الاسرائيلي منها، كما سيكون في نفس الوقت نقل لبعض السلطات في باقي الضفة الغربية إلى أن تتم الانتخابات، ستنقل كل السلطات المتفق عليها. ولذلك لا يوجد تباين بين ما سيجري في غزة وأريحا، وما يجري في باقي الضفة الغربية. كل ما في الأمر إنه سيكون في غزة وأريحا انسحاب، وبالتالي سيكون مكان للقيادات الفلسطينية فيها.. وفي المناطق الأخرى، سيكون نقل للسلطات وإعادة تموضع للقوات الاسرائيلية وخروجها من المدن والقرى الفلسطينية الآهلة بالسكان إلى مناطق معروفة ومحدودة عشية الانتخابات.

لقد كان موضوع غزة أريحا أولاً، نقلة مميزة في بنود إعلان المبادىء.. وهو من وجهة نظري اختبار دقيق للنوايا المستقبلية لاسرائيل ومصداقيتها.

الفصل الثالث عشر

المفاجأة

بعد انتهاءالتوقيع على إعلان المبادىء بالأحرف الأولى في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة ١٩٩٣/٨/٢٠، وقبل أن تنشر الصحافة الاسرائيلية نصوص الاتفاق وملاحقه الأربعة بالإضافة إلى المحضر المتفق عليه، كان لابد لنا أن نواجه القيادة الفلسطينية وأعضاء الوفد الذين سيغادرون إلى واشنطن خلال أيام لاستئناف المفاوضات في جولتها الحادية عشرة.

وفي هذه الأثناء وقبل الكشف عن العملية كلها، عقدت دورة إجتماعات للجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية، وكنت متردداً في وضع الأوراق على جدول أعمال اللجنة خوفاً من التسريب، الذي تعود عليه بعض أعضاء هذه اللجنة، الذين ما يلبثون أن ينشروا كل المعلومات التي يحصلون عليها في الصحافة العربية.

ولذلك لجأت إلى الحيلة للتخلص من الحديث، فتوجهت إلى جمال الصوراني أمين سر اللجنة التنفيذية وسألته فيما إذا كان يضمن الحفاظ على سرية ما يمكن أن أقوله، وهو في غاية الأهمية والسرية.. فأجابني الصوراني بانه لا يضمن ذلك، وهنا أعطاني العذر للصمت. وساعدني في اليوم الثاني على الاستمرار في الصمت، ما نشرته الصحافة الأردنية عن حيثيات إجتماع اللجنة التنفيذية في الليلة الماضية، مع كل التفاصيل التي وقعت والتي لم تقع أيضاً.

وهكذا مضت إجتماعات اللجنة التنفيذية دون أن أتفوه بكلمة واحدة عن الاتفاق، وإن كنت اخترت بعض الأعضاء الذين أثق بحفظهم للسر وأطلعتهم على إعلان المبادىء، وذلك تمهيداً للحصول على موافقتهم عندما يعرض هذا بشكل رسمي على اللجنة.

وفور انتهاء أعمال اللجنة التنفيذية طالبت بعقد لقاء لأعضاء اللجنة المركزية المتواجدين في تونس من أجل وضعهم بصورة الاعلان وحيثياته، حتى لا تتعقد

الأمور أكثر فاكثر، وأصبح في مواجهة اللجنتين القائدتين للساحة الفلسطينية، لأنني أعرف أن كثيرين من أعضاء القيادات الفلسطينية، إن لم تكن لديهم إعتراضات على الاعلان فإنهم سيعترضون عليه لعدم علمهم به وعدم إطلاعهم عليه. لأنهم جميعاً يعتبرون أنفسهم على قدم المساواة في المسؤولية، وبالتالي يجب أن يكونوا على قدم من المساواة في المعرفة. وحيث ان الطبيعة البشرية تفرض على الكثيرين ان يظهروا بمظهر المطلع على بواطن الأمور، فان من المؤكد ان كل شخص يعرف سراً لا بد أن يطلع عليه بعض الأصدقاء، والمقربين والمعارف والأقارب، ليثبت لهم انه مطلع. ومن المؤكد إنه سيطلب من كل هؤلاء، أن لا يطلعوا أحداً على ما يقول، إلا ان هؤلاء جميعاً سيقومون بنفس المهمة، ليطلعوا من حولهم على ما يعرفونه، ويطلبون إليهم أن لا يقولوا شيئاً. وهكذا وفي خلال يوم أو أقل قليلاً، يكون الأمر قد وصل إلى مسامع الصحافة ويدمر كل شيء.

ولذلك تبقى مسألة السرية سلاحاً ذا حدين، فهو من جهة مفيد للحفاظ على مسيرة المفاوضات، ولكنه من جهة أخرى نقطة ضعف في الأشخاص الذين يتولون المهمة، لأنهم سيتعرضون إلى الانتقادات الشديدة، التي تتجاوز موضوع البحث إلى النواحي الشخصية.

وعلى ضوء هذا الوضع المعقد تقدمنا إلى اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية لحركة فتح لشرح الاتفاق، حيث ووجهنا بعاصفة من الانتقاد لعدم اطلاع كلا اللجنتين على مسار هذه المفاوضات، وبصعوبة بالغة نقلنا الحديث من نقطة ضرورة الاطلاع المسبق إلى نقطة أخرى، تتعلق بالموضوع والحكم عليه. ومع ذلك فقد عكست القضية الذاتية نفسها على موقف البعض، إلا إن الأغلبية العظمى في اللجنتين أعطت موافقتها لقناعتها، بأن ما توصلنا إليه يعتبر إنجازاً لا يمكن التوصل إليه في غير هذه القناة.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتنا هي إبلاغ الوفد الذي جاء ليتلقى التعليمات حول الجولة الحادية عشرة، وأسلوب التعامل مع الورقة الامريكية، التي تقدموا بها في نهاية الجولة العاشرة. تلك الورقة التي جاء من أجلها دينيس روس إلى المنطقة

وتبعه الوزير وارن كريستوفر، في محاولة من الإدارة الامريكية لتنشيط المساعي الدبلوماسية والضغط على الأطراف المعنية للتوصل إلى صيغة مقبولة، تكون أساساً لاعلان مبادىء يتم التفاوض عليه بين الطرفين.

عندما حضر الوفد إلى تونس قبيل الدورة الحادية عشرة لاجراء لقاءات عادية مع القيادة والحصول على التعليمات اللازمة لهذه الدورة، كان لا بد من الحديث معه عن اتفاق أوسلو الذي تم توقيعه قبل بضعة أيام. وكان هذا الأمر مفاجأة مذهلة لأعضاء الوفد، فأصبحوا بين مصدق ومكذب، بين موافق ومعارض. إلى أن استفاقوا من الصدمة وأطلعوا على التفصيلات وباركوا ما توصلنا إليه، معترفين ان هذا ما لم يكن من الممكن أن يحصل في واشنطن.

ويبدوا ان الأمريكان عندما أبلغوا بالخبر لم يأخذوه على محمل الجد، وإنما تناولوه بكثير من اللامبالاة وبقليل جداً من الاهتمام لدرجة إنهم نسوه تماماً. وعندما زار كريستوفر اسرائيل في أواخر شهر يونيو/ حزيران ١٩٩٣ وأعاد الاسرائيليون على مسمعه ما أبلغوه به في السابق، قال: «إن هذه اللقاءات لا تعبر إلا عن مدى تفاؤل بيريز وأبي مازن ولن تكون لها أية نتائج».

الاعتراف المتبادل

لقد كانت الأشهر التسعة التي استغرقتها مفاوضات أوسلو بين المنظمة واسرائيل كافية، لإقناع الاسرائيين بأن التفاوض مع قيادة المنظمة بشكل مباشر أفضل بكثير من التفاوض عبر وفد لا يملك صلاحيات كافية للتصرف. بالإضافة إلى ذلك فان وفدنا في أوسلو أظهر مصداقية عالية بالالتزام بكل ما تم الاتفاق عليه، كما أظهر جدية في الحفاظ على سرية المفاوضات، في الوقت الذي تسربت فيه أخبار كثيرة في الصحافة الاسرائيلية حولها. إلا اننا كنا باستمرار نقوم بنفيها والتاكيد على عدم وجودها إطلاقاً.

إن هذا السلوك الراقي الذي صدر عن وفدنا جعل الاسرائيليين يفكرون بخطوة نوعية، وهي الانتقال من وصف المنظمة بالإرهابية، إلى التحدث معها، ومن ثم

الإعتراف بها. وإذا كان الوصول إلى إعلان مبادىء حدثاً هاماً، فإن الحدث الأهم هو الاعتراف المتبادل. لأن العدوين التاريخيين يضعان للعداوة حداً ويجلسان إلى بعضهما البعض ويقرّان بوجود بعضهما بعضاً.

إن وقوع مثل هذا الأمر بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين لم يكن صعباً من الناحية السياسية، لأن المبادرة الفلسطينية التي تبناها المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٨٨، أشارت بوضوح إلى إمكانية قبولنا الاعتراف باسرائيل. لكنني أقر بأن المسألة من الناحية النفسية والمعنوية قد تكون صعبة على الكثيرين. أما بالنسبة لاسرائيل فالمسألة أكثر تعقيداً، لأن الاسرائيليين يرفضون بشكل كامل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية. كما كانوا يرفضون أيضاً الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني. وهذا الأمر توارثوه منذ قدوم تيودور هيرتزل لفلسطين في مطلع هذا القرن عندما وضع مقولته «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ». فكانت هذه المقولة قاعدة لكل موقف اسرائيلي فيما بعد، ولكل موقف دولي أيضاً. إذ كنا نلاحظ ان وعد بلفور الذي أطلقته بريطانيا، وصك الانتداب الذي صدر عن عصبة الأمم، لم يتطرقا من قريب أو بعيد إلى وجود الشعب الفلسطيني، بل أشار إليه على إنه «الطوائف الأخرى التي تعيش على أرض فلسطين».

وهكذا فان الاعتراف كان بالنسبة لنا صعباً من الناحية النفسية والمعنوية وسهلاً من الناحية السياسية، وكان بالنسبة للاسرائيليين صعباً من الناحيتين، لكن العملية السياسية التي نعيشها هذه الأيام لها استحقاقاتها التي يجب أن تدفع.

قال يونيل زنغر رئيس الوفد الاسرائيلي إلى مفاوضات أوسلو:«ان الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لنا له شروطه وله متطلباته، التي لا بد أن تلبوها إذا رغبتم في ذلك ». فرد عليه أبو علاء قائلاً: أن قيادتنا تنظر بانفتاح إلى هذه المسألة، وترغب في بحث جدي نجريه معكم حول هذا الموضوع، وبالتالي نحن بانتظار مطالعاتكم لندرسها.

أحضر الوفد الاسرائيلي النقاط التالية:

١ ـ الاعتراف بحق اسرائيل بالوجود بأمن وسلام.

٢ ـ القبول بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨.

٣ ـ القبول بالتفاوض حول المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية والتفاوض هو الطريق الوحيد للوصول إلى تسوية سياسية.

٤ ـ نبذ الإرهاب.

٥ ـ وقف كافة أعمال العنف والإرهاب.

٦ ـ إلغاء مواد الميثاق التي تتناقض مع حق إسرائيل في الوجود، أو تتعارض مع هذه البنود.

٧ ـ ان ياسر عرفات بصفته رئيس منظمة التحرير، مستعد للقاء أي مسؤول اسرائيلي.

لقد درسنا هذه النقاط بعناية فائقة وبجدية كاملة، لاننا كنا نريد فعلاً الوصول إلى الإعتراف المتبادل الذي ينهي كل الشوائب التي تقف في طريق التفاوض المباشر بين الطرفين. لأننا مهما حاولنا أن نبرر ونوضح بأن الوفد الفلسطيني يمثل المنظمة، كونها هي التي عينته وهي التي توجهه وهي التي تشرف على كل صغيرة وكبيرة، وهي في النهاية مرجعه الأول والأخير، مهما حاولنا توضيح ذلك، يبقى ان حكومة اسرائيل ترفض الاعتراف بالمنظمة باعتبارها منظمة إرهابية، تنوي وتعمل على تدمير دولة اسرائيل.

حاول الاسرائيليون أن ينفوا بشكل قاطع من أذهان كل الأطراف انهم يتفاوضون مع ياسر عرفات بصفته رئيس دولة فلسطين، التي يعترف بها أكثر من مائة دولة، ليؤكدوا إنهم يتعاملون مع المنظمة فقط. كذلك ركزوا على ضرورة إلغاء الميثاق أو كل المواد التي تنكر شرعية وجود اسرائيل. وفي نفس الوقت طالبوا بوقف الانتفاضة فوراً. أما ما تبقى من النقاط السبعة، فقد سبق للمنظمة في مناسبات رسمية مختلفة ان التزمت بها أوألزمت نفسها بها، دون أن يكون أي التزام من قبل اسرائيل. ولهذا فإننا نعتبر إن إعادة الالتزام بها لا يعني شيئاً ولا يضر بشيء.

ولذلك فقد كنا حريصين على أن لا يتضمن الاعتراف الذي سنقدمه لاسرائيل تاكيداً قاطعاً باننا قررنا إلغاء مواد الميثاق التي تتعارض مع شرعية وجود اسرائيل، لأن مثل هذا التاكيد من حق المجلس الوطني الفلسطيني، وبالتالي لا بد من الاشارة الواضحة إلى ذلك . كذلك فان الاشارة إلى وقف الانتفاضة من الناحية النفسية والجماهيرية يصعب علينا أن نبرّره لأنه من غير المعقول أن نطالب بوقف الانتفاضة والاحتلال لا زال قائماً، ولم نوقع بعد بشكل رسمي على الاتفاق. لهذا فقد جرى الاتفاق على أن يتم إبرام تعهد خطي يوجه لوزير خارجية النرويج بأن عرفات في مناسبة ما بعد التوقيع على الاتفاق، يطالب في أحد خطاباته الجماهير بالالتفات إلى البناء والعمران والهدوء، كتعبير عن المطالبة بوقف الانتفاضة.

وقد استغرق الحديث عن الاعتراف المتبادل أكثر من عشرة أيام، لأن الخلاف لم يكن على ذكر بعض البنود، وإنما على كثير من التعابير والكلمات التي توقفنا نحن الطرفين عندها طويلاً. وقد كان معظم الحوار حول هذه المسألة يجري عبر الوزير النرويجي، حيث جرى اللقاء الاخير في باريس، وتم فيه الاتفاق النهائي على صيغ الرسائل الثلاث، رسالة الاعتراف من قبلنا، ورسالة الاعتراف من قبل الحكومة الاسرائيلية، ورسالة ثالثة موجهة من ياسر عرفات إلى وزير خارجية النرويج حول الانتفاضة.

جرى التوقيع على هذه الأوراق في الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء الخميس ٩/٩/١٩٩٣ بعد نصف ساعة من اجتماع الجنة التنفيذية التي أقرت هذه الرسائل واعتمدتها.

عديد من أعضاء القيادة الفلسطينية في اللجنة التنفيذية أو المركزية، لم يكن يخطر ببالهم ان ما وصلنا إليه من اتفاق يمكن أن نصل إليه. فبعضهم كان يقول يكفي أن تذكروا في إعلان المبادئ «الشعب الفلسطيني» وما عدا ذلك غير مهم ، وآخر يقول إن غزة وأريحا وحدهما تحت رعاية منظمة التحرير كافٍ لنا، وثالث يقول: إذا جاء مع هذا الإعلان توقيع منظمة التحرير فهو الإنجاز التاريخي. ورابع عندما قرأ الإعلان· قال «هذا زيادة عما كنا نطمح إليه». والغريب ان هؤلاء جميعاً عندما أكدنا

لهم ان الاتفاق حقيقة لا لبس فيها ولا غموض، تراجعوا عن أقوالهم وأعلنوا المعارضة غير المبررة للاتفاق.

لقد كان يتصور هؤلاء انه من المستحيل الوصول إلى اتفاق، ولذلك كانوا يضعون تحفظات، يعتقدون ان تحقيقها غير ممكن، وذلك من أجل أن يعارضوا، حتى تبقى صورتهم أمام الناس، تلك الصورة التي لا تتلوث، لانهم تعودوا على اتخاذ مثل هذه المواقف، وهم في النتيجة لا يخسرون شيئاً. وبعضهم اتخذ من المعارضة تعبيراً عن موقف شخصي بحت، يتلخص في انه بعيد عن المفاوضات أو مبعد عنها، وما دام بعيداً فهو ضد كل ما يفعله الآخرون ولو كان متطابقاً أو أفضل من مواقف المعارضة الحقيقية.

وهناك فئة ظريفة في معارضتها، وتقدم حيثيات موقفها على أساس اننا في المستقبل لن نستطيع أن نطبق الاتفاق نظراً لعدم قدرتنا على ذلك، ونظراً لعدم وجود المقومات الاقتصادية والادارية والفنية الكافية لمثل هذا التطبيق، ولذلك فهي ترفض الاتفاق. لقد كان مستوى الوعي أمام هذا الحدث التاريخي، والترفع عن الصغائر والقضايا الشخصية أكبر بكثير من أولئك الذين ينظرون إلى المستقبل والشعب والوطن ومصالحه من زواياضيقة وأفق محدود وانعدام الاحساس بالمسؤولية.

إن القيادة ليست مجرد مواقع وامتيازات ومكاسب، بل هي في الأساس قدر من الشجاعة واستشفاف رغبات الجماهير والتطلع إلى بناء المستقبل وخدمة القضية بكثير من نكران الذات. وهي ليست الحفاظ على الكينونة، وتحصين المواقف الشخصية والجلوس في الدائرة المريحة، بعيداً عن الدائرة الصحيحة.

أعلنت الادارة الأمريكية أن التوقيع على إعلان المبادئ سيتم يوم الأثنين ١٩٩٣/٩/١٣، وان الذي سيكلف بالتوقيع من الجانب الاسرائيلي هو وزير الخارجية شمعون بيريز، إلا اننا وكعادتنا، لم نقرر من هو وفدنا ومن الذي سيوقع على الاتفاق، وان كان من المفروض أن يوقعه فاروق القدومي وزير خارجتينا، إلا ان السيد القدومي ولأنه معارض للاتفاق رفض الذهاب إلى واشنطن، وفي هذه الأثناء

كان أبو عمار يرغب في حضور الاحتفالات، وهذا يتطلب أن يحضر رابين أيضاً. وبناء على ذلك جرت اتصالات حثيثة في الثماني والأربعين الساعة، التي سبقت الموعد المحدد، ووجهت الدعوة إلى الاثنين للحضور، وطلب إلي أن أقوم بالتوقيع باسم منظمة التحرير الفلسطينية. ولقد كان لي بعض التحفظات على السفر،إلا أن الكثيرين بذلوا جهوداً لازالة هذه التحفظات، مما جعلني أرضخ لقرار، بعد ان تمنيت أن أتملص منه دون جدوى. وكنت بعد ذلك على متن طائرة ملكية مغربية، تحمل وفدنا إلى واشنطن يوم الأحد ١٢/٩/١٩٩٣.

لقد كانت الثماني والأربعين ساعة التي قضيناها في واشنطن مليئة بالنشاط واللقاءات والاتصالات والرسميات. ولا بد أن نركز على أبرز المحطات التي توقفنا عندها في هذه الزيارة التاريخية.

عندما وقعنا اتفاق إعلان المبادىء، لم يكن هناك اعتراف متبادل بين المنظمة واسرائيل، ولذلك ورد في الديباجة ان الاتفاق بين الوفد الفلسطيني هو في إطار الوفد الأردني الفلسطيني المشترك. وهذا أمر طبيعي ما دام ان المفاوضات في واشنطن، بدأت على هذا النحو وسارت على هذا الأساس. إلا إننا بعد التوقيع على الاعتراف المتبادل أصبح ضرورياً تغيير هذه الديباجة وتغيير إسم الموقع الفلسطيني، ليصبح الإتفاق بين حكومة اسرائيل والمنظمة، وكذلك ليصبح التوقيع باسم المنظمة. وقد وصلنا إلى واشنطن دون أن تحل هذه المسألة، التي كنا نعتبرها تحصيل حاصل، بحيث يتم التعديل بشكل آلي دون طلب أو مفاوضات. وقد لاحظنا هناك أن الوفد الذي تواجد في واشنطن لم ينشط لإجراء التعديلات المطلوبة، وإنه انتظر حضورنا لنباشر بأنفسنا إتصالات مع الاسرائيليين والأمريكان والنرويجيين، حيث لمسنا رفضاً اسرائيلياً لاجراء أي تغيير بحجة أن الوقت ضيق، وإنه لا يمكن إجراء تعديلات على الصيغ الحالية الموجودة في البيت الأبيض، والتي أصبحت جاهزة للتوقيع.

وعن الدقائق الأخيرة التي سبقت حفل التوقيع في واشنطن، سجل هايل الفاهوم عضو الوفد الفلسطيني هناك ما يلي:

يوم الإثنين ١٣/٩/١٩٩٣ في السادسة صباحاً اتصل بي أحد أعضاء الوفد الاسرائيلي وعَرّف عن نفسه بأنه مساعد شمعون بيريز، وطلب التحدث مع أبي مازن لتحديد لقاء بين بيريز وأبي مازن في الساعة السادسة من مساء نفس اليوم، في هذه الأثناء كان أبو عمارمن شقته في الفندق قد أيقظ أحمد الطيبي وطلب منه الاتصال ببيريز لتغيير الفقرة الأولى من الاتفاق التي تحدثت عن (اتفاق إعلان مبادىء بين الفريق الفلسطيني في الوفد الأردني ـ الفلسطيني المشترك، وبين الوفد الاسرائيلي) لتصبح بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد الحكومة الاسرائيلية.

عاد أحمد الطيبي بجواب نصفه سلبي ونصفه ايجابي، فقد وافق رابين على ذكر منظمة التحرير الفلسطينية كطرف موقع على الاتفاق في نهاية صفحاته، وابلغ الطيبي القيادة الفلسطينية بذلك. فقال له أبو عمار إن ذلك لا يكفي، وطلب منه العودة إلى بيريز ورابين. وكان أبو عمار قد أيقظه من نومه قبل ذلك قائلاً له: لن نوقع على هذا الاتفاق لأنه لا يأتي على ذكر إسم منظمة التحرير الفلسطينية، وطلب منه الإتصال بإسحاق رابين وشمعون بيريز وحاييم رامون الذي كان في تل أبيب.

عند الساعة الثامنة تقريباً تم إرسال حسن عصفور ومحمد أبو كوش، وأحمد الطيبي للاتصال بالوفد الاسرائيلي، وعاد الثلاثة دون نتيجة. في هذا اللقاء هدد الطيبي شمعون بيريز بأن الوفد الفلسطيني وياسر عرفات لن يصلوا إلى البيت الأبيض، حيث كان أصدر ابو عمار تعليماته إلى كافة أعضاء الوفد بعدم مغادرة الفندق إلى البيت الأبيض إلى حين تعديل الفقرة المطلوبة.

الساعة ٨,٤٥ التقى جميع أعضاء الوفد الفلسطيني في مقر إقامة أبي عمار لتباحث الأمر. وفي التاسعة صباحاً استقبل أبو عمار جيمس بيكر وأطلعه على آخر التطورات، حينها سأله بيكر: متى سيتم توقيع الإتفاق؟ أجاب أبو عمار: على الساعة الحادية عشرة. فعلق بيكر قائلاً: سيوافق الاسرائيليون على التعديل على الساعة ١٠,٥٨.

شارفت الساعة على ٩,٣٥، تدخلت حنان عشراوي قائلة: إن الوقت أصبح متأخراً، وبالكاد يستطيع أعضاء الوفد الفلسطيني الوصول إلى البيت الأبيض لأخذ

أماكنهم في حفل التوقيع. (كانت حنان ونبيل شعث قد أجريا اتصالات مكثفة مع روس، ميللر وجيرجيان، لاجراء التعديل، إلا ان الجواب كان سلبياً.

طلب أبو عمار من أعضاء الوفد التوجه إلى البيت الأبيض، وبقي في الفندق مع أبي مازن وبقيت معهما. وأرسل أبو عمار في محاولة أخيرة منه أحمد الطيبي إلى مقر الوفد الاسرائيلي لابلاغهم انه لن يتم التوقيع في حالة عدم تعديل الفقرة الأولى ووضع إسم منظمة التحرير الفلسطينية. تساءل أبو مازن على العاشرة: ماذا سنفعل إذا لم يتم التعديل؟ أجاب أبو عمار: لن نوقع الاتفاقية.

عند الساعة ١٠,١٠ قرع جرس الهاتف، وكا ن أحمد الطيبي على الخط، الذي أبلغ أبو عمار أن بيريز قد وافق على تعديل كلمة الوفد الفلسطيني بفريق منظمة التحرير الفلسطينية في الوفد الأردني ـ الفلسطيني المشترك. ووافق أبو عمار على التعديل.

الساعة ١٠,١٥ بدأ التحرك إلى البيت الأبيض. وصل الموكب عند العاشرة والنصف وتم اصطحاب أبي عمار وأبي مازن إلى قاعة داخلية في البيت الأبيض، وكان فيها الرئيس كلينتون ورابين وبيريز ومساعدين آخرين. وتوجهت برفقة مسؤولة البروتوكول إلى ساحة الاحتفال،حيث كان لي مقعد مخصص قرب المنصة، التي وضعت عليها طاولة التوقيع.

طلبت مقابلة المستشار القانوني الأمريكي أو المسؤول عن بروتوكول التوقيع لالقاء نظرة أخيرة على نصوص الاتفاقية التي ستوقع، بدأ المستشار الأمريكي بشرح سيناريو التوقيع، وأصرّيت على رؤية نصوص الاتفاقية، للتأكد من ان التعديل المتفق عليه قد تم إجراؤه، وعندما اطلعت على نصوص الاتفاقية، اكتشفت انه لم يتم إجراء أي تعديل عليه. لا، بل اكتشفت في الفقرة الاخيرة إنها تنص على التالي:

شمعون بيريز: عن حكومة اسرائيل

محمود عباس: عن الوفد الفلسطيني

ولم يكن هناك أي ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية في كل الاتفاق.

سارعت لابلاغ المستشار الأمريكي، بأن لدي تعليمات صارمة بعدم عرض الاتفاقية على أبي مازن في حال عدم إجراء التعديلات المطلوبة، وطلبت منه مراجعة بيريز الموجود داخل البيت الأبيض للتاكد.

حينها هرع المستشار القانوني الأمريكي إلى داخل البيت الأبيض للتشاور مع بيريز، وتوجهت إلى الصف الاول من صفوف الحاضرين وطلبت من حنان عشراوي المجيء معي لحل المشكلة. عاد المستشار الأمريكي، فطلبت منه التحدث عن الجواب أمام حنان، فقال المستشار بأن بيريز أكد على موافقته على التعديل وان بإمكان أبي مازن عند التوقيع أن يعدل بيده كلمة الوفد الفلسطيني ويشطبها ويضع مكانها منظمة التحرير الفلسطينية. حينها طلبت حنان أن يوقع أبو مازن قبل بيريز ليكون التعديل موافقاً عليه ومثبتاً قانونياً، لكن المستشار الأمريكي تعلل بأن البروتوكول يقضي بأن يوقع بيريز أولاً. عادت حنان لمكانها وأوصتني بالاصرار على الموقف.

وتوجهت للمستشار الأمريكي طالباً أن يعاد طباعة الصفحة الأخيرة بشكلها الجديد. وبالفعل أسرع المستشار الأمريكي إلى طباعة التعديل داخل البيت الأبيض على أربعة نسخ ورجع مع المستشار القانوني الاسرائيلي يونيل زينغر، وأضيفت الصفحات الجديدة إلى ملف الإتفاقية، ثم طلبت شطب الصفحة الأخيرة غير المعدلة في كافة النسخ، وتم ذلك.

أما بالنسبة للصفحة الاولى فقد تم تعديلها بخط اليد واستبدلت كلمة الوفد الفلسطيني بـ (فريق منظمة التحرير الفلسطينية في الوفد الأردني ـ الفلسطيني المشترك)، ووقعت والمستشار الاسرائيلي على هذا التعديل بالأحرف الاولى من إسمينا.

عند الحادية عشر وعشرة دقائق بدأت مراسم التوقيع بعد تأخير دام عشرة دقائق، وذلك بعد أن تم كل شيء حسب ما أردناه وسعينا إليه.

وفي البيت الابيض استقبلنا الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري والرئيس

السابق جورج بوش والرئيس الأسبق جيمي كارتر وزوجته ونائب الرئيس غور وغيرهم. وكان ضمن الحضور وزير خارجية النرويج الذي اعتبر نجم الاحتفال باعتباره رعى الاتفاق شخصياً حتى أوصله إلى التوقيع. بعد ذلك دخل إلى القاعة إسحاق رابين وزوجته وشمعون بيريز، وبقي هؤلاء بعيدين عنا، وراح الرئيس كلينتون وبقية الأمريكان المسؤلين يتنقلون بيننا وبينهم لتمرير النصف ساعة التي تفصلنا عن بدء الاحتفالات. وكان الجميع يشيدون بجهود الأطراف المعنية، التي وصلت إلى هذا الاتفاق في إطار من السرية المطلقة، التي حمت المفاوضات تسعة أشهر كاملة دون أن تلتفت إليها أنظار وسائل الاعلام أو حتى مخابرات الدول الكبرى. تحدثوا عن إمكانية تطبيق الاتفاق وضرورة الالتزام بالنصوص والعمل على حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، التي سنواجهها عند التطبيق. وبمنتهى الوضوح تحدث كلينتون عن التزام أمريكا بالدعم الاقتصادي، إلا انه عرّج على المفاوضات والطريقة التي نجح بها، مشيراً إلى انه لو استمرت المفاوضات في واشنطن وحدها لما أتيح لها أن تنجح، لأنها كانت تدار تحت سمع وبصر العالم من خلال التركيز الاعلامي على ما يجري فيها ومن خلال تصرف الأطراف المعنية التي تتحدث بكل شيء أمام وسائل الاعلام، وبالتالي فإنها لا تستطيع على طاولة المفاوضات أن تتحدث بصراحة حتى لا يسجل عليها ما تقول وتحاسب أمام القيادات والمسؤولين والشعب. وبهذا فقد كانت هذه المفاوضات تجري في الشارع، بينما في أوسلو فقد تمكنت الأطراف أن تطرح أفكارها بحرية تامة، الأمر الذي جعلها تصل إلى نتائج مبهرة بهذه الفترة الزمنية القياسية.

كان حديث الرئيس كلينتون يجري على مسمع الوزير النرويجي الذي بدا عليه الشعور بالاعتزاز والغبطة، لأنه وبلده كانا الحاضنة الدافئة والحريصة على هذه المفاوضات. لقد أكبرت في رئيس أكبر وأعظم دولة في العالم أن يتحدث بهذه الصراحة، وأن يعزو الفضل لأصحابه، ولم يجد غضاضة في التحدث بهذا الوضوح عن مفاوضات يفترض انه الراعي الأول لها وهو لم يطلع على تفاصيلها. وإن كان في النهاية قد جيّر نتائجها لصالح بلده.

على شرف الوفدين الاسرائيلي والفلسطيني دعانا وارن كريستوفر إلى حفل غداء ضم كل وزراء خارجية أمريكا السابقين وعددا من وزراء الخارجية العرب والأجانب، الذين حضروا احتفال التوقيع، وكذلك عدد من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية. وكان من ضمن الحضور هنري كيسنجر صاحب نظرية الخطوة خطوة وزير خارجية أمريكا الأسبق في عهد نيكسون وجيرالد فورد، وقد تحدث إلى جليسيه ياسر عبد ربه من الوفد الفلسطيني ويوسي بيلين وزير خارجية اسرائيل، فقال: كنت ولا زلت ضد إقامة دولة فلسطينية مستقلة، إلا ان هذا الاتفاق والذي نحتفل بالتوقيع عليه اليوم، جعل نشوء هذه الدولة أمراً لا يمكن تفاديه. ثم التفت إلى يوسي بيلين وقال له: لو كانت غولدا حية لعلقت لكم المشانق وأعدمتكم. وفي نهاية حفل الغداء التقينا صدفة على باب الخارجية فالتفت إلي وقال:« لقد قمتم بعمل جيد».

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاحتفال ١٣/ ٩/ ١٩٩٣ كنا ـ جميع الوفد ـ على موعد مع وزير الخارجية وارن كريستوفر . وقد ذهب الوفد الفلسطيني إلى هناك، وقبل بدء الاجتماع العام رغب كريستوفر بلقاء أبي عمار وأنا على انفراد، ودخلنا مكتبه ومعه دينيس روس، وقد قال كريستوفر: «أعبر عن حماسي لما أنجزناه هذا اليوم وأهنئكم عليه» لقد عدت لتوي من اجتماع ضم اليهود والعرب ولاحظت روح المصالحة من خلال الساعات الثلاثة الأخيرة، تلك الروح التي بدأت لي مذهلة. ان شجاعتكم ورئيس وزراء اسرائيل قد فتحت الأبواب أمام الجميع. لن تكون أمامنا عقبات، وبدأنا رحلة الصعود الى اعلى. اعتقد ان التزامكم هو من أهم الالتزامات التي يمكن أن يقوم بها زعيم في العالم. من الصعب علي أن أقدر عدد الذين استمعوا إليكم اليوم، ولكنهم يزيدون بالضرورة عن مائة مليون نسمة. لذلك فإنني أقول بأن عمليات الغموض والتأخير في دراسة القضايا يجب أن ننتهي منها، ومن المهم ان تنفذ الالتزامات بوضوح شديد، وسأقول هذا الكلام لأصدقائي في اسرائيل أيضاً، هذه القضية في غاية الأهمية، وأخص هنا مسألة نبذ العنف، ان التزامكم بإنهاء العنف سيكون من الأمور التي سيلتفت إليها العالم بأسره. ولذلك

رغبت ان استحث سيادتكم على السير المخلص نحو إنهاء العنف، وان يكون التزامكم بذلك صريحاً. لا يوجد طريق واحد لتحقيق ذلك، أحياناً يكون بأن تتخذوا خطوة محددة عندما تعرفون مصدر العنف، وأحياناً أخرى تتحدثون عن ذلك علناً، ليس متوقعاً منكم أن تكونوا الرجل الفولاذي القادر على كل شيء . ولكنني أعتقد ان من المهم أن تدركوا الحاجة الضرورية لتنفيذ ذلك. إنني اتكلم بروح الصداقة التي تولدت بيننا لأن نجاح الاتفاق يتوقف على ذلك. وهناك موضوع آخر تحدثت فيه على طاولة الغداء مع السيد عباس وهي القضايا الاقتصادية، التي اقترح أن تكون لديكم مشاريع عملية تشعر الناس بفائدة الاتفاق.

ثم تناول الحديث دينيس روس فقال: أريد أن أشير إلى نقطة واحدة، وهي تحسين الأجواء، وقد تحدث الوزير عن الاتصال المباشر بينكم وبين الاسرائيليين، فكلما أسرعتم بتشكيل اللجان في المجالات المختلفة كالأمن والاقتصاد، ستكون هناك فوائد سريعة، وسيكون تأثير ذلك بشكل مباشر على نفسية الاسرائيليين، لأنهم سيشعرون انكم من خلال هذه اللجان، تعطون دفعة قوية للعلاقات. كذلك فإنها أي اللجان ستكون جزءاً هاماً من عملية شرح التطورات الجديدة والوضع الجديد. لا بد أن يتم وبسرعة وضع آلية تنفيذ عمل هذه اللجان.

لقد كنت حريصاً منذ بدأت مفاوضات أوسلو أن أطلب دائماً من الوفد وألح عليه أن لا يكتفي بجلسات العمل المطولة والمملة، بل يختار في أوقات الفراغ أن يجلس إلى الوفد الاسرائيلي بشكل عشوائي وفردي للتحدث بأمور خاصة وشخصية والتخلص من رسميات المفاوضات، وذلك من أجل خلق علاقات إنسانية تلعب دوراً في الاقناع والاقتناع. وبالرغم من معرفتي ان مثل هذه العلاقات لها تأثير محدود، وإذا أسيء استعمالها سيكون لها تأثير سلبي. وهكذا فإنه بمقدار ما يمكن الاستعانة بهذا النوع من العلاقات، بمقدار ما تنعكس سلبياً على نفسية المفاوض غير المحصن.

كنا عند بداية مدريد وواشنطن طلبنا من الوفد الفلسطيني أن يحاول بناء علاقات إنسانية وشخصية محدودة مع أعضاء الوفد الاسرائيلي، وذلك للخروج من

جمود الرسميات التي يمكن أن تتسم بها هذه المفاوضات، بسبب كثرة عدد أعضاء الوفود المشاركة، وسيطرة وسائل الاعلام على كل صغيرة وكبيرة فيها، إلا ان الوفد لم يتجاوب مع هذا الطلب خشية أن يتهم بالاتصالات غير المشروعة، أو تبدأ الاتهامات والشكوك بين أعضاء الوفد أنفسهم ، الأمر الذي جعلهم يضيعون فرصاً كثيراً لتبادل الأفكار بشكل غير رسمي للوصول إلى تفاهم حول القضايا الرسمية المطروحة.

لقد كانت تجربة وفد أوسلو في هذا المضمار ناجحة، فقد سعوا إلى خلق علاقات إنسانية مع الوفد الاسرائيلي، ولكنهم تركوا مسافة واسعة للتصرف الرسمي أثناء المفاوضات، هذه المسافة أتاحت لهم أن يفاوضوا بعناد واضح وصلابة، عندما يتعلق الأمر بالقضايا الأساسية والمشاكل الجذرية، والخطوط الحمراء المرسومة لهم.

وفي هذا المجال فقد كسب الوفد وبسرعة، خبرة جيدة في أسلوب المفاوضات، بحيث كان يعمل على رفع السقف الموضوع له في الوقت المناسب لمثل هذا الموقف، عندما يكتشف أن الوفد الاسرائيلي لا يمكنه القبول بالمطلوب، وذلك من أجل الوصول إلى السقف الذي حدد له. وكنت في كثير من الأحيان أستغرب هذا التصرف، ولكن عندما يعود الوفد وأطلع على الحيثيات أؤيد ما جنحوا إليه.

كان هذا الأسلوب الذي اتبعه الوفد من العوامل الأساسية، التي ساعدت على الوصول إلى نتائج كثيرة، لم تكن في الحسبان ولم يكن أحد يتوقعها أو يحسب لها حساباً.

لقد كان اللقاء مع بيريز دافئاً على الرغم من إنه الأول بيننا، إلا ان وجود الوفدين المتعارفين ساعد على مزيد من الدفء. ولذلك بدأنا الحديث حول النواحي العملية التي يمكن تنفيذها في محاولة لاعطاء الجماهير ثقة أكثر في الاتفاق.

تحدث بيريز قائلاً: «لابد من بدء الاتصالات ولو بشكل غير رسمي في هذه الفترة للبحث في تشكيل اللجان وتركيبها، وذلك من أجل ضرورة استمرار

التفاوض، كذلك لا تنسوا تشكيل قوة البوليس وهذه تحتاج إلى توفير الأموال اللازمة لها. بالإضافة إلى ذلك لا بد من توفير الدعم المالي للمؤسسات وخصوصاً الجامعات. أما مسألة الدعم المالي بشكل عام فإنني أقترح لجنة أمريكية ـ أوروبية وتضم الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي. هناك قضايا مستعجلة مثل محطة تحلية مياه في قطاع غزة وإنشاء شبكة تلفونات، وهذه بالذات يمكن أن يوكل أمر بنائها إلى شركة خاصة، ولا بد من الاهتمام بقطاع الاسكان في غزة لحاجة السكان الماسة له سواء من حيث السكن أو تشغيل اليد العاملة. أعتقد اننا سنكون بحاجة إلى شركات استثمار عربية ـ يهودية. كما أعتقد اننا بحاجة إلى توحيد لغة عملنا مع المجموعة الدولية. ولا أرى ما يمنع من تدريب عناصر في الداخل وإحضار مدربين من الخارج في قطاع غزة وأريحا. إلا ان إمكانية إتخاذ إجراءات بناء الثقة سواء فيما يتعلق بالمعتقلين والمبعدين وفك الحصار عن القدس، سيتم بعد مناقشة الاتفاق في الكنيست. وستبدأ إجراءات غير مرئية لفك الحصار عن القدس. وفي النهاية أقترح تشكيل لجنة ارتباط يومية من أبي علاء واوري سفير.

انتهت رحلة أمريكا بالتعريج على نيويورك للقاء الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي، الذي أبدى ابتهاجاً لتوقيع الاتفاق الاسرائيلي ـ الفلسطيني، ولعله أكثر المبتهجين في الوطن العربي لأنه أول من تضامن مع الرئيس الراحل أنور السادات ولم يتخل عنه كغيره من وزراء الخارجية عندما وقع إتفاقية كامب ديفيد.

وقد عرض بطرس غالي مساعدة الأمم المتحدة ومؤسساتها المتخصصة في القيام بدور ما لبناء البنية التحتية الفلسطينية، وأظهر حماساً شديداً لإرسال بعثات بحث وتقص إلى الأرض المحتلة لدراسة ما يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات على ارض الواقع.

الفصل الرابع عشر

رؤية مستقبلية

كانت نضالات الشعب الفلسطيني المتعددة والطويلة، تهدف إلى استرداد كرامته وحقه ومكانته بين شعوب الأرض في دولة مستقلة. وكانت هذه النضالات تعبيراً صادقاً عن رفضه الانصياع للواقع الذي فرض عليه. ولم تكن إنتقاماً بقدر ما كانت تعبيراً عن إرادة جماعية لديه، بعد أن تشرد في بقاع الارض تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

وجاءت انتفاضته في الارض المحتلة امتداداً طبيعياً لتلك النضالات، فاظهرته نداً متعادلاً للاسرائيليين الذين عارضوا وجوده وسعوا إلى طمسه، فاقتنعوا بعد أن حسمت المعركة.

كان للقاءات والاتصالات السابقة التي تمت في ظروف سرية، دور في توضيح كثير من الأمور، التي كانت غائبة وسط أجواء الصراع الدموي الذي سيطر على المنطقة، وانتهت تلك النظريات والاحلام الزائفة التي طغت على التفكير. فقد طرح الفلسطينيون هدفهم، وفهم الاسرائيليون ذلك الهدف. وكان لا بد من التعامل معه تعاملاً أدى في النهاية إلى الجلوس على مائدة المفاوضات، والوصول إلى التوقيع على إعلان مبادىء، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

إذا أردنا أن نتحدث عن الرغبات الاسرائيلية مجردة عن الظروف الموضوعية المحيطة، فإن اسرائيل في الأساس قامت على نظرية هيرتزل الذي يقول: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». ولا زال شعار حيروت إلى يومنا هذا هو ان الضفتين تشكلان دولة اسرائيل، أضف الى ان بعض التوراتيين يقول بأن أرض إسرائيل هي من الفرات إلى النيل.

وحتى الجولة السادسة من مفاوضات واشنطن كان الياكيم روبنشتاين يستعمل تعبير يهودا والسامرة عندما يريد أن يتحدث عن الضفةالغربية، وفي أحسن حالاته كان يشير إلى الأراضي المحتلة بكلمة المناطق.

هذا بالنسبة للأرض، أما بالنسبة للشعب، فقد حرمت كلمة فلسطين ومنعت من الاستعمال والتداول، لأن اسرائيل قد حلت محلها وأصبحت هذه الكلمة جزءاً من التاريخ القديم، وانسحب هذا على السكان، حيث يشار إليهم بالسكان العرب. ويعني هذا ان هؤلاء السكان يتمتعون بحقوق مدنية ودينية في أحسن الحالات. وكثيراً ما كان يطلق عليهم الطوائف غير اليهودية. وهو التعبير الذي استعمل في وعد بلفور وفي صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم. وبقي هذا التعبير حياً، حتى ان اسرائيل بعد ان احتلت الضفة الغربية وغزة، أنشأت ما أطلقت عليه إسم «الادارة المدنية» لتؤكد هذا المعنى، وكان ذلك في العام ١٩٧٨.

وفي الجولات العشرة التي تمت في واشنطن كان المفاوضون الاسرائيليون يرفضون استعمال تعبير الشعب الفلسطيني، وإنما يصرون على استعمال تعبير «الفلسطينيين» حتى الادارة الأمريكية كانت ترفض فيما مضى استعمال تعبير «الشعب» وبقيت على هذا الحال حتى عام ١٩٨٨. عندما عقد المجلس الوطني الفلسطيني، أرسل الرئيس بوش رسالة إلى الملك الحسن الثاني، تحمل هذه الرسالة هدية إلى المجلس الوطني الفلسطيني. وكانت تلك الهدية تقول بانه اعتباراًمن تاريخه ستستعمل الادارة الأمريكية تعبير«الشعب الفلسطيني» بدل «الفلسطينيين».

وإذا أردنا أن نستزيد من الشواهد التاريخية نقول بأنه في العام ١٩٢١ عندما وصل إلى بريطانيا منيف الحسيني وعيسى العيسى، رفض تشرشل وزير المستعمرات في ذلك الوقت أن يستقبلهم بصفتهم يمثلون أي شيء. وإنما بصفتهم رجالاً محترمين. وفي العام ١٩٨٥ رفضت تاتشر أن تستقبل المطران إيليا خوري ومحمد ملحم بصفتهما يمثلان منظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي لم يحصل اللقاء.

أذكر كل هذه الشواهد التاريخية والواقعية لأقول بأن الأمر لو ترك لاسرائيل لما اعترفت بشيء ولما قبلت بأي حل، ولذلك وفي مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني ومن أجل إجهاض هذا النضال اخترعت روابط القرى، ثم ما لبث أن تخلت عنها بعد أن فشلت في إثبات وجودها وبعد أن لفظها الشعب.

لن نزعم إننا وقعنا على اتفاق مبادىء يقيم دولة فلسطينية مستقلة ولا يوجد بند من البنود يوضح هذه المقولة، وعلينا ان نعترف باننا اتفقنا على حكم ذاتي انتقالي يشمل الضفة الغربية وغزة. ومن حيث المبدأ فان ما يسمى بخيار غزة اريحا لا يعني ان السلطة الفلسطينية ستقتصر عليه. لان قراءة المبادىء بهذه الطريقة فيها كثير من التجني على الحقيقة كما فيها بعض الحول السياسي. لاننا اذا عدنا الى الاتفاق نجد مثلاً ان المادة الرابعة تقول: يعتبر الطرفان الضفة الغربية وقطاع غزة وحدة تراتبية واحدة يجب المحافظة على وحدتها وسلامتها خلال الفترة الانتقالية. كذلك فان البند الرابع من المادة الخامسة يقول: يتفق الطرفان على ان لا تجحف او تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم. وهذا يعني من جملة ما يعني ان المرحلة الانتقالية لا تتوقف على ما يسمى بخيار غزة اريحا وانما يشمل كل الضفة الغربية وقطاع غزة حيث سيتم استلام السلطات المحددة في المناطق كلها في نفس الوقت(المادة ٦ من الاتفاق).

وبالاطلاع على المادة السابعة الفقرة«٤» من الاتفاق، نرى انها تنص على اقامة عدد من السلطات الخاصة بالكهرباء والميناء والبيئة والصادرات والاراضي والمياه، كلها سلطات فيها الكثير من سمات السيادة التي نسعى الى تحقيقها في المستقبل.

ان مكونات الحكم الذاتي الانتقالي ومقوماته واولوياته تختلف تماماً عن اولويات النظام المستقل. وبالتالي فان الحاجات الاولوية لمثل كياننا يجب ان تحقق قبل غيرها، وان تكون لها الدرجة الاولى في التطبيق، خاصة واننا نستلم ارضاً محروقة بحاجة الى البدائيات والاولويات التي يحتاجها كيان يبدا حياته من الصفر.

اما ان تكون مهمة مجلس الحكم الذاتي هي القيام بالواجبات تجاه السكان نيابة عن اسرائيل، فهذا تدحضه بنود كثيرة في الاتفاق سبق ان شرحناها وتناولناها بالتفصيل.

ومعروف انه لا تفصل الشعب الفلسطيني عن الشعب الاسرائيلي هوة حضارية واسعة، كما لا توجد مسافات في المستوى الثقافي بين الشعبين، لذلك فان التقارب في المستوى الثقافي والحضاري بينهما يحول دون اية نظرة فوقية يمكن

ان تدور بخلد الاسرائيليين، اما على المستوى الاقتصادي فان الطاقات الفلسطينية التي سيتاح لها ـ اذا حصل ـ المساهمة في مشروع السلطة الفلسطينية ستجعل من هذا الوطن منارة ازدهار، قد لا تستطيع منافسة الاسرائيليين ولكن لا تبتعد عنهم كثيراً.

وعلينا ان لا ننسى عند مناقشة موضوع السيادة ان ناخذ بعين الاعتبار طبيعة المفاوضات والصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، فهذا صراع خاص وللسيادة معنى خاص. ان السيادة التي يتم بحثها هي سيادة نسبية اصلاً، ومن طبيعة خاصة ترتبط ليس بمبدأ الحقوق القومية السيادية بقدر ما ترتبط بخلق وجود قومي غير موجود اصلاً. كذلك فان آلية تطبيق الاتفاق، تدفع بعوامل السيادة المتعددة الى الظهور والتبلور اكثر واكثر حتى تتحقق بالكامل.

قد يكون تفصيل معنى الحقوق السياسية المشروعة تُرِك للمفاوضات، ولكن العبارة وردت في اكثر من مكان، حيث تقول المقدمة: «الاعتراف بحقوق الشعبين السياسية والمشروعة»، كذلك فان الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من اتفاق اعلان المبادىء تنص على: «ان الانتخابات ستشكل خطوة تمهيدية انتقالية هامة نحو تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة».

اننا ونحن نتكلم عن اعلان مبادىء، وليس عن اتفاقية تفصيلية، نعتقد ان هذه المسألة المطروحة قد استوفت حقها، بخاصة وان الاتفاق يستند في الاساس على الشرعية الدولية وينص على تطبيقها.

ان قيامة كيان جديد في الشرق الاوسط لاول مرة في تاريخ الشرق الاوسط، يتطلب رؤية شمولية لمستقبل هذا الكيان، ليس من حيث نشأته وشكله وتطوره وعلاقاته باسرائيل فحسب، بل وجود هذا الكيان في قلب الامة العربية وعلاقاته مع جيرانه اولاً وعلاقاته مع العرب الآخرين ثانياً، بحيث تحسب بشكل دقيق تلك العلاقات المختلفة والمعقدة، حتى لا يكون لقمة سائغة للاسرائيليين وحتى لايخرج من جلده العربي الذي لا يمكن له ان يستغني عنه.

لو القينا نظرة على اتفاق اعلان المبادىء لامكننا ان نلخص المواضيع التي

تحتاج الى العمل الدؤوب لتحقيقها في السنتين القادمتين، وبمقدار ما كان التطبيق سليماً ومبنياً على اسس واضحة وراسخة، بمقدار ما امكننا ان نعبر الى بقية القضايا التي ستواجهنا في المرحلة النهائية. تلك القضايا التي ستتوج نضالنا بالاستقلال وايجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين. ينسجم ويتطابق مع الشرعية الدولية. وبطبيعة الحال فعندما نتحدث عن الاستقلال فاننا نفترض انهاء مشاكل القدس والمستوطنات والحدود والعلاقات مع الجيران والقضايا الامنية.

ان اسرائيل تسعى الى ضم اجزاء من الضفة والقطاع، وستحاول السيطرة على المياه وستعمل على ضم القدس، سواء كانت نتيجة الحل دولة مستقلة او كونفدرالية ولكن علينا ان نوضح نقطة تبدو للكثيرين غامضة وهي تعبير«الكونفدرالية». ان الكونفدرالية لها تعريف واحد في القانون الدولي يقول: «الكونفدرالية اتفاق تعاقدي بين كيانين مستقلين او اكثر». وهذا يعني ان الكونفدرالية والدولة المستقلة ليسا بديلاً عن بعضهما البعض، وانما تنطلق الكونفدرالية من الدولة المستقلة وليس لها طريق آخر. ولذلك علينا ان لا نربط بين رغبات اسرائيل بالضم والسيطرة وبين الخيار الذي سيتم في النهاية وهو الكونفدرالية. ومن هنا فايا كان هذا الخيار فان من واجبنا ان نناضل حتى يطبق القرار ٢٤٢ بشكل كامل، ليكون الانسحاب كاملاً من كل الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، وان سيطرة الكيان الفلسطيني على كل ثرواتها بما فيها المياه.

وعلينا ان نميز عند الحديث عن مكشلة اللاجئين بين مسألتين الاولى اشكال الحلول التي قد نصل اليها نتيجة المفاوضات التي ستبدأ بعد سنتين. والمسألة الثانية هي الواجبات الملقاة على عاتق الدولة الفلسطينية تجاه اللاجئين، وهذه مسألة اخرى تخص الجانب الفلسطيني لتخفيف معاناة شعبنا في اللجوء إلى حين حل المشكلة وهذه الواجبات تتخلص بحق المواطنة لكل فلسطيني اينما كان، ومن حق الرعاية الاجتماعية من تعليم وصحة وتقاعد.. وكذلك تنظيم علاقات الجاليات الفلسطينية وضمان مصالحهم مع الدول المضيفة الى ان يتم حل المشكلة بالمفاوضات مع اسرائيل.

لقد رفض الاسرائيليون في البداية تحديد مواضيع المرحلة النهائية واقترحوا ان يتقدم كل طرف بالموضوع الذي يراه مناسباً على طاولة المفاوضات دون التزام من الطرف الآخر. الا ان تحديد هذه المواضيع كما جاء في الاتفاق، بالاضافة الى انه يلزم الاسرائيليين بضرورة بحثها، فهو يمكن ان يشكل ملامح المرحلة النهائية بخاصة عندما يتحدث عن الحدود والعلاقات مع الجيران والترتيبات الامنية والمسائل ذات الاهتمام المشترك. ناهيك عن ثلاثة مسائل هامة وهي اللاجئون، المستوطنات، والقدس.

ومعروف ان القدس قد ضمت بقرار من الكنيست الى ارض اسرائيل، الا ان مجرد وضعها على جدول اعمال المرحلة النهائية فهذا يعني من وجهة النظر الاسرائيلية انها مسألة مختلف عليها وان قرار الضمّ قد انتهى. الا اننا يجب ان نعلم ان القضايا هذه تحتاج الى جهد كبير ووقت طويل للوصول الى حلول بشأنها، وتحتاج الى نضال والى صبر. فالمخاطر قائمة ولم يعرف التاريخ اتفاقات بدون مخاطر.

تعهدت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة بان تقدم للكيان الفلسطيني دعماً اقتصادياً ليتمكن من النهوض والوقوف على قدميه. وما ان انتهت مراسم الاحتفال بالتوقيع على اعلان المبادىء حتى بادرت امريكا بدعوة الدول الغنية لمؤتمر في واشنطن لتحقيق هذه الغاية. وقد تم عقد هذا المؤتمر واتخذ قراراً بتقديم مليارين وستماية مليون دولار للكيان الفلسطيني تصرف على خمس سنوات. ولكن هناك شرط ضروري للصرف يتعلق بطبيعة المؤسسة الاقتصادية التي سينشئها هذا الكيان وعلاقة هذه المؤسسة بغيرها من مؤسسات الكيان او المنظمة. مع العلم ان شروط البنك الدولي والدول المانحة تستوجب نظاماً صارماً للصرف بحيث تذهب الاموال مباشرة الى المشاريع دون وسطاء حتى يطمئن كل المانحين الى ان اموالهم ذهبت في الطريق الصحيح.

ان ما يفترضه العقل السليم والمصلحة العامة هو ان نستقطب الكفاءات العلمية والاقتصادية والخبرات المالية وغيرها في المجالات كافة لتشكيل المؤسسة او

المؤسسات المطلوبة للنهوض بالوضع الاقتصادي في الاراضي التي ستحرر، ويترك لهؤلاء الاشخاص والمؤسسات مطلق الحرية في التصرف ما دمنا نختارهم من اصحاب السمعة الطيبة والرجال الذين هم فوق مستوى الشبهات.

وهناك مسألة اخرى ترتبط بنقل السلطة من الاسرائيليين الى الفلسطينيين، وهذه المسألة تعتبر امتحاناً صعباً لنا، لانها تفترض حسن اختيار الكفاءات الفنية والعملية والتقنية والادارية التي ستحل محل الاسرائيليين الذين قاموا بتسيير الدوائر والمؤسسات طيلة ستة وعشرين عاماً. اضافة الى ذلك فانه لا بد من حسن اختيار قيادة السلطة من الشخصيات المرموقة والمعروفة بوطنيتها ونزاهتها والتي تمثل الى حد ما كل شرائح المجتمع، تمهيداً لاجراء الانتخابات التي يفترض ان تحصل خلال ثلاثة اشهر من انتهاء الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا. هذا اذا لم يحصل او يقع ما يحول دون تحقيق الانتخابات لاسباب ليست موضوعية.

لا اعتقد ولا يصح ان نعتقد ان الشعب الفلسطيني يمكن ان يختار اسلوباً لحياته غير الاسلوب الديمقراطي الحر، الذي يستند الى حرية الفكر والاعتقاد والكلمة، كما يعتمد الاقتصاد الحر نمطاً لحياته. وهذا يتطلب تعددية الاحزاب والاتجاهات والعقائد، لانه ثبت بما لا يقبل مجالاً للشك بان فكرة الحزب الواحد او الحزب القائد او الاقتصاد الموجه والمرتبط بالحكومة كلها سقطت وعفا عنها الزمن ونبذتها كل الشعوب في هذه الحقبة من نهاية القرن العشرين. والشعب الفلسطيني الذي قارع الاحتلال عقوداً من الزمن من اجل الحصول على حريته لا يمكن ان يسمح لحاكم كائناً من كان ان يحرمه من هذه الحرية.

ان قيادات وكوادر الكيان الفسطيني يجب ان تكون في معظمها او في غالبيتها العظمى ان لم تكن كلها، من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، لأسباب عملية تتعلق بطبيعة المهمة التي سيقومون بها ونجاح هذه المهمة، ولأسباب نفسية ومعنوية تنسحب على تركيبة مجتمعنا الذي لا يختلف عن المجتمعات المحيطة من حيث اساس علاقاته الانسانية والاجتماعية، ولأسباب سياسية، تقتضي وجود التكامل بين الداخل والخارج بحيث يكون هناك ارتباطاً عضوياً بين القيادات على ان تتولى قيادة

الخارج مهمة العلاقات الدولية، كما تهتم بالقضايا الاخرى المتعلقة بالمرحلة النهائية وبخاصة مشكلة اللاجئين التي ستبقى بحاجة الى حل لفترة لا نعرف مداها.

انني اعرف صعوبة مثل هذه الافكار على الكثيرين الذين يستعدون لتبوّء المناصب العليا في الكيان الفلسطيني، والذين يمنون النفس بمواقع رفيعة مكافأة لهم على سنوات النضال الطويلة. ولكنها افكاراً لا تلزم احداً بمقدار ما هي رؤية شخصية لمستقبل وطن يتطلب قدراً من الشفافية والبحث عن الاصلح والانسب للشعب والوطن.

ان الغصات والآلام التي تعرض لها البعض، من جراء سنوات اللجوء الطويلة واعوام الغربة القاسية والصعبة، يجب ان لا تحرف انظارنا عن الحقيقة القائلة بان الوطن الفلسطيني جزء لا يتجزء من هذه الامة، وان علينا ان لا نخرج من جلودنا، وان نذكر ونتذكر بان الغصات والآلام لا تعادل الدفء والحنان، وهي لا تضاهي التضحيات التي قدمت على تخوم الوطن ومن اجله.

ويبقى سؤال كبير حول امكانية نجاة الاقتصاد الفلسطيني من فخ التبعية للاقتصاد الاسرائيلي والحاصل حالياً، الى الارتباط بالسوق العربية والاقتصاد العربي. وللاجابة على هذا السؤال فان الشعارات والقوالب الجامدة والامنيات لا تنفع ولا تفيد، ولا بد من توفير شروط ذاتية وموضوعية يتم التعامل بها بمنتهى الدقة والحكمة والمسؤولية للوصول الى الهدف المنشود. لانه علينا ان نعترف بان الوضع الحالي للاقتصاد الفلسطيني - هذا ان امكن ان نسمي ما لدينا اقتصاداً - مرتبط ارتباطاً محكماً بالاقتصاد الاسرئيلي وتابع له تبعية - تكاد - تكون مطلقة. واذا توفرت النوايا الطيبة لدى الاسرائيليين لرفع مستوى شعبنا المعيشي، فيجب علينا ان لا نفترض توفر هذه النوايا للانعتاق من القبضة الاقتصادية الاسرائيلية، التي ترى في السوق الاستهلاكية الفلسطينية، على ضيق مساحتها، واليد العاملة الفلسطينية - لتوفرها - والسوق العربية التي تاتي بالتبعية او التتابع، ترى في جميع ذلك مجالات هامة للاعتماد عليها في ازدهار الاقتصاد الاسرائيلي واستمراره وتطوره، وبالتأكيد فان اسرائيل تطمع في تامين المجال الحيوي الذي

تطمع فيه كل دولة من الدول المتقدمة التي تبحث عن الاسواق الواسعة والايدي العاملة الرخيصة.

ونعود الى السؤال الكبير حول امكانية الانعتاق من فخ التبعية للاقتصاد الاسرائيلي، لنقول بان هذه مهمة فلسطينية، ولكنها في الاساس مهمة عربية. وبمقدار ما نتحمل نحن الفلسطينيين مسؤولية بناء على المؤسسات المختصة وجلب رؤوس الاموال والتعامل الحضاري مع العالم على اسس عملية وفنية وتقنية حديثة، بمقدار ما نتحمل ايضاً مسؤولية الارتباط الوثيق مع العالم العربي القريب والبعيد، هذا الارتباط الذي يتطلب التكامل في اطار المصالح المشتركة. بخاصة ونحن مضطرون ان نمر بمراحل اربع، تبدأ بالانفصال التدريجي عن الاقتصاد الاسرائيلي، وتمر بالتعاون غير المتكافىء مع هذا الاقتصاد، وتعبر الى التعاون المتكافىء وتنتهي بالتكامل الاقتصادي العربي.

نحن نعرف ان المهمة صعبة ومعقدة، ولكن لو عرف كل طرف مسؤوليته وقام بها، فمما لا شك فيه انه لا ينتهي القرن العشرون الا وتكون الاوضاع الاقتصادية في المنطقة في احسن حالاتها.. الا ان هذا يتطلب بحثاً جدياً في السوق العربية المشتركة؟

وهذا ايضاً يقودنا الى سؤال كبير وهو كيف يمكن استكمال الانجاز السياسي الفلسطيني ونقله الى استقلال فعلي؟

لا يجود اي وجه شبه بيننا وبين اي شعب حصل على حكم ذاتي، ثم وصل الى الاستقلال. كما لا يوجد اي وجه شبه بيننا وبين اي شعب استوطن الآخرون ارضه ثم وصل الى الاستقلال.

ان الكيان الفلسطيني وليد يخرج من رحم الاشتباك مع الكيان الاسرائيلي الباقي والمهيمن والمتمكن، ثم يسعى لكي ينفصل عنه ويبني لنفسه كياناً مستقلاً ويسيج هذا المكان بسياج متين غير قابل للاختراق والتلف.

ان نصوص الاتفاق التي قد تقرأ على انها زرعت اوتاد الاستقلال، لا تكفي لبناء

الاستقلال لان موازين القوى هي التي تتحكم بالنتائج، والقوة اهم من القانون، وان تكلم العالم كله عن سيادة القانون وعبر عن احترامه لها. ان الاماني والامال مشروعة ومطلوبة، ولكن الواقع هو الذي يفرض نفسه وهو الذي يعتد به، وان كان من حقنا ان نسعى الى تغييره، فلا بد من توفر شروط معينة:

ـ ان الكيان الجديد يجب ان يمثل كل ابناء الشعب الفلسطيني اينما كانوا ويعبر عن مصالحهم، حق المواطنة المقدس لكل فلسطيني اينما كان. هذه ليست دولة الضفة والقطاع انها دولة فلسطين.

ـ ان يشعر اللاجئون ان لهم مصلحة في الارتباط بهذه الدولة، من خلال الهوية ومن خلال حماية مصالحهم العامة، الى حين انتهاء المفاوضات حول وضعهم النهائي.

ـ لا بد لنا، قبل كل شيء ان نحترم في كياننا الجديد حقوق الانسان، وان نقيم هذا الكيان على اسس الديمقراطية الحديثة والحرية التامة والتعددية السياسية والاقتصاد الحر، وهذا لا يعني عدم وجود قطاع عام لبعض المجالات الضرورية، والانتقال من عقلية الثورة الى عقلية الدولة في بناء المؤسسات المتخصصة وغير ذلك من الادوات والعناصر والاشخاص المشهود بكفاءتهم وامانتهم وجدارتهم..

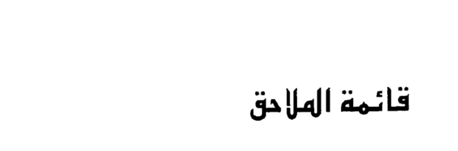
لقد استعملت بعض الدول شعار«الولاء قبل الكفاءة»، وقد ادى هذا الشعار بتلك الدول الى الكوارث والمصائب.

ـ لا يجوز الاستهانة بالعلاقة مع الدول العربية المجاورة، بل لا بد من الارتباط الوثيق معها على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري، بشكل يجعلها سنداً قوياً لتطوير هذا الكيان نحو الاستقلال، وازالة كل اسباب التنافس او التنافر معها، مهما كانت. بل ان هذا الكيان بحاجة الى علاقات وطيدة مع كل الدول العربية التي ستسهم اسهاماً هاماً في بناء هذا الكيان.

ـ ان بناء العلاقات المتينة مع دول العالم لها اثر مباشر على تبني هذا الكيان وتقديم امكانات النمو والبقاء والتطور له، ولذلك فان من الضروري ان يبني هذا

الكيان شبكة علاقات دولية وقوية تشمل القضايا الاقتصادية والثقافية والتعامل الفني بشكل حضاري يبرز وجه شعبنا وحقيقته.

- واخيراً لا بد من بناء علاقات مع دولة اسرائيل قائمة على الثقة المتبادلة حتى يطمئن الاسرائيليون الى هذا الجار الجديد والعدو القديم، ومدى قدرته على التحول من العداء الى التطبيع، دون افراط او تفريط، وبخطوات تتوازى وتتماشى مع الخطوات العربية الاخرى.



قائمة الملاحق

١ ـ نص رسالة عرفات لهولست (١٩٩٣/٩/٩) بخصوص اسهام الشعب الفلسطيني في البناء وتشجيعه لعملية السلام ونبذ الارهاب.

٢ ـ رسالة عرفات لرابين (١٩٩٣/٩/٩). للاعتراف بحق دولة اسرائيل في الوجود بسلام.

٣ ـ رسالة رابين لعرفات بالاعتراف بالمنظمة (١٩٩٣/٩/٩)

٤ ـ رسائل بخصوص الاعتراف المتبادل وتعهد حول القدس الشرقية.

٥ ـ اتفاق اعلان المبادىء في أوسلو (١٩٩٣/٨/٩) والتوقيع بالأحرف الأولى:

ـ أبو علاء

حسن عصفور

أوري سافير

يوئيل زينغر

٦ ـ اتفاق اعلان المبادىء في واشنطن (١٩٩٣/٩/١٣) مع التصحيحات التي تمت في آخر لحظة، وتوقيعات التصحيحات من قبل يوئيل زينغر وهائل الفاهوم بالأحرف الأولى، ثم التوقيع النهائي من قبل : أبو مازن ـ بيريز ـ كريستوفر ـ كوزيريف.

(١)

نص الرسالة التي وقعها الرئيس عرفات لتشجيع التوجه لدى الشعب الفلسطيني نحو الاسهام في تحقيق السلام والتعمير والبناء ونبذ الارهاب

سعادة وزير خارجية النرويج

جوهان جورغن هولست

أود أن أوكد لكم أن تصريحاتي العلنية ستتخذ المواقف التالية عند توقيع اعلان المبادىء.

على ضوء العهد الجديد الذي ينبىء به توقيع اعلان المبادىء فان منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه إلى المشاركة في التدابير التي تؤدي إلى التطبيع ورفض العنف والإرهاب والاسهام في تحقيق السلام والاستقرار والمشاركة الايجابية في التعمير والتنمية الاقتصادية والتعاون.

المخلص ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

٩٣/٩/٩

(٢)

فيما يلي ترجمة النص الحرفي للرسائل المتبادلة بين الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين حول اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل.

١٩٩٢/٩/٩

السيد رئيس الوزراء

ان توقيع اعلان المبادىء مؤشر على مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط.

ومن هذه القناعة فانني أود أن أؤكد على الالتزامات التالية:

تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بحق دولة اسرائيل في أن توجد بسلام وامان.

تقبل منظمة التحرير الفلسطينية قراري مجلسي الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨.

تلتزم منظمة التحرير الفلسطينية أن توقيع اعلان المبادىء يشكل حدثاً تاريخياً، كما يدشن حقبة جديدة للتعايش السلمي الخالي من العنف وجميع الأعمال الأخرى التي تهدد السلام والاستقرار. وبناء عليه فان المنظمة تنبذ اللجوء إلى الإرهاب وأعمال العنف الأخرى، وسوف تتحمل مسؤوليتها إزاء جميع عناصر وأفراد منظمة التحرير الفلسطيينية من أجل ضمان امتثالهم ولمنع المخالفات والمخالفين للنظام.

وبالنظر إلى آفاق هذه المرحلة الجديدة وتوقيع اعلان المبادىء واستناداً إلى الموافقة الفلسطينية على قراري مجلس ٢٤٢، ٣٣٨ فان المنظمة تؤكد أن تلك المواد الواردة في الميثاق والتي ترفض حق اسرائيل في ان توجد ، وكذلك بنود الميثاق التي لا تنسجم مع الالتزامات الواردة في هذه الرسالة تصبح الآن غير عاملة وليست سارية المفعول. وتبعاً لذلك فان منظمة التحرير الفلسطينية ستقوم بعرض الأمر على المجلس الوطني الفلسطيني من أجل الحصول على الموافقة الرسمية على التغييرات الضرورية في الميثاق الوطني والمتصلة بذلك.

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

(٣)

السيد ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

تجاوباً مع رسالتكم المؤرخة ١٩٩٣/٩/٩ أود أن أوكد لكم بانه على ضوء الالتزامات الواردة في رسالتكم فان حكومة اسرائيل قد قررت أن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني، وان تشرع في المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ضمن اطار عملية السلام في الشرق الأوسط.

٩ / ٩ / ١٩٩٣

اسحاق رابين

رئيس وزراء اسرائيل

(٤)

رسائل بخصوص الاعتراف المتبادل، وتعهد حول القدس الشرقية.

Permanent Observer Mission
of Palestine
to the United Nations



البعثة المراقبة الدائمة
لفلسطين
لدى الأمم المتحدة

The Permanent Observer Mission of Palestine to the United Nations presents its compliments to the Permanent Mission of Norway to the United Nations and will highly appreciate it if you will kindly deliver the enclosed letter to His Excellency, Mr. Johan Jorgen Holst, Foreign Minister of Norway.

Please accept the assurances of our highest consideration.



New York, 29 September 1993

The Permanent Mission of Norway
to the United Nations
825 Third Avenue, 39th Floor
New York

Royal Ministry of Foreign Affairs
The Minister of Foreign Affairs

Oslo, 26 October 1993

Chairman Yassir Arafat
The Palestine Liberation Organization
Tunis
Tunisia

BY FAX NO. 095-216-1-787.174

Dear Friend

I want to confirm to you that I have now received the letter on East-Jerusalem as agreed between the parties, duly signed by Israeli foreign minister Shimon Peres.

I shall bring the letter with me to the meeting in Paris on 5 November and show it to your representatives as agreed.

Let me also extend to you an invitation to visit Norway at a time which is convenient to you. I know that you have a very busy schedule, but it would give us great pleasure to be able to receive you here.

With warm regards,

Johan Jørgen Holst

MINISTER OF FOREIGN AFFAIRS שר החוץ

749503

Jerusalem, October 11 1993

Dear Minister Holst,

I wish to confirm that the palestinian institutions of East Jerusalem and the interests and well-being of the palestinians of East Jerusalem are of great importance and will be preserved.

Therefore, all the palestinian institutions of East Jerusalem, including the economic, social, educational and cultural, and the holy Christian and Moslem places, are performing an essential task for the palestinian population.

Needless to say, we will not hamper their activity; on the contrary, the fulfilment of this important mission is to be encouraged.

Sincerely,

Shimon Peres
Foreign Minister of Israel

His Excellency
Johan Jorgen Holst
Foreign Minister of Norway

September 9, 1993

Mr. Chairman,

In response to your letter of September 9, 1993, I wish to confirm to you that, in light of the PLO commitments included in your letter, the Government of Israel has decided to recognize the PLO as the representative of the Palestinian people and commence negotiations with the PLO within the Middle East peace process.

Sincerely,

Y. Rabin
Yitzhak Rabin
Prime Minister of Israel

10.9.93

Yasser Arafat
Chairman
The Palestinian Liberation Organization

(٥)

اتفاق اعلان المبادىء في أوسلو ٩/٨/١٩٩٣

بالأحرف الأولى: أبو علاء ـ حسن عصفور ـ أوري سفير ـ يوئيل زينغر

Final agreed draft of August 19, 1993

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinian team (in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference) (the "Palestinian Delegation"), representing the Palestinian people, agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict, recognize their mutual legitimate and political rights, and strive to live in peaceful coexistence and mutual dignity and security and achieve a just, lasting and comprehensive peace settlement and historic reconciliation through the agreed political process.
Accordingly, the two sides agree to the following principles:

Article I

AIM OF THE NEGOTIATIONS

The aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is, among other things, to establish a Palestinian Interim Self-Government Authority, the elected Council, (the "Council") for the Palestinian people in the West Bank and the Gaza Strip, for a transitional period not exceeding five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.
It is understood that the interim arrangements are an

Article XVI

ISRAELI-PALESTINIAN COOPERATION CONCERNING REGIONAL PROGRAMS

Both parties view the multilateral working groups as an appropiate instrument for promoting a "Marshall Plan", the regional programs and other programs, including special programs for the West Bank and Gaza Strip, as indicated in the protocol attached as Annex IV.

Article XVII

MISCELLANEOUS PROVISIONS

1. This Declaration of Principles will enter into force one month after its signing.
2. All protocols annexed to this Declaration of Principles and Agreed Minutes pertaining thereto shall be regarded as an integral part hereof.

Subject to approval

Done at Washington, D.C., this ____ day of ________, 1993.

For the Government of Israel	For the Palestinian Delegation
________________	________________

Witnessed By:

________________	________________
The United States of America	The Russian Federation

Done at Washington, D.C., this ____ day of ____________, 1993.

Subject approval

For the Government of Israel

For the Palestinian Delegation

____

____

Witnessed By:

____

The United States of America

____

The Russian Federation

(٦)

اتفاق اعلان المبادىء في واشنطن (١٣/٩/١٩٩٣) مع التصحيحات التي تمت في آخر لحظة، وتوقيعات التصحيحات من قبل يوئيل زينغر وهائل الفاهوم بالأحرف الأولى، ثم التوقيع النهائي من قبل: أبو مازن - بيريز - كريستوفر - كوزيريف.

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the ~~Palestinian~~ P.L.O. team (in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference) (the "Palestinian Delegation"), representing the Palestinian people, agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict, recognize their mutual legitimate and political rights, and strive to live in peaceful coexistence and mutual dignity and security and achieve a just, lasting and comprehensive peace settlement and historic reconciliation through the agreed political process. Accordingly, the two sides agree to the following principles:

2. All protocols annexed to this Declaration of Principles and Agreed Minutes pertaining thereto shall be regarded as an integral part hereof.

DONE at Washington, D.C., this thirteenth day of September, 1993.

For the Government of Israel:

For the P.L.O.:

Witnessed By:

The United States of America

The Russian Federation

DONE at Washington, D.C., this thirteenth day of September, 1993.

For the Government of Israel: For the P.L.O.:

Shimon Peres

Witnessed By:

The United States of America The Russian Federation

الفهرس

المؤلف

الاسم: محمود عباس (ابو مازن)

مكان وتاريخ الولادة: صفد ١٩٣٥

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ثلاثة ابناء هم - مازن، ياسر، طارق، وله أربعة احفاد.

الدراسة: انهى دراسته الابتدائية في صفد، ثم هاجر مع عائلته إلى سوريا اثر نكبة عام ١٩٤٨ حيث اكمل دراسته هناك.

يحمل اجازة في الحقوق من جامعة دمشق

تحصّل على الدكتوراه في التاريخ من معهد الاستشراق في موسكو.

المؤلفات: له ١١ مؤلفاً منشورا في تاريخ الصراع العربي الصهيوني اضافة إلى العديد من المقالات.

يعمل على اعداد يوميات القضية الفلسطينية وقد انجز منها ما يزيد على ٤٠ مجلداً بمعدل ٣٠٠ صفحة ولم ينشر شيء منها بعد.

النشاط السياسي:

بدأ نشاطه السياسي في منتصف الخمسينات بتأسيس جمعية فلسطينية في سوريا عام ١٩٥٤.

- شارك في نهاية الخمسينات في تأسيس حركة فتح وكان من القلائل الذين اتخذوا قرار انطلاق الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥.

- عضو المجلس الوطني الفلسطيني منذ دخول حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) لمنظمة التحرير الفلسطينية.

- عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية/ رئيس دائرة العلاقات القومية والدولية منذ العام ١٩٨٠، اضافة إلى العديد من المسؤوليات الاخرى مثل:

- رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية - الاردنية المشتركة.

- رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية - السوفييتية (فيما بعد - الروسية) المشتركة.

- رئيس اتحاد جمعيات الصداقة الفلسطينية.

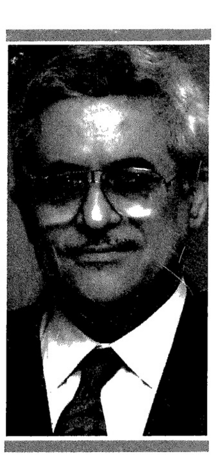
- اول من طرح فكرة الاتصال مع القوى اليهودية المحبة للسلام داخل اسرائيل وخارجها ضمن حركة فتح.

ساهم بفعالية في تبني المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٧٧ لقرار فتح الحوار مع القوى اليهودية والاسرائيلية التي تدعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

- بعد اطلاق المجلس الوطني الفلسطيني لمبادرة السلام الفلسطينية سنة ١٩٨٨، اشرفت دائرته على كافة الندوات واللقاءات التي تمت مع القوى الاسرائيلية واليهودية في اوروبا وامريكا وغيرها.

- منذ انطلاق المفاوضات العربية - الاسرائيلية عام ١٩٩١ تولى رئاسة لجنة متابعة المفاوضات بشقيها الثنائي والمتعدد.

هذا الكتاب



تحدث الكثيرون عن الاتفاق الفلسطيني - الاسرائيلي، دولياً واقليمياً وعربياً. وقام العديد بتحليل مضمون الاتفاق، وكتب البعض، عن بعض ما حدث في الكواليس. وكان كل ما كُتب وقيل بمثابة كلام منسوب واستنتاجات وتحاليل، تُصيب أحياناً وتخطىء أحياناً أخرى.

أما كتابة ما حدث يوماً بيوم وساعة بساعة، بل دقيقة وراء دقيقة، بقلم راعي المحادثات ومنسقها ومتابعها والمحافظ على سرِّيتها، وأخيراً موقع الإتفاق الذي نجم عنها. هذه الكتابة هي المؤهلة للقراءة، فلا تحاليل ولا استنتاجات من الخارج، بل متابعة مضنية لدقائق الحدث ممزوجة بعاطفة جياشة للوطن والخلاص.

كل الأسماء، كل التواريخ، كل التفاصيل، دولياً وعربياً وفلسطينياً.

كل الهواجس والمتاعب بهدف الحفاظ على السرية. محاضر الجلسات المكتوبة، محاضر الجلسات السرية، الدردشات خارج الجلسات والمعبرة أكثر من غيرها عن المشاعر الحقيقية للمشاركين. المواقف، التلميحات، الشعائر، الشعارات، الخطوط الحمراء التي تتحول إلى صفراء أو خضراء. الدور الأمريكي الملتبس. التخوف الاسرائيلي من الامريكان. التخوف الفلسطيني من العرب.

كلّ ذلك، في هذا الكتاب الوثيقة، دون ادعاء، دون تبجح، دون تحليل، وبصدق نسبي لا يقاوم.

إن ما تقرأه على لسان **محمود عباس** (أبو مازن) عن « **طريق أوسلو**» هو ما لا يمكنك أن تقرأه في مكان آخر، لأنه بكل بساطة **الراعي والمهندس والموقّع.**

الناشر